تشريح الصهيونية

مقالات وكتب

الأستاذ الدكتور

مصــطفــى رجـــب

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دار الجديد للنشر والتوزيع

956.90104

ر. م

مصطفى رجب.

تشريح الصهيونية مقالات وكتب / مصطفى رجب.- ط1.- دسوق:دار العلم والإيمان

للنشر والتوزيع،دار الجديد للنشر والتوزيع

400 ص ؛ 17.5 × 24.5سم .

تدمك : 978 – 977 – 308 –646 -6

1. الصهيونية – مقالات ومحاضرات.

2. المقالات والصحفية.

أ -العنوان

رقم الإيداع : 28131 .

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز

elelm_aleman@yahoo.com & elelm_aleman2016@hotmail.com E-

:mail

الناشر : دار الجديد للنشر والتوزيع

تجزءة عزوز عبد الله رقم 71 زرالدة الجزائر

E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

2018

الفهرس

مقدمة

يضم هذا الكتاب قسمين يشمل الأول منهما عدداً من المقالات التي نشرتها حول الصهونية في مقالي الأسبوعي بجريدة الشرق القطرية ، وغيرها من الصحف العربية المطبوعة والإليكترونية. وأكثر هذه المقالات اعتمدت فيه اعتماداً كبيراً على المنشور في الصحف الصهونية وبصفة خاصة إيديعوت أحرنوت وهاآرتس ، بالإضافة إلى بعض المواقع الإليكترونية الصهونية المتاحة.

ويضم القسم الثاني مجموعةً من القراءات في أهم الكتب التي تناولت الشأن الصهيوني وممارسات الدولة العبرية، والتي صدرت في الآونة الأخيرة عن كبريات دور النشر العربية سواء أكان مؤلفوها أفراداً أم مؤسسات بحثية ، وسواء أكانوا عرباً أم غير عرب.

وأرجو أن يكون في هذا الكتاب ما يفيد القارئ .

أ سأل الله تعالى أن يجعله علماً ينتفع به ، وأن يتقبله عملاً خالصاً لوجهه الكريم،،،،

د. مصطفى رجب

جامعة سوهاج - صعيد مصر

القسم الأول:المقالات

أسباب أخرى للقلق داخل إسرائيل !!

تتعالى داخل الكيان الصهيوني من وقت لآخر أصوات تنادي بالسلام، وإدانة العنف اليومي ضد الفلسطينيين ، وإدانة الاستيطان ، وفي أعقاب الحرب الأخيرة بين الدولة الصهيونية وحزب الله ظهرت في الصحافة الإسرائيلية نداءات عالية النبرة لبعض الكتاب الصهاينة عبروا فيها عن قلقهم البالغ على مستقبل الدولة العبرية في ظل التخبط والعنف والغباء السياسي الحاكم للسياسة الصهيونية الحالية ، وسنختار في السطور القادمة نماذج ثلاثة نشرت مؤخراً.

فقد كتب الصحفي الإسرائيلي عميري هاس الكاتب في صحيفة(هآرتس) بتاريخ2006/8/30 يندد بالعسكريين الصهاينة الذين وصفهم بأنهم " الذين يحبسون شعبا كاملا عن وعي وإدراك في سجون محاطة بالأسوار وأبراج مراقبة محصنة ورشاشات وأسلاك شائكة ومصابيح كشافة " ويندد بالقضاة " الذين يبيضون ويشرعون كل سياسة عسكرية للقتل والتدمير " ويندد بأولئك الصهاينة السياسيين المتعصبين " الذين يؤيدون أيديولوجيا استلاب مقدرات الشعب الفلسطيني"

ويتساءل الكاتب مستنجدا بمن يراهم عقلاء من أفراد المجتمع الصهيوني وهم المؤرخون والإعلاميون الكبار والأخصائيون وأطباء العائلة ورجال القانون الذين ليسوا من أنصار غوش ايمونيم وكاديما. المعلمون والمربون وخيرة الشعراء والمغنون وصناع التكنولوجيا الراقية.

ويضرع الكاتب عميري هاس بالنداء إلى هؤلاء جميعا فيقول :

" أين انتم؟ وماذا عنكم أيها الباحثون في جوانب النازية والكارثة واللاسامية: هل تؤيدون حقا القوانين القائمة علي التفرقة والتمييز المنهجي؟ تلك القوانين التي لن يحصل عرب الجليل بسببها علي تعويضات مساوية لما سيحصل عليه جيرانهم اليهود عن أضرار الحرب (آرييه دايان، هآرتس 8/21) . هل يعقل أن تكونوا كلكم مؤيدين لقانون مواطنة عنصري يحظر علي الإسرائيلي العربي العيش مع أسرته في منزل واحد؟ وان تؤيدوا مصادرة المزيد من الأراضي واجتثاث المزيد من الأشجار والبيارات من أجل إنشاء حي جديد للمستوطنين أو شق شارع لليهود وحدهم؟ هل يعقل أن تؤيدوا كلكم إطلاق القذائف والصواريخ التي تقتل الشيوخ والأطفال في غزة؟

هل يحتمل أن توافقوا كلكم علي أن يكون ثلث الضفة (غور الأردن) محظورا علي الفلسطينيين؟ وان تؤيدوا السياسة الإسرائيلية التي تمنع عشرات آلاف الفلسطينيين من حملة الجنسيات الأجنبية من العودة إلي عائلاتهم في المناطق؟

هل غسل دماغكم بالذرائع الأمنية إلي حد قبول منع الطلاب الغزاويين من الدراسة والعمل في الضفة وأبو ديس أو منع المرضي من رفح من الحصول علي العلاج في رام الله؟ هل سيكون من السهل لكم انتم أيضا أن تدعوا أنكم لم تعرفوا "

ويسأل الكاتب تلك الفئة من قادة الرأي الصهاينة العقلاء : ألا تعرفون أن التفرقة الممارسة في توزيع المياه ـ الخاضعة للسيطرة الإسرائيلية ـ تترك آلاف المنازل الفلسطينية من دون مياه طوال أشهر الصيف ، وأن إغلاق الجيش لمداخل القري يعني منع سكانها من الوصول إلى الينابيع أو صهاريج المياه.؟ ألا ترون البوابات الفولاذية علي امتداد الشارع 443 في الضفة التي تمنع القرويين الفلسطينيين علي امتداده من الدخول.؟لا يعقل أنكم تؤيدون منع دخول آلاف المزارعين إلى أراضيهم وأشجارهم وفرض الإغلاق علي غزة الأمر الذي يمنع دخول الأدوية إلى مستشفياتها وقطع إمدادات المياه والكهرباء لـ 1.4 مليون إنسان وإغلاق المنفذ الوحيد الذي يوجد لهم علي العالم عدة أشهر. هل يعقل أنكم لا تعرفون ماذا يحدث علي مسافة ربع ساعة من مكاتبكم ومعاهدكم؟ وهل يخطر بالبال إنكم تؤيدون الأسلوب الذي يقوم فيه جنود عبرانيون بإيقاف عشرات آلاف الأشخاص في طوابير علي الحواجز المنصوبة في قلب الضفة الغربية يوميا تحت الشمس اللاهبة ويصنفون: سكان طولكرم ونابلس محظورون من الدخول، أبناء سن 35 وما تحتها : عودوا إلى جنين. سكان قرية سالم محظورون من التواجد في المكان كليا. امرأة حامل تلتف علي الطابور تطالب بحسن التصرف وتحتجز لساعات عن قصد."

ويختتم هاس مقاله بمناشدة المجتمع الصهيوني أن يتمرد على قياداته لتعدل عن هذا القهر اليومي للشعب الفلسطيني فيقول : " نحن كيهود نتمتع جميعا بالامتيازات التي تمنحها لنا دولة إسرائيل ولذلك نعتبر كلنا مساعدين ومعاونين في هذه الممارسات. السؤال هو ما الذي يفعله كل واحد منا بصورة فاعلة ومباشرة ويومية حتى يقلص حدود التعاون مع نظام الاستلاب والقمع الذي لا يشبع بالمرة. التوقيع علي عريضة عابرة والتمتمة باللسان ليست كافية. إسرائيل هي ديمقراطية ليهودها. الخطر لن يحدق بنا ان عارضناها ولن نحتجز في معسكرات الاعتقال ولن تتضرر مصادر رزقنا أو قدرتنا علي التنزه والسفر للخارج. لذلك يعتبر ظلم المساعدين لنظام الاحتلال ومسؤوليتهم المباشرة مسألة كبيرة وغير قابلة للقياس."

وتحت عنوان " الاحتلال المتواصل للأراضي الفلسطينية لا يمس بقدرة الجيش علي أداء مهمته الرئيسية فقط بل أيضا بتكتل المجتمع الإسرائيلي ولهذا يجب إنـهاؤه "

كتب غادي طؤوف الكاتب في صحيفة(معاريف) بعددها الصادر في 8/30/ 2006 يقول : يوجد أكثر من سبب واحد للقلق بسبب هذا التطور [يقصد الكاتب توابع الحرب مع حزب الله].

أولا: جو الحصار يُنسينا مرة أخري الشيء الرئيسي: الاحتلال والمستوطنات يُهددان بإغراق الدولة القومية اليهودية في ثنائية القومية. في جميع تصريحات قُلنا لكم للمستوطنين، التي تعتمد كثرتها الحاسمة الآن علي دعاوي الأمن الجاري، لا يوجد جواب لهذا السؤال الاستراتيجي. لكن السؤال لم يختف بسبب التهديدات الخارجية، وما تزال مسألة ثنائية القومية قائمة لدي الباب عندنا. لكن يضاف إلى هذه المشكلة مشكلات أخري، كشفت عنها هذه الحرب بكامل خطرها. إحداها أن الجيش الإسرائيلي منذ سنين طويلة غدا شرطة في الأساس. لم يكن مستعدا للقتال، وهو المهمة الرئيسية لكل جيش، لأنه من ناحية تنفيذية مشغول بأمور مغايرة تماما: الحراسة علي الحواجز، والاعتقالات، ومطاردة المطلوبين، والاغتيال، ومصاحبة المواطنين وسائر المهمات التي يشتمل عليها الاحتلال. ينبغي أن نأمل أن تُذكرنا الزعزعة الحالية بهذا أيضا وهو أن الاحتلال المتواصل يضر بقدرة كل جيش علي الوفاء بدوره الرئيسي.

وثانيا: إذا تجاوزنا سؤال الموقف في تفصيلات الاختلاف بين مؤيدي الاستيطان ومعارضيه، يصعب أن نتجاهل الحقيقة البسيطة، وهي أن مجرد الجدل قد مزق الإجماع الإسرائيلي. عند نصف الإسرائيليين الاحتلال ظاهرة لا تُطاق، وسياسة تخالف جميع اعتقاداتهم الأخلاقية. في هذا الوضع يغدو المس بقدرة الجيش مسا بدافعية جزء ملحوظ من جنوده أيضا. ولكن ليس الجنود فقط. إن تصميم المجتمع الإسرائيلي بإزاء طالبي إبادته، وتكتله ومشاعره الوطنية،

كلها تضررت نتيجة الاختلاف الشديد جدا علي شكل الدولة وقيمها. في واقع الأمر، يُجبرنا الاحتلال علي أن نقوم في وضع يصادم فيه الطابعان الرئيسيان للدولة ـ اليهودية والديمقراطية ـ بعضهما بعضا. نشأ وضع أحدث فيه الصراع بين المعسكرات كراهية حقيقية. يكفي أن ننظر في صحافة اليمين لنشعر بقوة الكراهية لليسار، ويكفي أن ننظر في أعمدة اليساريين لنشعر بقوة كراهيتهم للمستوطنين. والنتيجة أنه ما استمر الاستيطان فلن ينشأ هنا تكافل مستقر بين المعسكرات."

أما عوزي برعام وهوعضو كنيست سابق فقد كتب في صحيفة (هآرتس) بتاريخ 2006/8/30 : يقول " في الحقيقة العالم العربي ليس موحدا، لكن الرأي العام العربي في الأردن، وفي لبنان، وفي السعودية، وفي سورية، وفي مصر لا ينقسم علي حسب التوجه الأمريكي و توجه آخر . انه يشعر بوحدة المصير العربي تجاه إسرائيل، بل تجاه التهديد الأمريكي . توجد هنا قصة خطرة ترتاب في مستقبل إسرائيل دولة يهودية في قلب عالم عربي معادٍ."

وتحدث البرلماني الصهيوني السابق مدافعا عن سياسة من سماهم(الحمائم) وداعيا إلى أهمية قيام دولة فلسطينية مستقرة وانسحاب الصهاينة إلى حدود ما قبل حرب يونيو 1967 ومستدلا بتداعيات حرب لبنان الأخيرة فقال :

" لم يبرهن قط كما الآن علي أن الحمائم كانوا صادقين في نهجهم. فقد فهم الحمائم صورة الوضع الإقليمية. وكان سعيهم إلى إقامة دولة

فلسطينية بجانب إسرائيل كله ثمرة مصلحة إسرائيلية بَينة. لقد فهموا أنه من أجل إبعاد المادة المتفجرة الإقليمية، يجب التوصل إلى اتفاق سلام مع الفلسطينيين. كان الفرض الأساسي وما يزال أن سلاما كهذا سيفضي إلى علاقات دبلوماسية بين إسرائيل ودول الخليج والسعودية، ودول المغرب العربي. وربما يدفع إلى اتفاق مع سورية الآن. أدركوا أنه من أجل انجاز سلام كهذا، تنبغي العودة إلى حدود 1967 وإحداث مصالحة في القدس وعدم الموافقة علي أية حال علي حق العودة. لكن جماعة ضغط المستوطنين والابتزاز العاطفي الذي وجهوه إلى الرأي العام عملا عملهما. وأدرك ساسة من جميع أطراف القوس السياسية أن إجراء كهذا ضروري ومطلوب، ولكن كيف يمكن فعل ذلك تجاه رأي عام متعجرف وواثق بقدرتنا علي إبادة كل تهديد عسكري لنا بالقوة؟

ويعترف البرلماني الصهيوني السابق بأخطاء الساسة الصهاينة إزاء عملية السلام فيقول بوضوح : "إن نضالنا ضد عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية اضعف بقية الثقة بحل سياسي داخل إسرائيل وجعل فتح غير قادرة علي إعطاء الفلسطينيين استقرارا اقتصاديا وان كان ثمة سلام. عندما تبوأ وريث عرفات أبومازن السلطة خافت حكومة إسرائيل من أن تلزم موجة الاعتدال التي أتي بها معه بحل سياسي جذري. وهو حل لم يرده شارون.

قمنا بكل ما استطعنا من أجل إضعاف مكانة أبي مازن. حملناه مسؤولية شاملة عن كل الأعمال الإرهابية، واخترنا عالمين قدرته علي أداء عمله. ورفضنا بكل قوة إطلاق الأسرى لتعزيز مكانته، واعتقدنا أن مكانة هشة لأبي مازن وم.ت.ف ستمكن من خطة الانفصال من غير أن نضطر إلى الجلوس للتفاوض حول حل دائم ممكن قابل للتطبيق. وعندما صفعنا الواقع تم الانفصال. بعدها وليت حماس السلطة، وعند ذلك طرحت بشدة خطة الانطواء، التي خرج الهواء منها في الحرب الأخيرة.

ويتساءل عوزي برعام عن مصير إسرائيل المظلم فيقول : " نحن الآن نواجه وضعا أكثر تعقيدا مما كان، لكن من الواضح إلى أين يجب أن تمضي دولة إسرائيل. يجب أن يقوم هدفان في أساس كل نظام في المستقبل: الأول، إنعاش الجيش الإسرائيلي وتقويته استعدادا للمهمات التي قد تواجهه. والثاني، مبادرات سياسية لا تنقطع، ومحاولة لمحاورة القيادة الفلسطينية التي لها مصلحة اقتصادية، واجتماعية وسياسية في الخروج من العزلة والحصار، ومبادرات مع سورية ولبنان تقتضي تحولا في التفكير في الرأي العام في البلاد."

الإعلام الصهيوني

عِجْلٌ جَسَدٌ له خُوار !!

لقد أدرك اليهود من قديم أهمية الإعلام في حياة البشر، ومنذ وضع هرتزل مبادئ الحركة الصهيونية أواخر القرن التاسع عشر، سعى الصهاينة إلى السيطرة على معظم المؤسسات الإعلامية في الغرب، كما سعوا إلى إنشاء مؤسسات إعلامية داخل الأرض المحتلة في فلسطين العربية ، وعلى امتداد مسيرة الدولة الإسرائيلية بوصفها تطبيقا عمليا لنشاط الحركة الصهيونية التي أخذت انطلاقتها الأولى من مؤتمر "بال" في سويسرا عام 1897م. استطاع اليهود تحقيق مكاسب عن طريق سطوة الإعلام منها:

تضخيم أسطورة "المحرقة" واعتبارها وسيلة للتأثير النفسي في الشعوب لكسب تعاطفها مع اليهود ضحايا النازية الهتلرية.

تضخيم أسطورة "معاداة السامية" واتخاذها وسيلة للإرهاب الفكري والسياسي.

التركيز على فكرة "الوعد الإلهي" بالأرض، وابتكار أسطورة " شعب الله المختار" وتجنيد كل وسائل الإعلام المحلية والعالمية للترويج لمقولات توراتية محرفة عفا عليها الزمن، ونفخ بوق التقارب مع المسيحية إلى حد ابتكار ديانة جديدة هي "المسيحية الصهيونية" التي اجتذبت إلى صفوفها الكثيرين من صناع القرار في الولايات المتحدة.

وفيما عدا النقاط الثلاث السابقة، فقد أخفق الإعلام الخاضع للصهاينة في كسب تعاطف الرأي العام (العالمي)، واستطاع الإعلام العربي والإسلامي – بإمكاناته المتواضعة- توجيه أنظار العالم المتحضر والنامي على السواء إلى الممارسات غير الإنسانية التي تتم داخل الأراضي العربية المحتلة.

وكانت ذروة نجاح الإعلام العربية والدبلوماسية العربية ما تم يوم 1975/11/10م حين صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة باعتبار "الصهيونية حركة عنصرية معادية للإنسانية" بموافقة 72 دولة ومعارضة 25 دولة وامتناع 22 دولة عن التصويت.

غير أن اعتماد إسرائيل على سطوة الإعلام تزايد كثيرا بعد ذلك واستماتت الدولة العبرية من أجل إلغاء هذا القرار وهو ما تم فعلا في 1991/12/16 بعد ما شهدته المنطقة من تراجع عربي عقب اتفاقات كامب ديفيد (1978) ومؤتمر مدريد (1991).

الصحف الإسرائيلية:

صحيفة "هاآرتس"

وتوجد في إسرائيل اليوم ست صحف كبرى معروفة دوليا ، أقدمها صحيفة "هاآرتس" [ومعناها بالعربية : الأرض] التي تأسست عام 1919 أثناء الانتداب البريطاني. وهي مملوكة لمجموعة "شوكين" وهي كتلة إعلامية صهيونية معروفة. وتوزع صحيفة هاآرتس من إصدارها اليومي 65 ألف نسخة، ومن عددها الأسبوعي 75 ألف نسخة

صحيفة "جيروزاليم بوست"

صحيفة "جيروزاليم بوست" [ومعناها بالعربية : بريد القدس] التى تأسست عام 1922 عن طريق مجموعة الشركاء أصحاب شركة (جريشون أجررون)، وهي أقل توزيعا من سابقتها فهي توزع من عددها اليومي 20 ألف نسخة فقط ومن عددها الأسبوعي 50 ألف نسخة، غير أنها تتميز بكونها تصدر طبعة دولية يوميا في أمريكا الشمالية، وطبعة أسبوعية باللغة الفرنسية في أوربا .

صحيفة "يديعوت أحرونوت"

وتأتي بعد ذلك صحيفة "يديعوت أحرونوت" [ومعناها بالعربية: آخر الأخبار] وهي أكبر الصحف الإسرائيلية وأوسعها انتشاراً وقد تأسست عام 1929م كملكية خاصة لعائلة "موزيس" الإعلامية وهذه الصحيفة توزع من طبعتها العبرية يوميا 200 ألف نسخة وتوزع 600 ألف نسخة من عددها الأسبوعي الذي يصدر يوم الجمعة في أكثر من 150 صفحة شاملا عدة ملاحق، ولهذه الصحيفة موقع على شبكة الانترنت باللغة الانجليزية، وكان لها موقع باللغة العربية أغلق منذ شهور قليلة.

صحيفة "هاتسوفيه"

ورابعة الصحف هي صحيفة "هاتسوفيه" [ومعناها بالعربية: المراقب] وقد أصدرها حزب المفدال عام 1938، وليس لها عدد أسبوعي ، لكن عددها اليومي يوزع حوالي 60 ألف نسخة معظمها لأعضاء حزب المفدال والمتعاطفين معه.

صحيفة "معاريف"

وخامسة الصحف الإسرائيلية هي صحيفة "معاريف" [ومعناها بالعربية: صلاة الغروب] وقد أسستها عائلة نمرودي الإعلامية كملكية خاصة عام 1948، وتوزع "معاريف" من عددها اليومي 160 ألف نسخة ومن عددها الأسبوعي 270 ألف نسخة . وهي بذلك تعد في المركز الثاني من حيث قوة الانتشار بعد صحيفة "يديعوت أحرونوت".

صحيفة "جلوبس"

وأخيرا. تأتي صحيفة "جلوبس" وهي صحيفة يومية متخصصة في الاقتصاد صدرت أول مرة عام 1983 عن طريق شركة "جلوبس لتونوت للنشر" التي تمتلكها مجموعة "مونتين" الاقتصادية، وهي توزع 40 ألف نسخة يوميا.

وإذا ألقينا نظرة على محتوى بعض تلك الصحف بطريقة عشوائية فسنكتشف أنها تفتح أبوابها – لا سيما باب بريد القراء – لفئات مختلفة من سكان إسرائيل للتعبير عن آرائهم في شؤون الدولة كافة غير أنها تحتفي كثيراً بذوي الآراء المتطرفة، والأفكار الهدامة والعنصريين.

أمثلة على عنصرية الصحافة الصهيونية:

وسنذكر فيما يلي عدة نماذج على ما تردد في الصحافة الإسرائيلية من كتابات حرة- لغير صحفيي الجريدة الرسميين – لكتّاب هواة من خارج الصحيفة ، يعبرون عن آرائهم الخاصة، ولكنهم – في حقيقة الأمر – صورة لما يعتمل في الوجدان الشعبي العام في إسرائيل وحتى أكون منصفا سأختار أكثر من نموذج بموضوعية تامة:

النموذج الأول:

كتب "داليا نهري" أستاذ علم الاجتماع بالجامعة العبرية في صحيفة "هاآرتس" في عددها الصادر يوم 2001/9/27 ، بعد أسبوعين تقريبا من أحداث 2001/9/11 الشهيرة تحت عنوان (يجب القضاء على الوهم المسمى "الحركة الإسلامية " يقول: إن العمليات الإرهابية التفجيرية التي وقعت في الولايات المتحدة أخيرا وبقية العمليات الإرهابية التي حدثت ومازالت تحدث في إسرائيل بصورة مستمرة تدفعنا إلى طرح العديد من الأفكار حتى تصبح حياتنا أفضل.

ومن أبرز تلك الأفكار التخلص من الأفعى السامة الكبيرة التي تسمى الحركة الإسلامية .والسئ أن تلك الحركة بدأت التوغل في جميع أنحاء البلاد بصورة تشبه الورم "السرطاني الخبيث" المتوغل في الجسم الذي يقضى علي جميع مكوناته وأجهزته العملية، ولو فحصنا الظروف التي تواجه الحركة الإسلامية وتحيط بها سندرك تماما حجم الكارثة التي من الممكن أن تقع علينا وتواجهنا.

وعلى سبيل المثال تمتلك الحركة أكثر من 22 مركزا جميعها يبث على كراهية اليهود والتخلص منهم وإلقائهم في البحر وهذا الكلام الذي كان يردده "جمال عبد الناصر" الرئيس المصري الراحل.

ومن هنا كانت المشكلة والمأساة، حيث بدأت توجهات الحركة الفكرية والسياسية تضر بإسرائيل وتعمل ضد أمنها وضد مصالح العرب الذين يعيشون فيها، البالغ عددهم قرابة المليون وسبعمائة وخمسين ألف شخص ويجب عليهم ، خاصة وأن ناقوس الخطر يضرب بعنف مع خطورة العمليات التخريبية التي يقوم بها العرب أنفسهم، ويفجرون فيها الأسواق والمناطق المكتظة بالناس بصورة مقززة ما يمثل خطورة على مظهر دولتنا الجميلة . وقد تعددت المرات التي يقوم فيها العرب الذين ينتمون للحركة الإسلامية أو من أتباع الحركات الأخرى المرتبطة بها بتفجير أنفسهم . والتسبب في أزمات أمنية لم تستطيع الخروج من توابعها حتى الآن الأمر الذي أصبح يمثل أزمة كبيرة خاصة مع ارتباط الحركة بخلايا إرهابية أخرى وتقديمها للعديد من الخدمات للجماعات الإرهابية مثل بطاقات الهوية أو تسهيل عملية الدخول للخط الأخضر . حيث يتمتع عرب إسرائيل بالعديد من المزايا المختلفة التي تتوافر لبقية اليهود من أبناء الدولة.

وبنظرة عامة على تاريخ الحركة سنجد أنها بدأت تضرب بجذورها في الأرض وتتمتع بالعديد من المزايا المختلفة ويصبح لها شعبية كبرى منذ بداية الثمانينات. وتركز نشاطها أساسا في نطاق النقب والجليل والمثلث. ولكن رؤساؤها دائما ما يعقدون مؤتمرات واجتماعات عامة يذمون فيها إسرائيل ، الأمر الذي دفع رئيس الوزراء آنذاك "أسحق شامير" لشن حرب شعواء على تلك الحركة واعتقال عشرات النشطاء مهم في المناطق وإصدار أحكام بسجنهم لمدة مختلفة حتى أن التحقيقات التي أجرتها الشرطة آنذاك كشفت عن عزم هؤلاء النشطاء تنفيذ عدة اغتيالات لكبار المسئولين بالتعاون مع بقية الجماعات الإرهابية الإسلامية الأخرى مثل حركة "حماس" و"الجهاد الإسلامي" . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى حد تورط أعضاء الحركة في مقتل عدد كبير من أبنائنا سواء من الشرطة أو الجيش كان أبشعها قتل ثلاث جنود وهم "اشرشالوم" شموئيل سمحون" و"افرايم ديبلن" عام 1992.

النموذج الثاني:

وفي الشهر نفسه وبعد ثلاثة أسابيع تقريبا من أحداث 11 سبتمبر نشرت صحيفة معاريف في باب "برلمان معاريف" كلمة لمهندس سيارات يعمل بالقدس الغربية اسمه "دانيال شالوم" في عددها الصادر يوم 2001/9/30 تحت عنوان "القضاء على العرب الأصوليين ليس إرهابا" جاء فيها:

هل يعتبر الدفاع عن النفس وقتل الأصوليين الإسلاميين إرهابا؟ سؤال كان الجميع هنا يتساءلونه منذ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في سبتمبر من العام الماضي وكان من الصعب الإجابة عليه، إلا أنني وجد إنه من السهل الإجابة عليه عقب قراءتي للمقال التحليلي الذي كتبه رئيس الوزراء الأسبق بنيامين نتانياهو في صحيفة "يديعوت أحرونوف" أخيرا. والذي أشار فيه إلى أن تصفية الأصوليين من قادة الجماعات المسلحة الفلسطينية لا تعتبر إرهابا، خاصة وإن وجودهم أصبح يضر بصورة بالغة بوجودنا الحضاري، وهي نفس النظرة التي تنظر إليها حاليا الدول الكبرى للإرهاب وعلى رأسها الولايات المتحدة والتي أعلنت -عقب التفجيرات الإرهابية البشعة على أراضيها ومقتل آلاف الأبرياء بها - الحرب على كل ما هو أصولي ومتطرف على الرغم أنها تعد من أكبر الدول رعاية للحريات والديمقراطية إلا أن الوضع سيتغير عندما يتعلق بوضع الدولة وبنيانها نفسه، وفي البداية يجب أن نفهم إنه لا يوجد إرهاب سواء على المستوى المحلى أو الدولي بدون دعم خارجي له وهو الدعم الذي توفره دولة كاملة تقوم بتدريب الخارجين عن القانون ويتم عمل ما يشبه الغسيل لأدمغتهم وإيهامهم بأن قتل الأبرياء وكل ما هو صليبي أو يهودي أمر مقدس يجب التضحية بأغلى شئ من أجله حتى الحياة.

وتدعم هذه الدول أولئك الإرهابيين بالمساعدات المادية والميدانية ويتم إرسالها لشن حرب عصابات ضد أعدائهم. وبالطبع ستكون في مقدمتهم إسرائيل وأمريكا اللتين تعتبران العدوين الكبيرين للإسلام حسب وجهة نظرهم ويجب الوقوف بحزم في وجه سياستهما المختلفة. وهم يسعون في سبيل ذلك لشن حرب عصابات وتفجيرات داخلية ي كلتا الدولتين وهو أمر خطير يجعل القضاء على تلك الجماعات أمرا حتميا خاصة وأنها تعمل في الشرق الأوسط، والدول العربية تحديدا متعاونة مع بعضها. على سبيل المثال فإن المنظمات الفلسطينية تعمل بالتعاون الوثيق مع حزب الله الأصولي الذي يرتبط بدورها بعلاقات مع سوريا وإيران وكلتا الدولتين ترتبطان بعلاقات مع الإرهابي الأصولي "أسامة بن لادن" والواقع أن وجود تلك المنظمات الإرهابية يرتبط في الأساس بالدعم الداخلي الذي تتلقاه من دولة مثل إيران والتي تفجرت بها الثورة الإسلامية الأصولية أواخر السبعينيات فأصبحت الملاذ الأول للإرهابيين.."

والنموذجان السابقان لشخصين غير متخصصين بالإعلام، فأحدهما أستاذ جامعة، والثاني مهندس سيارات ولكن رؤيتهما اتفقتا في إظهار عداء شرس ضد الإسلام والعرب في غير مواربة.

ويتضح من النموذجين السابقين أن الإعلام الصهيوني في نظر أصحابه كان وما يزال معبودا قويا قادرا على إبادة الخصوم، وقهرهم، وإخضاعهم لمشيئة "هذا الشعب المختار !!" غير أن هذا المعبود الأجوف لا يختلف كثيرا عن إلههم القديم الذي صنعه لهم موسى السامري من الذهب المسروق أي أنه في نهاية المطاف :" عمل جسد له خوار!!" وما أقل ما ينفع خوار العجول أصحاب العجول فضلا عن أن يؤثر في أصحاب العقول"!!.

صناعة الأسلحة وتجارتها في إسرائيل ..إلى أين؟

نشرت صحيفة نيويورك تايمز في عددها الصادر يوم 30 أغسطس 2005 نص التقرير السنوي الذي يُقدَّم إلى الكونجرس الأمريكي وجاء في هذا التقرير أن إسرائيل خلال عام 2004 م احتلت المركز الرابع في تصدير السلاح على مستوى العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وبريطانيا، فقد وصلت قيمة صادرات إسرائيل من السلاح للدول النامية في ذلك العام (2004) مبلغ 1.2 مليار دولار.

وفي اليوم التالي لنشر هذا التقرير في النيويورك تايمز ، أي يوم 2005/8/31 نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت أن إجمالي المبيعات العالمية من الأسلحة التقليدية في العام الماضي بلغ 37 مليار دولار وهي تعد أكبر حصيلة لمبيعات الأسلحة منذ عام 2000 الذي بلغت فيه قيمة صفقات الأسلحة 42.1 مليار دولار كما أنها أعلى بكثير من حصيلة عام 2003 التي وصلت فيها قيمة صفقات الأسلحة إلى 28.5 مليار دولار.

وكما كان متوقعا فقد جاءت الولايات المتحدة مرة أخرى كأكبر مصدر للأسلحة في العالم بقيمة مبيعات 12.4 مليار دولار (أي 33.5 في المائة من إجمالي المبيعات سوق الأسلحة، علما بأن هذه القيمة كانت اقل بكثير من قيمة المبيعات التي حققتها خلال عام 2003 والتي وصلت إلى 15.1 مليار دولار. ووصل نصيب الولايات لمتحدة من بيع الأسلحة للدول النامية وحدها 6.9 مليار دولار.

وجاءت روسيا في المرتبة الثانية بمبيعات إجمالية بقيمة 6.1 مليار دولار منها 5.9 مليار قيمة مبيعات الأسلحة للدول النامية. أما بريطانيا فقد أنهت الشهور الأربعة الأولي من هذا العام بقيمة مبيعات للأسلحة بلغت 3.2 مليار دولار للدول النامية ، يليها إسرائيل التي وصلت قيمة مبيعاتها من الأسلحة إلى 1.2 مليار دولار ، ثم فرنسا بحصيلة مبيعات بلغت قيمتها مليار دولار، ويشكل عام ، فقد اشترت الدول النامية أسلحة بقيمة 21.8 مليار دولار.

وعلى الجانب الآخر، كانت الصين هي الدول الرائدة بين الدول التي تسعى للحصول على الأسلحة بين عام 2001 – 2004 بواردات من السلاح بلغت قيمتها 10.4 مليار دولار، يليها الهند بواردات من الأسلحة بلغت قيمتها 7.9 مليار دولار. وجاءت مصر في المرتبة الثالثة من حيث واردات الأسلحة بقيمة 6.5 مليار دولار.

في مقابل ذلك، كانت الهند في العام الماضي أكبر مستورد للسلاح في العالم (بقيمة مبيعات 5.7 مليار دولار) بينما جاءت المملكة العربية السعودية في المرتبة الثانية بقيمة واردات 2.9 مليار دولار كما أنهت الصين الشهور الأربعة الأولى من العام الماضي بمبيعات وصلت قيمتها إلى 2.2 مليار دولار.

وتشرف على الصناعة العسكرية الإسرائيلية مديريتان تابعتان لوزارة الدفاع الإسرائيلية هما:

مديرية التسلح والإنتاج الحربي: تشرف على صناعة الأنظمة والمعدات العسكرية وإنتاجها. كما أنها تشرف على البنية التحتية للمصانع العسكرية ، وتتأكد من إعطاء الصناعة المحلية الأولوية عن طريق تأمين حاجات الجيش بدلا من الاستيراد.

مديرية الأبحاث والتطوير الدفاعية: مسئولة عن اختيار الأنظمة الجديدة لإجراء المزيد من الأبحاث فيها، وتطويرها للتماشي مع متطلبات الجيشأو السوق العالمية وتسعى المديرية لتحديد حاجات الجيش المستقبلية وتركيز الأبحاث لتطوير تكنولوجيا ملائمة.وهي تصرف الميزانيات على البرامج التي تختارها وتتابعها أولا بأول حتى النهاية، وتقوم بتحديد مدى نجاحها وتقرير الخطوة التالية لها.

ويرى رياض قهوجي في بحث له عن "المؤسسة الأمنية والعسكرية في إسرائيل" أن الصناعات العسكرية الإسرائيلية مكنت إسرائيل من تحقيق عدة أهداف عسكرية واستراتيجية وسياسية واقتصادية هي :

الوصول إلى مستوى الاكتفاء الذاتي في بعض الصناعات العسكرية، ولا سيما في الحرب الإلكترونية، والطائرات من دون طيار، الأمر الذي يمكن الدولة العبرية من التحرك عسكريا من دون خشية حدوث نقص في الذخيرة أو قطع الغيار نتيجة حظر خارجي على بيع الأسلحة لها.

حصول إسرائيل على مبالغ مالية عبر صفقات السلاح مكنتها من شراء أسلحة جديدة أو الاستثمار في الأبحاث والتطوير لبناء أنظمة حربية حديثة.

استغلال حاجة بعض الدول إلى الأسلحة الإسرائيلية كأدوات ضغط سياسي لتحقيق أهدف استراتيجية وخصوصا في علاقاتها بالهند وتركيا.

توفير فرص عمل لآلاف العمال والتقنيين والخبراء والعلماء الإسرائيليين .

تعزيز الصناعات المدنية عبر تشجيع الصناعة ذات الاستخدام المزدوج،أي مدني عسكري.

الصناعات العسكرية الجوية:

وتهتم الدولة العبرية اهتماما خاصا بتكنولوجيا الصناعة العسكرية في المجال الجوى، نظراً لحداثة هذا النوع من الصناعات وحاجة أكثر الدول إليه بعد شيوع استخدام الأقمار الصناعية المدنية في مجالات التجسس وغيرها من الأغراض العسكرية وطبقا لما نشرته صحيفة هاآرتس " الإسرائيلية في عددها الصادر يوم 2005/9/1 فقد بحث مراقب الدولة النشاط التجاري للصناعات الجوية في مجال الأقمار الصناعية المدنية في السنوات ما بين 1997 – 2000 في تلك السنوات كان موشيه كرات مدير عام الصناعات الجوية ، وأفيجدور بن جال وأوري أور رؤساء مجلس إدارتها.

وقال النائب العام إن شركة الصناعات الجوية استثمرت في مشروع الأقمار الصناعية 42.3 مليون دولار وخسرت 36.7 مليون دولار . ويرجع المراقب الخسائر إلى أوجه القصور في طريقة اتخاذ القرارات في شركة الصناعات الجوية على مستوى الإدارة ومجلس الإدارة. كما أشار المراقب إلى أن مدير عام شركة الصناعات الجوية (كرات) كان يظهر بين الحين والآخر أمام مجلس الإدارة ويغذيه بمعلومات غير موثقة.

وقد أقامت الصناعات الجوية في عام 1977 شركة تطوير وإنشاء أقمار المراقبة المدنية (**WIS**) التي غيرت اسمها لـ **ISI**) بالاشتراك مع شركة **CTS** التي يمتلكها رجل الأعمال الأمريكي "ستيفان ويلسون" وكذلك مع شرك إيل أوف . وقد سيطرت كل من شركة الصناعات الجوية والشركة الأمريكية على نسبة 44% من الشركة بينما حظيت شركة إيل أوف بنسبة 12% فقط.

وجاء في تقرير المراقب: ترجع الفجوة الكبيرة بين تنفيذ المشروع والتوقعات المنتظرة منه إلى المشروعات التي وضعتها شركة الصناعات الجوية والتي لم يخطط لها بالقدر الكافي – بتحليل قدرته على التجاوب مع احتياجات السوق، وتطور المشروع والطريقة التي يمكن بها تعبئة أموال لتمويله، كما أظهر مكتب المراقب أوجه قصور تتعلق بعدم عرض تفاصيل تجارية جوهرية أمام مجلس إدارة شركة الصناعات الجوية وعدم بحث جدوى تنفيذ المشروع بين الحين والآخر للوقوف على تغير المعطيات التي قدمت لإدارة الصناعات الجوية.

فعلى سبيل المثال ، أشار التقرير إلى حالة قامت فيها إدارة شركة الصناعات الجوية بمنح اعتماد بنكي لشركة الأقمار الصناعية دون الحصول على موافقة مجلس إدارة تقدر قيمته ب39.1 مليون دولار.

كما يشير التقرير إلى أن التحريات أثبتت وجود أوجه قصور تم تناولها أيضا في حالات نقد سابقة لمراقب الدولة ، فيما يتعلق بشركة الصناعات الجوية في مجال الفضاء بخصوص القمر الصناعي "عاموس " وجاء في التقرير من بين تلك القصور يمكن الإشارة إلى مشروع تجارى جزئي وغير مخطط له جيدا، فضلا عن البيانات الخاصة بتكهنات العائدات كانت ناقصة، وبدء العمل في المشروع دون الاتفاق من البداية على مصادر التمويل وشروطه وتكلفته ، الأمر الذي أدي إلى خسائر فادحة ويتضح ضمنيا من النقد أن إدارة شركة الصناعات الجوية لم تستخلص دروسا ولم تصلح أخطاءها الإدارية، رغم أن تلك الأمور عرضت أمامها في الماضي.

وتعقيبا على ذلك، أعلنت شركة الصناعات الجوية أن أنشطة شركة **ISI** ابدأت تحقيق أرباحا كبير اعتبارا من سنة 2001 في أعقاب القمر الصناعي

A1 EROD" (EARTH RESOURCES OBSERVATION SATELLIT)

وأن الشركة مازالت في مرحلة الاستثمار في شبكة الأقمار الصناعية: قبل اتخاذ شركة الصناعات الجوية قرار إقامة هذا المشروع أجريت دراسة متأنية للمشروع التجاري **ISI** ويقوم المشروع على نموذج تسويق حديث بدأ في النمو ومازال في بدايته. وأمر طبيعي ألا تتحقق كل التكهنات في مجال حديث النشأة مثل سوق مبيعات صور الأقمار الصناعية التي قام عليها المشروع التجاري.

الصورة ليست مشرقة تماما:

ولكن على الرغم مما سبق من تفوق إسرائيل في صادراتها من السلاح، وتطور صناعاتها العسكرية ، فإن الصورة ليست مشرقة تماما. بل تتلبد سماؤها بالغيوم في أحيان كثيرة. فهذا النمو المطرد في الصناعة والتجارة العسكرية الإسرائيلية بدأ كما يرى رياض قهوجي في بحثه السابق الإشارة إليه يواجه صعوبات وتحديات بعد انتهاء الحرب الباردة وانطلاق عملية السلام في المنطقة . ويعزو الخبراء الإسرائيليون تراجع نمو قطاع الصناعات العسكرية إلى تقليص ميزانية الدفاع الإسرائيلية خلال عملية السلام، وإلى توجه قيادة الجيش إلى استعمال أموال المساعدات الأمريكية لشراء الأسلحة ومعدات جاهزة من الولايات المتحدة، عوضا عن استثمارها في مجال الأبحاث والتطوير لتعزيز الصناعة المحلية. كما أن ظهور شركات أسلحة عملاقة في أوربا وأميركا نتيجة عمليات الدمج بين شركات الأسلحة الكبيرة هناك، أوجد منافسة قوية لشركات الأسلحة الإسرائيلية،

والتابعة في معظمها للقطاع العام. وبحسب تقرير للمستشار السابق بوزارة الدفاع الإسرائيلية زفي نوب، فإن استمرار تراجع الأرباح في قطاع الصناعة العسكرية سيؤدي إلى تسريح نحو 17.500 عامل بحلول سنة 2008.

وجاءت انتفاضة الأقصى لتنعش الصناعات العسكرية نسبيا ،فقد زادت الحكومة الإسرائيلية ميزانية الدفاع لسنة 2002 إلى9800 مليون دولار لنسبة 10 في المائة من الناتج القومي ،لكن حجم الصادرات ومعدل ربح المصانع العسكرية ما يزالان دون المستوى المطلوب / فيا له من فجور وجشع !!

عندما تأخذ الأخلاق إجازة مفتوحة !!

من الصعب على أي إنسان منصف – مهما يكن دينه - أن يقبل ربط الإرهاب بالإسلام وبنفس المنطق، يصعب على أي إنسان منصف أن يربط تدهور الأخلاق وانهيار المبادئ السلوكية بديانة معينة.

ولكن الشواهد تدل على أن المجتمع الإسرائيلي، الذي يحاول قادته صبغ كل مظاهره الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بصيغة دينية ،يتردى في مهاوي الانحراف الخلقي ولنأخذ شواهدنا على ذلك مما نشر في الصحافة الإسرائيلية، فقد جاء في افتتاحية صحيفة هاتسوفيه يوم 23 سبتمبر 2005 أن المحكمة العسكرية الخاصة في تل أبيب حكمت بالسجن ثمانية أشهر وبتخفيض الرتبة على العقيد "عاطف زاهر"

وكتب القضاة في حيثيات حكمهم أن العقيد زاهر " حول الجندية الشاكية قسرا إلى شبه جارية مستعبدة". ولقد تم اكتشاف حالة "زاهر" التي اتهم فيها باستغلال وضعه من أجل إشباع رغباته، ولكن ماذا عن مئات وربما آلاف الحالات لجنديات ساذجات وقعن أو تقعن ضحية للغرائز الظلامية للمسئولين عنهن..؟ علما بأن القليلات منهن يستطعن الشكوى وكثيرات يفضلن هذا الشكل من العلاقات، الذي يخدمهن أثناء الخدمة العسكرية.!!

وتضيف الصحيفة المذكورة في افتتاحيتها : وحتى هذه اللحظة لم نسمع من كبير ضباط سلاح النسوة، كيف نفسر الارتفاع في عدد حالات الإجهاض بين الجنديات في جيش الدفاع الإسرائيلي، ولا يتعلق الأمر بحالتين في السنة وإنما بأرقام مقلقة من جميع النواحي، ولا ريب أنه لو جرى فحص أساسي بين الجنديات اللاتي قمن بإجهاض أنفسهن لا تضح أن التبعية في العلاقات بين الضابط والجندية يتم استغلالها من قبل القادة بخبث، وكذلك بسبب كون الجنديات ساذجات وضحايا للعزلة.

ومن المهم أن نعرف ما الذي فعله رئيس شعبة الطاقة البشرية إزاء هذا المعطى ، المتمثل في ارتفاع عدد الجنديات اللاتي قمن بإجهاض أنفسهن خلال العام الماضي..؟ كيف يفسرون في جيش الدفاع الإسرائيلي ظاهرة الإجهاض..؟ ينبغي تشكيل لجنة من خارج الجيش لتبلور استخلاصات حول كيفية حدوث مثل هذا الأمر المخزي..؟

إن جيش الدفاع الإسرائيلي يفعل كل شئ من أجل تورط جنوده وضباطه في منظومة علاقات غير أخلاقية - طبقا للشريعة اليهودية و العقل السليم علي الأقل - بدمج جنديات في وحدات ميدانية، وبشكل عام فإن الخدمة العسكرية المختلطة للجنود والجنديات، وخصوصا في صيف إسرائيل الحار، مع الزي العاري بعد ساعات العمل تقود في النهاية إلى حالات اغتصاب كثيرة كما أن فتح ناد للفسق وبتصريح رسمي في تل أبيب هو خطوة جديدة نحو تقويض الأخلاق الخاصة والعامة .

وليست قضية اغتصاب المجندات في جيش إسرائيل هي الشاهد الوحيد على التحلل الخلقي في المجتمع الصهيوني ، بل إن جرائم الشباب من المدنيين آخذة في التزايد أيضا ، فقد كتب موران زليكوفيتش المحرر في جريدة يديعوت أحرونوت بتاريخ 18 يوليو 2005 أنه في الفترة مابين 1996 – 2004 طرأ ارتفاع حاد في معدل جرائم الشباب بوجه عام، وجرائم العنف في المؤسسات التعليمية بوجه خاص، وهذا ما يتضح من البيانات التي طرحتها الشرطة في إطار جلسة لجنة التعليم في الكنيست يوم 2005/7/18.

ويتضح من البيانات أنه في عام 2004 فقط تم فتح 1789 ملفا لحوادث عنف في المدارس – بارتفاع نسبته 100% مقارنة بعام 1996 وخلال الجلسة ، لم يسع أعضاء الكنيست إلى إيجاد حلول عملية ،وإنما اكتفوا بسماع استعراض لنشاط وزارة التعليم في هذا الشأن وقالوا : يجب أن يأتي الرد على العنف في الوقت الحاسم.

وأقترحت "د. بلها نافيه" مديرة قسم الخدمات النفسية بوزارة التعليم، إلزام كل تلميذ يحصل على تقدير سلبي في شهادة حسن السير والسلوك بأداء خدمة عامة، وأضافت " نافيه " أن الوزارة تتحفظ على البيانات الصادرة بشأن ارتفاع معدل العنف وأنه يجب توخي الحذر وألا نتحدث عن ارتفاع معدلات العنف، مشيرة إلى أن هناك برنامجا جديداً لرعاية الأطفال الذين يتسم سلوكهم بالعنف في ساعات ما بعد الظهيرة.

وأضافت ليئا روزنبرج نائبة مدير عام وزارة التربية والتعليم: يتم علاج هذه الظاهرة في وزارة التعليم على صعيدين: الوقاية والعلاج. وعلى حد قولها فإن هناك برامج لرصد بوادر السلوكيات الخطيرة منذ الحضانة وحتى الثانوية العامة. وفي المقابل هناك توجه لمعالجة التلاميذ المتسمين بالعنف في منازلهم ، بهدف إعفاء المدرسة من معالجة هؤلاء الأطفال وفي المقابل اقتراح برنامج علاجي للطفل العنيف.

وقد أشارت المقدم " سوز بن باروخ " رئيسة قسم الأحداث في وزارة الأمن الداخلي إلى أن الوزارة تطرح مشروعا جماهيريا جديدا يحمل اسم "كيدم " وهو مشروع مخصص للشباب في مرحلة ما قبل ارتكاب الجريمة، قبل أن نتدخل الشرطة وتفتح لهم ملفات.

وقد اقترح ران إيريز، رئيس نقابة مدرسى المرحلة الإعدادية أن يكون علاج مرض العنف علاجا وقائيا. وليس مجرد علاج للطفل بعد وقوعه في دائرة العنف.ومن أجل الوقاية من العنف يجب تقنين الوقت في المدارس بشكل فعال ،

وتقليل عدد التلاميذ في الفصل الواحد. وأضاف إيريز مؤكدا أنه ليست هناك أي نتائج فعلية لنشاط وزارة التعليم في هذا الصدد. وأن معدلات عنف التلاميذ ضد المدرسين لم تنخفض.

بينما أشار آفي كمبنسكي رئيس نقابة مديري التعليم في المجالس المحلية، إلى أنه يجب إقامة لجنة إلزامية في المجالس المحلية تتشكل من كافة العناصر التعليمية والرفاه الاجتماعي.

وقد شكا كثير من أعضاء الكنيست من عدم صدور أي قرارات عملية عن اللجنة الوزارية لمكافحة العنف، حتى الآن. ومؤخرا، ألفت عضوتا الكنيست ميلى بوليشوك بولخ وآيثيلا جولان ، لوبي جديدا لمعالجة ظاهرة العنف، وعلى حد قولهما: "برغم أن اللجنة الوزارية تعمل فعليا منذ شهرين، لم نر حتى الآن نتائج على الأرض. ولذلك يجب أن تكون هناك رعاية مؤسساتية لظاهرة العنف، تشمل كل وزارات الحكومة وليس وزارة التعليم فقط، ولذلك، ألفنا اللوبي."

وقال عضو الكنيست يوسى ساريد: خفض معدل العنف في أيدي المجتمع نفسه، لأن هذا أمر لا يهم الحكومة، وعلى حد قوله: ليست هناك ضرورة لسن قوانين، وإنما الوضع يتطلب إنشاء آليات فعالة لتطبيق القانون، فالواقع لا يتغير بشكل كبير أو درامي، ولكن الذي يتغير هو نظرتنا لهذا الواقع.

وفي العدد نفسه من الجريدة ذاتها نشر تقرير بقلم ميرى حاسون ودورون شمير تحت عنوان "مجلس سلامة الطفل : يجب إقام شرطة انترنت". جاء فيه أن مشكلة العنف ضد الأطفال وبين الشباب بعضهم البعض كانت هي الموضوع الرئيسي يوم 2005/7/18 في جلسة الكنيست المنعقدة بمناسب يوم العنف . وقد قام مجلس سلامة الطفل بتقديم ورقة تسجيل موقف للجنة حقوق الطفل، مطالبا فيها بوضع برنامج شامل بعيد المدى لمواجهة حقيقية لمشكلة العنف.

وعلى حد قول معدي التقرير، د. يتسحاق كيدمان وروت نحنسون، فإنه يجب رصد وتحديد مصادر العنف، ومعالجة جذور هذه الظاهرة على صعد الاقتصاد والرفاه الاجتماعي والتعليم والإعلام والتشريع . ويقول كيدمان ونحنسون إنه من أجل وضع برنامج فعال لمواجهة ظاهرة العنف ، هناك ضرورة حتمية لرصد الميزانيات والموارد اللازمة.

ويوصى المجلس في الورقة التي قدمها بإقامة شرطة انترنت لحماية الأطفال من المضامين التي تشجع على العنف والإباحية، على أن يتم إنشاء هذه الشرطة بهدف ضبط ومحاكمة الأشخاص الذين يقدمون عروض مشينة وغير مشروعة للأطفال، وكذلك أصحاب المواقع التي تسمح بحرية دخول الأطفال وإطلاعهم على المضامين العنيفة والإباحية.

وقد نجحت هذه الفكرة في العديد من الدول، على حد قول أعضاء مجلس سلامة الطفل، ومن ثم يجب تطبيقها في إسرائيل أيضا للقضاء على المخاطر التي تهدد الأطفال على شبكة الانترنت.

كما يوصى المجلس بتشديد الرقابة على كل ما يتعلق ببرامج التليفزيون ،وألعاب الكمبيوتر العنيفة، ودخول المواقع الجنسية عبر الهاتف المحمول، فدولة إسرائيل الآن هي الدولة الوحيدة في الغرب، التي لا توجد بها رقابة على المصنفات بالنسبة لألعاب الكمبيوتر الأمر الذي يؤدي إلى تسويق وبيع ألعاب تشجع على العنف بين الأطفال والشباب.

أما بالنسبة للبرامج التليفزيونية، فيوصى المجلس بإعادة النظر فيها، وتحديد معايير جديدة ومشددة عليها، مع فرض حظر تام على عرض إعلانات تشتمل على مضامين عنيفة أو من شأنها التشجيع على العنف.

كما شملت التوصيات مجال التعليم، وكان أولها توسيع نطاق برنامج التغذية المدرسية فوراً، والذي لا يتم تطبيقه تحديداً في المجالس المحلية الفقيرة التي تحتاجه على وجه الخصوص. وبخاصة أن هناك دلائل واضحة تشير إلى انخفاض معدل العنف في المدارس في الأماكن التي يطبق فيها برنامج تغذية مدرسية كامل.

ويوصي المجلس بتقليل عدد التلاميذ في الفصل الواحد إلى 25 تلميذا، وتحسين الظروف المادية في المدارس (بمعنى توفير خدمات أفضل ومنشآت رياضية .. إلخ) حتى يتسنى للتلاميذ قضاء أوقات أطول فيها.وجاء في الورقة أنه يتعين على المدارس الامتناع للأبد عن فصل التلاميذ، بعد أن اتضح أن عددا كبيراً من مرتكبي أخطر أعمال العنف مؤخراً، كانوا من الشباب الذين تسربوا من جهاز التعليم أو تم فصلهم من المدارس، علاوة على ذلك، صدرت توصية بزيادة عدد الأخصائيين النفسيين في المدارس بشكل كبير.

وهناك مشكلة أخرى تطرق إليها مجلس سلامة الطفل، وهي عدم شغل أوقات فراغ كثير من الأطفال خلال أيام الجمعة والأجازات، حيث جاء أن عدم وجود آليات لتفعيل وتوجيه الطاقات، يعد أحد العوامل التي تؤدي إلى السلوك العنيف بين الشباب، ولذلك يجب العمل على إنشاء مراكز لشغل أوقات الفراغ.

وعلى صعيد الرفاه الاجتماعي، يوصى المجلس بتعزيز القوة البشرية التي تعمل على رصد وتشخيص وعلاج الأطفال الذين سقطوا ضحية للتنكيل . كما طالب بفتح مركزين آخرين على الأقل لتشخيص الحالات، حيث لا يوجد الآن سوى مركزين فقط لهذا الغرض ، وخلال فترة انتظار إقامتهما (التي استمرت حوالي ثمانية أشهر) كان هناك مئات الأطفال والشباب حالتهم بالغة الخطورة، حيث كانوا يجوبون الشوارع بدون رابط أو ضابط، ويشكلون تهديدا مستمرا على المجتمع بأسره.

وعلى حد قول أعضاء مجلس سلامة الطفل، فقد طالب لمجلس أيضا بإضافة 300 درجة وظيفية فورا لضباط الصحة النفسية ، وعدد درجات وظيفية مماثل لموظفي الشؤون الاجتماعية في سائر أنحاء البلاد، حيث إن هؤلاء هم الذين يتصدرون جبهة علاج الأطفال والشباب المتورطين في أحداث عنف وجرائم . وجاء في الورقة أن الدرجات الوظيفية المتوفرة الآن لا تتناسب والاحتياجات الفعلية. كما يوصى المجلس بزيادة عدد مراكز الرعاية التابعة لهيئة حماية الشباب بشكل كبير.

وعلى الصعيد القضائي والتشريعي والتنفيذي يؤكد مجلس سلامة الطفل أن هناك قوانين هامة مازالت مجرد قوانين على الورق.. على سبيل المثال القوانين التي تحظر بيع المواد الكحولية والأسلحة البيضاء للأطفال . علاوة على ذلك، يعتقد المجلس أنه يجب تفعيل دور محاكم الشباب، فبرغم الزيادة الكبيرة في عدد القضايا في محاكم الشباب، لم يتغير عدد القضاة منذ سنوات طويلة، حيث يبلغ عددهم 12 قاضيا فقط، وفي ظل الوضع الراهن تكدست القضايا بشدة في هذه المحاكم . الأمر الذي يضر بفاعلية وسرعة الفصل في هذه القضايا.

في إسرائيل: التعليم والعنصرية والدين .. توائم !!

هناك فارق كبير بين العقيدة اليهودية والعقيدة الصهيونية ، فاليهودية ديانة سماوية ، تم تحريفها لتصبح الصهيونية عقيدة سياسة دينية، يرتبط فيه النص التوراتي – بعد تحريفه – بالحلم القومي، بالمطامع السياسية ، بالولع التاريخي بالثروة والمال والنفوذ.

وفيما يتعلق التعليم تضم وزارة التعليم الإسرائيلية جهازين منفصلين:

جهاز التعليم العربي: ويعنى بتعليم أبناء عرب إسرائيل.

جهاز التعليم الحكومي العام: يعنى بتعليم أبناء إسرائيل تعليما مدنيا وتتفرع عنه أجهزة تعنى بما يسمى بالتعليم الحريدي (الحريديم) أي التعليم الديني المنصب على دراسة التوراة. والدارسون في المدارس الحريدية يتم تجنيدهم إجباريا: إما لخدمة الجيش لمدة عام يسمى (عام الحسم) أو في خدمات أخرى مجتمعية تضمن عدم انفصال هؤلاء المتدينين عن مجتمعهم. وقد تعالت في سنوات ما بعد انتفاضة الأقصى 2000 أصوات داخل إسرائيل تنادي بإعفاء الحريديين من الخدمة العسكرية ففي 2005/7/10 نشرت صحيفة "معاريف" مقالا للكاتب الإسرائيلي شني مزراحي عنوانه (31 حريديا فقط يؤدون الخدمة لعسكرية في الجيش الإسرائيلي وجاء في المقال أنه:

بعد ثلاث أعوام من مصادقة الكنيست على قانون تجنيد طلبة المدارس الدينية قانون طال نظر اليوم طاقم قضائي موسع مكون من تسعة ضباط في محكمة العدل العليا في الالتماسات التي قدمت ضده. فقد تم بحسب هذا القانون إقرار تسوية خاصة لتجنيد طلبة المدارس الدينية.

وأثناء مناقشات المحكمة صرح مملو الدولة أنه يوجد الآن في إسرائيل واحد وأربعون ألف وأربعمائة وخمسون طالب مدرسة دينية لم يؤدوا الخدمة العسكرية ، وهو ما يعد الرقم الأكبر منذ إعلان قيام الدولة.

وأثناء مناقشات المحكمة ، كشف النقاب عن أن واحدا وثلاثين حدريديا فقط هم الذين أدوا الخدمة في الجيش الإسرائيلي على مدار السنوات الثلاث الماضية تقريبا منذ أن بات القانون ساري المفعول في نوفمبر 2002.

وحسبما يقول ممثلو الدولة فإن القانون لا يهدف إلى التجنيد بالإكراه ولكنه يهدف إلى أن يؤدي الحريديم الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي وهم راضون بذلك. ومن جانبهم ، أعترف ممثلو الدولة، أثناء مناقشات محكمة العدل العليا، أن القانون يمر بمراحل عشرة.

وقال أوسنات مندل محامية الإدعاء: إذا فرضنا أداء الخدمة العسكرية على الحريديم أو أوجدنا شرطة عسكرية في الأحياء الحريدية ،لكان من شأن ذلك خلق صدع في المجتمع الإسرائيلي وحسب ما يقول ممثلو الدولة فإنه من الصعب للغاية رصد هذا القانون في الوقت الذي لم تنفذ فيه بعد المحفزات المقترحة على الحريديم مثل أداء الخدمة العامة . وقال أحد ممثلي الجيش الإسرائيلي أثناء المداولات أنه يمكن رصد هذا القانون ومتابعة كيية عمله في فترة لا تكون قبل عام 21009/ 2010.

من جانبه طلب القاضي ميخائيل حيشين من الجيش الإسرائيلي إيضاح مدى مسؤوليته في أمر إعفاء الحريديم من الخدمة العسكرية ، قائلا: أريد أن أعرف مدى مسئولية الجيش الإسرائيلي في أمر إعفاء الحريديم من الخدمة العسكرية .. وإذا ما كان ذلك سراً، فأنا مستعد لسماعه بشكل غير علني.

وأظهرت المعلومات التي كشف عنها ممثلو الدولة النقاب، أنه منذ فبراير 2002 تم ترشيح نحو ألف ومائة وخمسة عشر حريديا لأداء سنة الحسم التي ينص عليها القانون ذلك العام الذي يزاولون خلاله عملا معينا إلى جانب دراسة التوراة، ليقررون في نهايتها إذا كانوا سيؤدون الخدمة العسكرية أو العودة إلى الدراسة في المدرسة الدينية.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا العدد الذي رشح لأداء سنة الحسم بمثابة عدد ضئيل للغاية إذا ما قورن بعدد الحريديم المؤهلين لأداء تلك السنة ، الذين يقدر عددهم بنحو واحد وأربعين ألف شاب.

وأثناء مناقشات المحكمة، قالت شيرونا برتم" من اتحاد الطلبة في الجامعة العربية، جئت إلى هنا لأمثل شريحة كاملة ممن يدفعون ثمن قانون طال . واقصد أولئك الطلبة الذين خدموا في الجيش الإسرائيلي ولكنهم يريدون أيضا أن يدرسوا .. ولكن ليس هناك من يهتم بهم لأنهم غير متدينين.

قال كل من أورى كيدر المحامي الذي يمثل حزب يا حد / ميريتس – ويسرائيل أحيرت اللذان قدما التماسا ضد القانون : كيف تقول الحكومة إن الهدف من قانون طال هو دمج الحريديم في المجتمع الإسرائيلي في الوقت الذي يجئ فيه هذا القانون ويعفي هذه الشريحة من أداء الخدمة العسكرية في المجتمع الإسرائيلي .. فها نحن نرى أنه لم يؤد الخدمة العسكرية من الحريديم على مدار السنوات الثلاثة الماضية تقريبا سوى نحو واحد وثلاثين حريديا.

من جانبه ، قال إلعاد شيرجا المحامي رئيس حركة نزاهة الحكم: لقد اعترفت الدولة بأن هذا القانون بمثابة نقطة سوداء إذ أنه يميز بين شخص وآخر، ويعطى لفئة معينة ميزات لا يتمتع بها الآخرون.

وتعليقا على مناقشات المحكمة قال عضو الكنيست حامي دورون (شمينوى): أي إثبات آخر تريده الحكومة حتى تنتفض ضد التمييز الذي يقوم به الجيش لصالح الحريديم في مقابل باقي جيل الثامنة عشرة في الدولة؟ وكان القاضي حيشين قد لمح إلى أن هذا التمييز يحدث على خلفية سياسية، وأن ذلك لا يصح في دولة عدد من يؤدون الخدمة العسكرية في جيشها آخذ في التناقص عاما بعد آخر، هل تعتقدون أن آلاف الأمهات الإسرائيليات ينتظرون حتى يجند أبناؤهن في سنة السابعة عشرة سدا للعجز في القوى البشرية في الجيش الإسرائيلي ..؟ لابد من منع حدوث ذلك.

وفي تاريخ 2005/7/4 كتب موران زليكوفيتش في صحيفة يديعوت أحرونوف عن توقعات بأن يزداد عدد من سيتعلمون تعليما دينيا في إسرائيل حتى العام 2005 بحيث يصل إلى ربع عدد طلاب المدارس ممن هم في سن التعليم قبل الجامعي. وقال الكاتب: في غضون أربع سنوات سيدرس تلميذ من بين كل أربعة تلاميذ إسرائيليين في التعليم الحريدي، وسيرتفع عدد الدارسين في التعليم الحريدي بانضمام 75 ألف تلميذ إليه كما سيزيد عدد المدرسين فيه بحوالي 6200 مدرس.

ينشر المكتب المركزي للإحصاء اليوم توقعاته لجهاز التعليم في عام 2009 ، ويعرض صورة للوضع ، يتضح بموجبها أن الجمهور الحريدي كانت لديه أسباب وجيه لرفض المشاركة في تطبيق تقرير دُفرات.

وبينما درس تلميذ واحد من بين كل عشرة تلاميذ في عام 1992 في جهاز التعليم الحريدي فإن الصورة ستختلف خلال أربع سنوات فقط، حيث تفيد التوقعات بأن النسبة ستصل إلى 4: 1

وتتجاهل التكهنات الراهنة الإصلاحات التي طرحها دُفرات ،ولا تأخذ بعين الاعتبار التأثيرات المحتملة التي قد تنجم عن تطبيقها ، كما لا تهتم التكهنات أيضا بالتغيرات المستقبلية في سياسة وزارة التعليم.

ووفقا للتوقعات، فمن المنتظر أن يزيد عدد التلاميذ في جهاز التعليم العام ليصل إلى نحو 1.4 مليون تلميذ. من بينهم سيزيد عدد الدارسين في التعليم الحريدي بحوالي 75 ألف تلميذ، وفي جهاز التعليم العربي بحوالي 65 ألف وفي المقابل سيقل عدد الدارسين في جهاز التعليم الحكومي ، الذين يمثلون الأغلبية الآن بحوالي 42 ألف تلميذ.

وتعقيبا على ذلك، قال رئيس حزب شاس عضو الكنيست الإسرائيلي إيلي بشاي: " ليس هناك ما يستدعى الخوف من التكهنات فهي في صالح شعب إسرائيل ، فعندما يدرس ربع تلاميذ إسرائيل في التعليم الحريدي ستنخفض معدلات العنف والجريمة في جهاز التعليم بأكمله،وسيكون من الطبيعي أن يقوم تلميذ جهاز التعليم الحريدي ، الذي تربي على القيم والتقاليد الإسرائيلية بنشر ما تعلمه على تلاميذ أجهزة التعليم الثلاث الأخرى.

وقال أورن شالوم، رئيس جمعية "حرس التعليم" أن المشكلة ليست في الحريديم ولكن في وصمة العار التي ستلطخ جبين الدولة، فتكهنات المكتب المركزي للإحصاء لا تدلل على نجاح التعليم الحريدي، وإنما على فشل التعليم الحكومي والمسئولين عنه، فوزارتا التعليم والمالية ونقابات المدرسين مسئولين عن الإهمال الشديد الذي يحدث لأطفال إسرائيل.

وقد آثار إعراض طلاب المدارس الدينية عن الخدمة العسكرية تأثرة بعض كبار القادة العسكريين ولا سيما رئيس هيئة أركان الجيش الفريق "دان حالوتس" الذي قام – حسب ما نشرته جريدة يديعوت أحرونوف ضمن تقرير أعده شارون رومفيه أوفير، وحانان جرينبرج في عددها الصادر يوم 28 يونيو 2005 ممارسة ضغوط شديدة على رؤساء المدارسة الدينية العسكرية والمعاهد الدينية السابقة للتجنيد، بل وهدد ضمنيا أيضا بإغلاقهما، بسبب تفشي ظاهرة رفض الخدمة فيهما.

وإزاء مظاهر الرفض والخوف من ازدياد حجم كرة الثلج مع اقتراب موعد فك الارتباط، أوضح رئيس هيئة الأركان أنه لا ينوى التسامح مع هذه الظاهرة رغم اعتقاده بأن حجمها ليس كبيراً.

وفي الجولة التي أجراها رئيس هيئة الأركان بمرافقة وزير الدفاع لإحدى قواعد المدفعية شمالي إسرائيل ، طولب بالتطرق إلى قضية الجندي رافض الخدمة آفي بيبر الذي تمت محاكمته بالسجن لمدة 56 يوما فأجاب قائلا: هذه رسالة قاطعة ...لن نتسامح مع رافضي الخدمة .

وأضاف حالوتس: إن الجندي تمت محاكمته بالسجن، وإننا لا نقيس رد الفعل بالأيام . وعندئذ ألقي بالقنبلة،حيث قال: الكلام قاطع لكل من يدعون لرفض الخدمة وإننى أوجه كلامي تحديداً لرؤساء المدارس الدينية العسكرية والمعاهد الدينية السابقة للتجنيد.

وقال الفريق حالوتس:" لا يمكن اللعب على الجانبين، عن طريق دعوة الجنود لرفض الخدمة ، والتمتع بمزايا المدارس العسكرية التي يمنحها الجيش الإسرائيلي في الوقت ذاته. كما لا يعقل أن تحظى بمزايا ولا تفي بما عليك من التزامات . فذلك الوضع لن يستمر إذ بات الأمر ظاهرة مألوفة.. و اللبيب بالإشارة يفهم.

وتعقيبا على ذلك: قال زفولون أورليف عض الكنيست عن حزب المفدال ، إنرئيس الأركان يلفق فرية كاذبة لرؤساء المدارس الدينية العسكرية والمعاهد الدينية السابقة للتجنيد. وعلى حد قوله، فإن ثمة أحد من رؤساء المدارس الدينية العسكرية والمعاهد الدينية السابقة للتجنيد لم يدع ولو حتى بالتلميح إلى رفض تنفيذ الأوامر العسكرية

أو إلى عدم الانصياع للقانون. ويقول : إنني أطالب وزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان العامة بالاعتذار لرؤساء المدارس الدينية العسكرية وبأداء التحية العسكرية لجنودهم، الذين يعتبرون الآن الركيزة القتالية والقيادية في الجيش الإسرائيلي.

ورغم هذا التلميح اللاذع، طولب المتحد باسم الجيش الإسرائيلي بإيضاح أن حالوتس لم يكن يعني ما قال بشأن إمكانية إغلاق المدارس العسكرية الدينية، وقد نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت أمس أنه في أعقاب خطاب وصل إلى مكتب حالوتس يتضمن تهديدات لرئيس الأركان ، تم تعزيز الحراسة على منزله.

جديرا بالذكر أنه في إطار مسار المدارسة العسكرية الدينية يتجند في الجيش الإسرائيلي سنويا أكثر من 1200 جندي يدرسون في عشرات المدارس الدينية المنتشرة في سائر أنحاء إسرائيل وعندما يصل الشباب إلى مكتب التجنيد في سن 18 عاما، بعد انتهائهم من الدراسة، يوقعون على بطاقة الخدمة غير مدفوعة الأجر، والتي بموجبها يكون لزاما عليهم الدراسة في المدرسة الدينية لمدة خمس سنوات ،وقضاء سنة وأربع أشهر ما بين هذه المدة في الخدمة في الجيش.. ويتجند أبناء المدارس الدينية العسكرية ككتلة واحدة في كل دورة تنضم إلى لواء جديد، وإذا كانت لياقتهم البدنية أقل، يتم إلحاقهم بسلاح المدرعات أو المدفعية أو الوحدات الميدانية أو وحدات الجبهة الداخلية،

ومنذ بضعة أشهر طرح رئيس شعبة القوة البشري فكرة أن يتم توزيع أبناء المدارس الدينية العسكرية على الفصائل المختلطة فور بداية خدمتهم، وقد أثارت تلك المبادرة عاصفة في الجيش الإسرائيلي الذي رأى فيها محاولة لتفكيك هيكل المدارس العسكرية الدينية.

والمؤسف والعجيب أن هذه الدوامات تعتمل داخل النظام الصهيوني في استماتة لربط العقيدة بالدين بالجندية،وعلى الجانب الآخر يجتهد العرب في فصل الدين عن التعليم عن السياسية عملا بما أوصى به إليهم كولن باول وزير الخارجية الأمريكي السابق ضمن مشروع ما سمى بالشرق الأوسط الكبير الذي لم يتضمن أي نقد للتعليم الصهيوني !!!.

كيف يفكر الصهاينة ؟

لاشك أن العقول العربية مفتوحة يسهل التعرف على ما فيها من أفكار وتطلعات ومطالب فالعرب يعبرون عما في داخلهم بسهولة ويسر .. ولكن الرأي العام العالمي يعتبر أن هذا أدني أنواع السفه السياسي لذلك يستهين العالم بالعرب عموما إلا القليل من الأذكياء الذين استطاعوا بعد طول صبر أن يحصلوا على ما يريدون.

يحدث ذلك كله برغم أننا - نحن العرب - نمتلك قدرا كبيرا من الأمثلة والحكم والأقوال المأثورة التي لو استخدمناها لكان لها أعظم الأثر في حياتنا مثل: "المرء مخبوء خلف لسانه فإذا تكلم ظهر" وأيضا:" أظهر لي سلاحك أخشاك .. أظهر لي لسانك أقضى عليك".

إذن نستطيع أن نقول إن الرأي العام العربي واضح دائما ، ومطالبه واضحة منذ عام 1948 م وحتى الآن فعلى المستوى السياسي : لم يختلف كثيرا طوال نصف قرن أو أكثر، فكل ما نريد مطروح على موائد الأمم المتحدة ومجلس الأمن ولا جديد.

فهل يختلف الرأي العام الإسرائيلي والسياسات المختلفة للحكومات المتعاقبة في إسرائيل عنه في الوطن العربي؟

للإجابة على هذا التساؤل دعونا نغص في بعض العقول الإسرائيلية من خلال بعض الآراء التي نشرت بالفعل في جرائد إسرائيلية عن موضوعات كثيرة هي بالفعل موضوعات الساعة على الساحة العربية والإسرائيلية.

"400 شهيد هم حصيلة أبنائنا الإسرائيليين الذين استشهدوا منذ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية المشئومة في سبتمبر 2000 حتى الآن .. هكذا بدأ "إيتان ديان" الموظف في بورصة تل أبيب مقاله في صحيفة هاتسوفيه في 2002/3/7" واستطرد يقول:

"والواقع أن ذلك رقم قياسي وكبير، لم يكن يخطر على بال أي شخص خاصة مع القوة الأمنية والعسكرية التي تتمتع بها دولتنا التي لا تقارن بأي حال من الأحوال بقوة الفلسطينيين. إلا أن بلادنا برغم ذلك تتعرض لعدوان بشع لم يتمكن أحد من إيقافه حتى الآن".

هكذا أقر " إيتان ديان" بعجز إسرائيل - برغم قوتها في نظره - عن القضاء على [أو حتى وقف] الانتفاضة .. ولكن هذا الكلام غير صحيح في مجمله لأن إسرائيل تستطيع بالفعل تدمير الشعب الفلسطيني الأعزل غير أن إسرائيل تريد أن تظهر أمام العالم أنها تقاوم الإرهاب وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وعلى الجانب الآخر تريد إسرائيل إظهار العرب وخاصة الفلسطينيين على أنهم يشجعون الإرهاب وأن الأراضي العربية مرتع خصب لتنامي الجماعات الإرهابية ، وعلى العالم الوقوف بجانب إسرائيل لضرب الإرهاب.!!

ثم أضاف "إيتان ديان" منتقدا اتفاقات أوسلو بشدة :

"ويجب أن نعترف أن اتفاقيات السلام وقفت عاجزة أمام ذلك الإرهاب حيث توجد في كل اتفاقية ثغرات قوية تجعل إسرائيل غير قادرة على القيام بدورها الكامل في حماية أبنائها. فعلى سبيل المثال لو تفحصنا "إتفاق أوسلو" المشئوم. سنجد أنه لم يغلق ملف عودة اللاجئين أو مشكلة "القدس" ولم يفرض عقوبات على كل من يترك طريق التفاوض والحوار السياسي وينتقل إلى طريق العنف . كما لم تتضمن أية اتفاقيات عدم استخدام الفلسطينيين للسلاح ضد الإسرائيليين أو وضع عقاب رادع لهم حال تجاوزهم الخطوط الحمراء."

ثم أضاف "إيتان ديان":

"وتتطلب تلك المشكلة ضرورة تدخل جميع من وقعوا على "اتفاقية أوسلو" وغيرها من الاتفاقيات المهيئة لنا مع العرب ويتواجدون على قيد الحياة من أجل محاكمتهم وعرضهم على القضاء لأن الأمن، كما يعلم الجميع. هو النقطة الهامة والحساسة بالنسبة لنا، وإن لم تراع الاتفاقيات تلك النقطة، فإن ذلك يعد سببا كافيا لمحاكمة هؤلاء المسئولين وجميع من اشتركوا معهم في تلك الجريمة، كما نعلم أيضا أن التوقيع على اتفاقية سلام مع العرب هو أمر ليس بالهين، ويتطلب توخي الحذر، لأن العرب "ماكرون" ويكرهوننا ويريدون استغلال أية فرصة للقضاء علينا، وهو ما يفرض علينا الانتباه جيدا للألاعيب التي يقومون بها،

ومن هذا المنطلق يجب الحذر من المقترحات السعودية وغيرها من مبادرات السلام، كما يجب أن نحدد ونقرر ما هو المهم وغير المهم بالنسبة لنا .. ؟ وما هي بالتحديد المناطق التي من الممكن التنازل عنها والانسحاب منها، والمناطق التي لا يجب أن يفرط فيها ..؟ وبالتأكيد، العالم يتفهم الآن وجهة نظرنا، بشكل يجعلنا أصحاب اليد العليا في توجيه أية اتفاقية أو معاهدة سلام على أي طرف لصالحنا".

هذا كان رأي موظف البورصة ومعنى هذا أننا لا يجب أبدا أن نستهين برأيه لأنه يعبر بدقة عن وجهة معينة من الفكر الذي يسود في اللاشعور الجمعي للصهاينة العنصريين الذين لا يستطيعون تقبل فكرة " التعايش السلمي " .

أما " يوئيل يهودا" عامل غرفة خلع ملابس في ناد رياضي فقد كتب مقالا بعنوان (انتصاراتنا الرياضية ضرورة لغيظ العرب" نشر في جريدة " معاريف " بتاريخ 2002/3/19". قال فيه:

"حسنا فعل أولادنا الشجعان البواسل أعضاء فريق "هبوعيل تل أبيت".. إنهم فعلا إسرائيليون عظماء استطاعوا برغم كل الصعوبات ، تحقيق الفوز على فريق "بارما" الإيطالي وتخطي عقبته".ومن الجدير بالذكر أن سر فرصة "يوئيل يهودا" يرجع إلى أن الاتحاد الأوربي قد قرر عدم إقامة أي مباريات على الملاعب الإسرائيلية لأسباب أمنية. وأيضا وكما يقول "يوئيل":

"يكمن سر فرحتنا في أننا نتأكد يوما بعد يوم أننا نحن الإسرائيليين نزداد صلابة وقوة مع الأزمات والمصائب التي تتعرض لها، وأبرز مثال على ذلك قوة صلابتنا في مواجهة" طوفان الإرهاب الأصولي الفلسطيني" ومحاربتنا للمغيرين الانتحاريين الفلسطينيين الذين يريدون حرق دولتنا وقتل المدنيين بلا أدنى رحمة ، ويكفي التضامن الذي نظهره كإسرائيليين مع كل شهيد أو شهيدة تسقط في العمليات الإرهابية والحضور القومي الملموس لجنازات هؤلاء الشهداء والتعاون الواضح مع عائلاتهم وأبنائهم وهذه الروح الإسرائيلية هي التي كانت مسيطرة على لاعبينا في المباراة الأخيرة".

وأضاف "يوئيل يهودا قائلا:

"ومما يزيد من سعادتي ، أن فوزنا الذي حققناه لم يكن موجها فقط إلى أوروبا أو العالم فقط وإنما أيضا إلى هؤلاء العرب الذين أعلنوا عن سعادتهم الشديدة بقرار "الفيفا" بنقل المباريات من إسرائيل".

إذن حتى على الساحة الرياضية في إسرائيل يصير الشعب الإسرائيلي على مجابهة العرب وتحقيق انتصارات رياضية لم يكن العرب طرفا فيها. هم فقط يريدون تحقيق الذات في كل المجالات. هذا العامل يكتب مستثمرا النصر الرياضي الذي حققه فريقهم القومي ، في إثارة نزعة التعصب العرقي ضد العرب .

وننتقل إلى آراء أخرى في إسرائيل لا تقل أهمية من وجهة نظري عن تلك التي عرضناها وهي آراء قد تلاقي استحسانا لدى العرب لكنها أبداً لن تجد نفس الاستحسان لدى الحكومة الإسرائيلية.

منها على سبيل المثال ما كتبه الخبير الاقتصادي "امنون بورتجالي" بعنوان "على حافة الانهيار " وبثته إذاعة صوت إسرائيل بتاريخ 2002/9/3" والذي يقول فيه:

"جميعنا يعلم المصائب التي تعرض لها أجدادنا القدماء على مر التاريخ وكان كثير منها للأسف الشديد يحدث بسببنا نحن وبدون تدخل من أحد، ومثال ذلك التمرد الذي قاده اليهود ضد روما وأدي إلى خراب الهيكل ، وثورة "باركوخفا عكيفا" التي أدت إلى خراب مملكة يهودا . ويبدو لي وللأسف الشديد أننا نسير في طريق مشابه لطريق تلك الثورات، فالاستثمارات الهائلة التي توظفها الحكومة في المستوطنات، وتحالف القوى المتطرفة من جماعات قومية ودينية متشددة – وهي الجماعات الهادفة إلى إنشاء دولة متطرفة دينيا – والعمليات العسكرية العدوانية التي يشنها الجيش الإسرائيلي ضد المدنيين الفلسطينيين، بالإضافة إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية كل ذلك سيؤدي في النهاية إلى ضياع دولتنا العزيزة التي تكبدنا من أجلها تضحيات مريرة ".

وهكذا تبدو هناك آراء وأصوات في إسرائيل تريد تحقيق السلام والعيش المستقر غير أنها غير مؤثرة وغير مسموعة من قبل الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة.

ويضيف أمنون بورتجالي:

"... وأحب أن أوجه رسالة إلى القيادات العلمانية أحذرهم فيها من أن إسرائيل أصبحت على وشك الانهيار ويجب عليهم التحرك من أجل إنقاذها بسرعة، ولا يخفى على أحد أننا نسير في طريق الانهيار والضياع منذ حرب 1967م حتى الآن منذ أن بدأت حمى الاستيطان في المناطق المحتلة".

والحقيقة أن العنف والاستيطان لن يجلبا لإسرائيل إلا مزيدا من العنف والمقاومة فلا جدوى من كل ما تفعله إسرائيل من الاستيطان والاستيلاء على مزيد من الأرض فقديما قالوا:" ماذا تستفيد من أرض لا تستطيع أن تزرعها".

لماذا يقلق الصهاينة ؟

إن التردي الأمني، والتفسخ الاجتماعي، وانتشار الدعارة، والعنف، كلها عوامل تؤدي إلى تزايد وتيرة القلق لدي الصهاينة، فطبقا لاستطلاعات رأي حديث ظهر أن 88% من سكان إسرائيل قلقون. وقد جاء في تقرير نشرته صحيفة يديعوت أحرونوت في 2006/6/3 أن واحدا من بين كل عشرة إسرائيليين يقول إنه أو أحد أقاربه سقطوا ضحية العنف الذي اجتاح البلاد خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة ..

وقالت الصحيفة الصهيونية : "ظاهرة العنف في المجتمع الإسرائيلي تثير القلق بين الجمهور أكثر من الوضع الأمني" هذا ما يظهره استطلاع للرأي أجراه معهد استطلاعات الرأي (مأجر موحوت) لحساب جامعة تل أبيب. ويستقصى الاستطلاع نسبة القلق بين الجمهور الإسرائيلي حيال العنف الظواهر المقلقة. وقد وصف 25% من الجمهور الإسرائيلي ظاهرة العنف بأنها الظاهرة الأكثر إثارة للقلق. في مقابل20% فقط قالوا إنهم قلقون من الوضع الأمني، بينما قال 16% أنهم قلقون من الوضع الاقتصادي. في حين أشار الاستطلاع إلى أن 12% من الجمهور ينتابهم القلق من حوادث الطرق.

وقد وضع القائمون على الاستطلاع. في قسم الإدارة بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة تل أبيبن ما يسمى بـ"مقياس القلق"، وهو المقياس الذي يتكون من عدد من الاسئلة تم عرضها على المشاركين في الاستطلاع. وقد خلصوا إلى استنتاجات مقلقة: فقد بلغت النسبة في مقياس القلق 88% مما يعني أن 88% من المشاركين في الاستطلاع أجابوا بأنهم قلقون أو قلقون جداً من ظاهرة العنف في المجتمع الإسرائيلي، في حين أجاب أكثر من ثلثي المشاركين في الاستطلاع. وهم حوالي 68% بأنهم قلقون جداً، وقد ارتفع مؤشر العنف بنسبة 3%، في مقابل استطلاع مماثل أخرى في يناير من عام 2005، وارتفع بنسبة 5% في مقابل الاستطلاع الذي أجرى في شهر يوليو من عام 2004.

وقد أجرى الاستطلاع خلال شهر ديسمبر عام 2005، بين عينة شملت 1204 أشخاص وهم يمثلون نسبة السكان الناضجين في إسرائيل، وقد تم جمع بعض بيانات الاستطلاع خلال شهر إبريل 2006 بواسطة إجراء استطلاع هاتفي للرأي شمل عينة مقدارها 400 شخص.

ومن نتائج الاستطلاع التي أقلقت الصهاينة أن " واحدا من بين كل عشرة إسرائيليين يقول إنه هو أو أحد أقاربه سقطوا ضحية للعنف" فقد أفاد أكثر من 10% من المشاركين في الاستطلاع أنه خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة، هم أو أحد أفراد عائلتهم أو أحد أقاربهم قد أضير أو وقع ضحية أحداث عنف. وهذه النسبة لم تتغير مقارنة باستطلاعات سابقة أجريت في شهر يناير 2005 ويوليو 2004.

كما أظهر الاستطلاع أن هناك عددا من مظاهر العنف يأتي من أبرزها: السب، البصق،التهديدات ، والابتزاز وتصل نسبتها إلى (22%) بينما بلغت نسبة أحداث الشغب الجماعية، الضرب، تدمير الممتلكات ، والحرائق (11%)، في حين بلغت نسبة استخدام السلاح الأبيض ، أو السلاح الناري (4%)، ونسبة التحرش الجنسي والاعتداءات الجنسية والاغتصاب (2%). وفي المقابل، أفاد 1% من المشاركين في الاستطلاع بأنهم أو أقاربهم كانوا شهود عيان على وقوع عملية قتل.

ومن ناحية أخرى تعتقد نسبة 7% من المستطلعة آراؤهم أن اهتمام مؤسسات الدولة المختلفة بظاهرة العنف هو اهتمام مؤسسات الدولة المختلفة بظاهرة العنف هو "اهتمام غير مرضي"، بينما يعتقد 20% من المشاركين في الاستطلاع أن الاهتمام متوسط، بينما قال 6% أن الاهتمام مُرض.

الأسرة تعرف كيف تواجه العنف:

وترى " موران زليكوفيتش " في مقال منشور في جريدة " يديعوت أحرونوت " يوم 2006/6/3 أن الأسرة الإسرائيلية هي الجهة الأفضل والأكثر فاعلية في الحيلولة دون وقوع العنف. فقد ذكر 61% من المستطلعة آراؤهم أن مواجهة العنف داخل الأسرة هي الأفضل على الإطلاق من حيث نجاعتها، بينما قالت نسبة 52% من المشاركين في الاستطلاع – من نود الجيش الإسرائيلي- أن مواجهة العنف داخل الجيش هي الأفضل من حيث الفاعلية. وفي حركات الشباب أشارت نسبة 47% فقط إلى أن المواجهة هي جيدة أو جيدة جداً، بينما بلغت نسبة مواجهة العنف في المنظمات التطوعية 12%.

وبالنسبة لعنف الشباب، داخل الحانات، أفاد 13% من المشاركين في الاستطلاع بأن الشباب في محيطهم الأسرى وقعوا ضحية العنف خلال قضاء أوقات الفراغ في الحانات. وأجاب (54%) من المشاركين بأنهم لا يعتقدون أن أولياء الأمور لا يمكنهم أن يكونوا مطمئنين بأن أولادهم لن يضاروا من مظاهر العنف في الحانات.

وقد أرجع الجمهور أسباب العنف في النوادي إلى نظام تعليمي معيب في المدرسة وجهاز التعليم. فضلا عن عدم وجود توجيهات داخل المنزل، وتناول المشروبات الكحولية والمسكرات.

وتتساءل سطور المقال المذكور بحسرة : " ما العمل إذاً من أجل منع عنف الشباب في الحانات..؟ لقد ذكرت نسبة 77% من المستطلعة آراؤهم أن تشديد العقوبات في المنظومة القضائية سيساهم إلى حد كبير في ذلك. وقد أشار نسبة مماثلة من المستطلعة آراؤهم أن تقليص الفارق الزمني بين ارتكاب المخالفة والمثول أمام القضاء سيساهم بشكل كبير في الحد من العنف، بينما أجاب 72% من المشاركين في الحد من العنف، بينما أجاب 72% من المشاركين بأن التفتيش الذاتي عند دخول النوادي ومصادرة جميع الأسلحة سيساهم بقدر كبير في ذلك.

وقد صرح البروفيسور:" جيورا رهف"، الأستاذ بقسم علم الاجتماع والأنثربولوجيا، في حديث لصحيفة "يديعوت أحرونوت" بأن "الاستطلاع يشير إلى عدم وجود تناسب بين إمكانية التعرض للخطر بالفعل وبين رد الفعل الانفعالي للخطر". وعلى حد قوله، فإننا بصدد ظاهرة معروفة" " هكذا على سبيل المثال تظهر استطلاعات الرأي العالمية، وكذلك الاستطلاعات الحالية، أن الجماعات التي تخالف إلى حد كبير من الإصابة بالضرر، مثل النساء والمسنين، هي الجماعات الأقل ضرراً عن غيرها.

وهذا الوضع يمكن أن نلحظه في الاستطلاع الذي نحن بصدده، فعلى سبيل المثال، نرى أن الجماعات الأكثر تضرراً هم الشباب، ذوو التعليم المتوسط فصاعداً ، ممن ولد آباؤهم في إسرائيل ، وفي مقابل هذا ، يبرز القلق من العنف بشكل كبير بين البالغين، الناس وذوي الثقافة المتدنية، وهم أبناء الآباء لم يولدوا في إسرائيل".

ومن جانبه، صرح البروفيسور "يتسحاق كاتس"، أحد معدى هذا الاستطلاع، في حديث أيضا لصحيفة "يديعوت أحرونوت" بأنه "توجد نسبة كبيرة تصل إلى 88% من الجمهور ينتابها القلق أو قلقة جداً من العنف، بيد أن القليل منهم فقط يفيدون بوقوع أضرار فعلية. فهناك فجوة شاسعة بين القلق والضرر. وهنا يظهر التناقض. فمن جانب يفيدون بأنهم قلقون جداً، ومن جانب آخر يقولون إنهم لم تلحق بهم أضرار. واعتقد أن الفجوة نابعة من أن هذا موضوع حيوي ومطروح على جدول أعمال العام. فكل واحد يعرف شخصا أضير من العنف، لكن حينما نستمع إلى شهادات بعض الأشخاص، نجد أن الشوراع لا تمثل خطورة إلى هذا الجد".

أسباب أخرى للقلق :

على أن العنف المجتمعي ليس وحده سبب القلق الذي يعيشه المجتمع الصهيوني بل إن نمو المشروع التكنولوجي الإيراني يلقي الرعب والقلق في قلوب الصهاينة ربما بصورة أشد مما يسببه عنف الشباب ، ففي حوار أجراه الصحفي آرى شابيط مع بنيامين نتنيايو زعيم حز الليكود ونشرته صحيفة هاآرتس في2006/6/1 تحدث نتنياهو عن قلقه الشخصي بصراحة تامة ، فحين سأله الصحفي المذكور : إلى أي حد تقلقك إيران .. ؟ أجاب " نتنياهو " :

إلى حد بعيد لكن الأمر لا يقتصر على إيران وحدها. فمشكلة التسلح النووي قد تمتد لدول أخرى. لازال الكثيرون لا يفهمون ذلك. لكن قريبا ستشرق شمس جديدة. وسنبدأ عصراً جديداً. وسنواجه عالماً مختلفا، وهذا العالم الجديد ينبغي أن يقض مضاجع كل إنسان عاقل".

وحين سأله الصحفي عما يقصد..؟ قال :

لقد تميز القرن التاسع عشر بالنظام والاستقرار النسبي. وباستيعاب الدرس الذي تعلمته أوروبا خلال 500 سنة من الحرب، يجب التوصل لحلول وسط وتسويات. أما القرن العشرون فقد شهد حالة شاذة بارزة للتصور المستنير لإدارة العالم – النازية. صحيح أن الشيوعية تجاهلت الطبيعة البشرية عند إدارة المجتمع والاقتصاد، لكنها أبدت مسؤولية كبيرة في الحيلولة دون وقوع حرب عالمية.

ومع ذلك، فإننا نواجه اليوم نوعا من الإسلام يرفض الحل الوسط والتعايش، ويؤمن بضرورة إخضاع الأعداء بقوة السيف من أجل إعادة نظام الحكم الإسلامي في العالم. وعندما يكون هذا السيف سيفا نووياً. سيختلف العالم تماماً.. وستتواجد البشرية جمعاء عند نقطة مختلفة من التاريخ. وما كان يصلح لمواجهة الاتحاد السوفيتي سيكون غير ذي جدوى هنا. سنجد أنفسنا نواجه برابرة جدداً.. تحد لم تواجهه الحضارة الغربية قط".

ويبدو أن إجابات " نتنياهو " قد سربت القلق والهلع إلى نفس الصحفي الذي سأله في رعب واضح : هل تمثل إيران تهديداً للبشرية..؟ فقال :

نعم . المشكلة هي أن العالم انتصر على البرابرة منذ عصر ألكسندر المقدوني وحتى وقتنا هذا. وقد منحت الحرية المقاتلين الدافع الكبير وسلحتهم بالعتاد الأكثر تقدما لكننا الآن نواجه احتمال أن تتمكن دول ضعيفة ومتعصبة من تسخير الموارد من أجل امتلاك قنابل نووية. تكفي رأس صاروخية نووية واحدة لتغير تماما ميزان القوة في مواجهة الغرب. ولذلك فإننا نواجه أشد الأوقات مأساوية. هناك قوتان خارقتان في الوجود البشري على وشك التصادم: الجانب المظلم في الطبيعة البشرية والسلاح النووي لا يوجد تشبيه تاريخي لهذه اللحظة. هذه لحظة فارقة في تاريخ البشرية. **!!**

من الحماقة عدم الحوار مع حماس !!

يأسف الإنسان كثيراً حين يرى بعض الأنظمة العربية أشد حرصا على مشاعر الصهاينة وحياتهم ومستقبلهم أكثر من الصهاينة أنفسهم !!

فالعنوان الذي وضعناه لهذا المقال، هو بنصه وفصه عنوان مقال كتبه "جدعون سامت" في صحيفة هاآرتس يوم 31 مايو (2006) وفيه يتبنى الكاتب الصهيوني فكرة توبيخ حكومته التي تدير ظهرها لحكومة حماس المنتخبة ديموقراطيا فيقول: إن السياسة الإسرائيلية في مواجهة حكومة حماس الفلسطينية تتصاعد منها أبخرة غير جيدة تتم عن الحماقة، والجمود وصعوبة تذكر دروس الماضى.!!

وهناك شئ آخر سيئ يفوح من الكلام الأخلاقي لقادة إسرائيل وأمريكا فيما يتعلق بحماس. والخطأ الفادح، الذي يصل إلى حد الحماقة، هو أن الرفض الشديد للحوار مع حماس يضر بالمصلحة الإسرائيلية. علما بأن هذه المعارضة الشديدة تتناقض سياسة أولمرت، التي تنص على إيجاد سبل للتفاوض مع الفلسطينيين قبل أن يفي بوعده الكبير بالانسحاب من معظم أراضي الضفة الغربية، كيف يعتزم رئيس الحكومة إذا إقناع الناس عن طرق هذه التصريحات إذا كان سيفعل ذلك دون حوار مع حكومة حماس، ودون منحها الفرصة للإدلاء برأيها..؟! ثم كيف يرد أولمرت على اليد الممدودة للرئيس الفلسطيني المنتخب بالمفاوضات بعدم الرغبة في مصافحة يده الممدودة .. ؟!

ويستشهد "جدعون سامت" بموقف سابق لحكومة إسرائيل حين فتحت حواراً مع منظمة التحرير الفلسطينية، أسهم في تقريب وجهات النظر ،وحقق مكاسب حقيقية للصهاينة بالاعتراف بهم فيقول : " من تابع عن كثب الانقلاب السياسي الذي قام به إسحاق رابين بالحوار الذي فتحه مع منظمة التحرير الفلسطينية وما أدي إليه من توصل لاتفاقية أوسلو ، لا يمكنه أن يتعجب من محاولة تجريد حركة حماس من إنسانيتها اليوم. لقد كانت منظمة التحرير الفلسطينية آنذاك لعنة كبيرة، وقد تم الزج بداعية السلام "أبي ناتان" في السجن لأنه تحدث مع أعضاء الحركة الرائدة في المنطقة (الفلسطينية)، وتم تحذير عيزرا فيتسمان هو الآخر من أن يلقي نفس المصير حال لقائه بهم مرة أخرى. كما فعل في روما من قبل وقد تعالت الأصوات المنددة بشيطنة عرفات بصورة لا تقل عن جوقة الرفض الحالية لإسماعيل هنية.

إن حماسة المعارضة الإسرائيلية تلغي أي فكرة مغايرة وهي لا تدرك (أي المعارضة) أن معارضتها موجهة ضد منظمة صعدت إلى الحكم في النهاية بصورة مشروعة، ولا يمكن التوصل لأي اتفاق هنا دون مشاركتها. كما أنه من غير المعقول أن المنظمة – التي تحارب من أجل نيل الاستقلال - ستعلن مسبقا عن تنازلها عن كل مبادئها دون الدخول في مفاوضات. ولذلك فإن القرار الذي يقضى بإقامة دولة فلسطينية جنبا إلى جنب إسرائيل على حدود 67 مآله سلة المهملات.

على سبيل المثال، ينظر إفرايم هاليفي، رئيس الموساد الأسبق، بعين الأهمية، إلى ضرورة الحوار مع حماس، وأن إسرائيل ليست في حاجة إلى اعتراف حماس بها في هذه المرحلة، أن الموافقة الأمريكية على إشراك حماس في المفاوضات ستجدى نفعا بشدة، كما ستعرب أوروبا عن تأييدها.

ويرى " جدعون سامت "أنه يجب أن يتم توفير ظروف واحدة للموافقة الإسرائيلية، إلا أن إسرائيل لم تكبد نفسها عناء صياغة هذه الظروف واستيضاح إمكانية قبولها.

وتعكس افتتاحية جريدة هاآرتس في العدد نفسه الصادر يوم 31 /2006/5 آراء شريحة عريضة من المجتمع الصهيوني، ترى في السياسة المضطربة للحكومة الإسرائيلية تناقضا عجيباً، فتحت عنوان " نفاق في القدس"قالت تلك الافتتاحية :

" من الصعب أن نفهم المنطق الكامن في قرار وزير الداخلية بطرد أعضاء البرلمان الفلسطيني التابعين لـ"حماس"، المقيمين في القدس الشرقية، ما لم يستقبلوا من مناصبهم في السلطة في غضون 30 يوماً. القرار تم اتخاذه في السابق من قبل الحكومة الانتقالية برئاسة "إيهود أولمرت" وهو يثير ذكريات منسية من النسخة السابقة لـ"أولمرت" كرئيس لبلدية القدس.

في تلك الأيام التي سبقت "الفرقعة الكبرى" في الليكود، صدرت أوامر بهدم منازل في القدس الشرقية وفتح باب كبير لجمعيات يهودية قامت بالبناء في الأحياء العربية.. كل هذا من أجل الإضرار باتفاقيات "أوسلو" وبخطة كلينتون" - التي قترحت إبقاء الأحياء العربية في القدس بحوزة العب واليهودية بحوزة اليهود - كما قام "أولمرت" أيضا بإغلاق "بيت الشرق"، في الفترة التي كانت فيها حركة "فتح"، وليس "حماس"، هي التي تحكم في السلطة الفلسطينية".

لقد أنشئ حزب كاديما" من أجل النهوض بجدول أعمال مغاير، جوهره الانفصال عن الفلسطينين تطلعا لإقامة دولة فلسطينية مستقلة. وصادقت حكومة "شارون" على مشاركة سكان القدس في انتخابات السلطة الفلسطينية وكذلك مشاركة "حماس" في هذه الانتخابات، كما سمحت بتصويت سكان القدس الشرقية في الانتخابات طبقا لاتفاق "أوسلو".

وكان هناك من اعتقدوا أنه لا ينبغي المصادقة لـ "حماس" على المشاركة في الانتخابات، باعتبارها منظمة إرهابية، لكن هذا الموقف لم يؤخذ به في النهاية. إن من صادق على مشاركة "حماس" كان بوسعه أن يتخيل أيضا أن مرشح الحركة عن القدس الشرقية سوف يتم أيضا انتخابه.

وقد عمل المرشحون الأربعة للطرد. الذين تم انتخابهم للبرلمان (أحدهم وزير) . طبقا لتوجيهات إسرائيل والمجتمع الدولي الذي أشرف على الانتخابات. ولا توجد أية حجة دامغة على أنهم يشتغلون بالإرهاب . وهم لم يخفوا انتماءهم لـ"حماس" التي أصبحت في هذه الانتخابات حزبا شرعيا، بل وصوت الآلاف من سكان القدس الشرقية لصالحهم وهم يعتبرونهم ممثليهم المنتخبين. من الممكن الزعم بأن الانتخابات الديمقراطية التي تشارك فيها منظمة إرهابية هي غير ديمقراطية أصلا. ولكن لا يمكن ترديد هذا الزعم بعد فوات الأوان "يقصد بعد أن سمحت لهم إسرائيل".

إن القدس - على حد تعبير الصحيفة - تبدو كأنها موحدة ، ونتغني من أجلها كثيراً، لكن القدس الشرقية ظلت في واقع الأمر جسما غريبا مكوناً من سكان يتمتعون بحق الإقامة الدائمة تم ضمهم إلى الدولة، ولكنهم في النهاية لم يصبحوا العربية للقدس، ولكنها لم تشته السكان الذين يعيشون بها والبالغ عددهم 230 ألفا. الجدار المقام في المدينة يضم جزءاً لا بأس به من هؤلاء السكان غير المرغوب فيهم بشكل يناقض انتماءهم السياسي الطبيعي وربما يتعارض مع المصلحة الديموجرافية الإسرائيلية.. ولعل التبرير الوحيد الذي يمكن تصوره لاستمرار الوضع القائم هو أن الانفصال عن عقارات القدس الشرقية مؤلم للغاية.

إن إسرائيل تجد صعوبة في بلورة موقف معقول ومنطقي فيما يتعلق بالقدس الشرقية، ولذا فهي تنتهج إجراءات منافقة وغير منطقية. وقرار السماح لسكان القدس الشرقية بالمشاركة في انتخابات السلطة هو جزء من تلك الازدواجية. إن سكان القدس الشرقية يقيمون هنا، ويصوتون للسلطة الفلسطينية، وكذلك مواطني المملكة الأردنية، ومن ثم، فمن الأفضل إخراج القدس الشرقية من دولة إسرائيل ونقلها إلى السلطة الفلسطينية بدلا من إخراج أعضاء البرلمان الفلسطيني من شرق المدينة.

وأحيانا تصدر قيادة حماس في دمشق تصريحات حرب فيما يتعلق بالاستعداد للاعتراف بإسرائيل وإقامة دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل. إلا أن محمد نزال، وهو أحد قادة المنظمة في دمشق، صرح، في حوار مع صحيفة "القدس" التي تصدر في القدس الشرقية، بأن "حماس لا تعارض إقامة دولة فلسطينية مستقلة على حدود 4 يونيو 1967". واتهم نزال إسرائيل بأنها السبب في الوصول إلى هذا الطريق المسدود، مشيراً إلى أنه سيكون هناك اتفاقاً قريباً بشأن وثيقة الأسرى.

كما قال نزال: إن حماس على قناعة بأن إسرائيل هي التي ستفسد الأمر، نظراً لأنها لا تريد السماح بإقامة دولة فلسطينية على حدود 1967 لأسباب أيديولوجية وسياسية، وأضاف نزال:" ياسر عرفات وافق على كل المطالب الإسرائيلية ولم يكن يريد إلا إقامة دولة فلسطينية على حدود 1967،إلا أن إسرائيل فرضت عليه الحصار وقتلته".

وعلى حد قوله، فإن حركة حماس توافق على تشكيل حكومة وحدة وطنية في السلطة الفلسطينية يرتكز برنامجها السياسي على وثيقة الأسرى، ويتحدد تشكيلها وفقا لحجم تمثيل كل منظمة في البرلمان. وأكد نزال أن المنظمات الفلسطينية قريبة جداً من الوصول إلى اتفاق بشأن وثيقة الأسرى وأنه سيتم إيجاد صيغة بشان مسألة الاعتراف بإسرائيل. وقال "لقد توصلنا إلى صيغة ستخلصنا من هذا الفخ.وسنوافق على الاعتراف جميع قرارات الأمم المتحدة وبالقرارات العربية طالما لا تضر بحقوق الشعب الفلسطيني.

كما تطرق نزال إلى مسألة الجدل الداخلي الدائري في حركة حماس بشأن الخط السياسي للمنظمة.وقال: " إننا بشر، ولذلك توجد بيننا خلافات في الآراء، وهذا أمر طبيعي، في النهاية نحن لسنا منظمة بها زعيم واحد هو صاحب القرار. فكل القرارات لدينا تتخذ بشكل ديمقراطي عن طريق مجلس المنظمة".

وعلى حد قوله، فإن هناك محاولات تقوم بها عناصر غربية لتقسيم حركة حماس. وأردف نزال قائلا:" لقد التقي مسئول أوروبي مع قيادة حماس في المناطق الفلسطينية) وقال لهم: إن دولا كثر في أوروبا ستوافق على الاعتراف بحكومة حماس إذا قطعت علاقاتها مع أعضاء المنظمة في دمشق وفي سائر الدول العربية".

كما أشار نزال إلى أنه من المقرر أن يصل إلى القاهرة قريبا رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل لإجراء سلسلة من اللقاءات مع قيادات الحكومة هناك.

وفي يوم 30 / 5 / 2006 جاءت افتتاحية هاآرتس في السياق نفسه تقول:

"أعلن وزير الزراعة، "شالوم سمحون"، نهاية الأسبوع الماضي، أن وزارته شرعت في العمل على تحويل أموال السلطة الفلسطينية المحتجزة في إسرائيل الفلسطينيين أصحاب مزارع تضرروا من أنفلونزا الطيور. وأوضح الوزير "سمحون" أنه قد تم إعداد 300 ألف دجاجة في المناطق (الفلسطينية) ، لكن المزارعين الفلسطينيين لم يحصلوا على أي تعويض عن خسائرهم. لذا، فإن تحل الأموال أمر مطلوب، نظراً لأنه من شأن المزارعين الفلسطينيين، بدونها، ألا يستجيبوا في المستقبل لتعليمات الخدمات البيطرية بإعدام الطيور، في حالة الضرورة.

هذه القضية تدل على مدى الحاجة الملحة إلى التحدث والتنسيق العملي في الشؤون الحياتية اليومية بين الحكومة الإسرائيلية وحكومة "حماس". لقد كان أحد القرارات الأول لحكومة "حماس" هو السماح للوزراء الفلسطينيين بإجراء اتصالات مع ممثلي الحكومة الإسرائيلية حول القضايا الحياتية اليومية.

ومن هذه الناحية، توجد لقيادة "حماس" خاصة رئيس حكومتها "إسماعيل هنية" سياسة واضحة: "نعم" للاتصالات مع ممثلين إسرائيليين حول الاحتياجات العملية، ونعم غير صريحة للاتصالات حول القضايا المبدئية، وعلى رأسها الموضوعات السياسية، على هذا الأساس أيضا، فإن حكومة "حماس" مستعدة للموافقة على وقف طويل المدى لإطلاق النار مع حكومة الإسرائيلية – طبقا لشروطها هي – ولكن مع عدم الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود وعدم التوقيع على اتفاق سلام رسمي معها.

كان موقف الحكومة الإسرائيلية، وما يزال في المقابل، خطر أي اتصالات مع الحكومة الفلسطينية حظراً مطلقا. باستثناء الاحتياجات الإنسانية مثل تحويل الأموال من أجل الأدوية، يفترض الرافضون لإجراء أي اتصالات مع حكومة "حماس"، أن المقاطعة والحصار سيؤديان إلى إسقاط هذه الحكومة المستمر في الإمساك بالعصى من منتصفها: الاستعانة بإسرائيل من جانب، والتمسك بمواقف متطرفة وبعدم الاعتراف بإسرائيل من جانب آخر ، ولكن من الواضح أن السكان ، بوجه خاص في المناطق (الفلسطينية)، وغزة، هم الذين يعانون من جراء ذلك، وغير ذلك من الواضح أن محاصرة حكومة "حماس" لا يضعفها – حتى الآن على الأقل – وإنما على العكس يعزز الدعم الذي تحظى به. ولعل الدليل على ذلك، أنه على الرغم من المعاناة الشديدة في غزة، لم يحدث بها أي احتجاج أو مظاهرة ضد حكومة "حماس".

وترى الصحيفة المذكورة أن التعاون في القضايا الحياتية اليومية بين إسرائيل والجانب الفلسطيني من شأنه أن يساعد في تطبيع تدريجي لعلاقات إسرائيل مع الجمهور الفلسطيني وقيادته، وعلى هذا الأساس، حسنا تفعل الحكومة الإسرائيلية إذا سمحت لممثليها بإجراء اتصالات دورية مع كبار المسئولين في الحكومة الفلسطينية حول الشؤون اليومية في مجالات مثل المياه، والكهرباء في تحسين المناخ والعلاقات بين الجانبين.

نساء ضائعات في إسرائيل !!

قامت الصحيفة الصهيونية عادي عوز بمغامرة جسورة من أجل تقديم تحقيق صحفي عن حياة النساء المشتغلات بالدعارة في إسرائيل ونشرت تقريرها / تحقيقها في صحيفة محلية تدعى "هاعير" يوم 2006/6/9 ، وقد جاء في تحقيقها أن هناك عشرات الآلاف من النساء والرجال يعملون في سوف الدعارة في إسرائيل، وترى الكاتبة الصحفية أنهم ضحايا حالة من العنف القاسي الذي يعيشه المجتمع، يعرضون فيه أجسادهم وأنفسهم للجروح والآلام، ويعيشون في كابوس مستمر. ولكن المؤسسة الرسمية تنظر إلى هذه الظاهرة على أنها ضرورة يفرضها الواقع الذي نعيشه، في حين لا تقترح الوسائل التي يمكن عن طريقها إصلاح هذا الوضع.. إنها حالة من التقصير في معالجة مشكلة الدعارة في إسرائيل.

وتصف الصحفية شطرا من مغامرتها فتقول : " كان هناك رجلان في ملعب الجولف الأخضر يصرخان بصوت عال ناحية بعض النساء اللاتي يعملن بالدعارة في منطقة البورصة، يطلبان منهن مرافقتهما وممارسة الدعارة معهما قائلين: هيا من يدي بلبل..؟ ولكن لم ترغب أي من السيدات الأربع اللائي كن يقفن على إحدى الطرق المتفرعة من منطقة البورصة، عند الحدود الفاصلة بين رامات جن جفعتايم وتل أبيب، في مرافقة هذين الرجلين، وكنت أنا خامستهم، مجرد صحفية تحاول منع وقوع هذه الإهانة.

وكان الرجلان في ملعب الجولف الأخضر الأكثر صراخاً وصخباً في العالم، كانا يرتديان ملابس أنيقة. كان ذلك بعد منتصف الليل،وكان من الممكن بسهولة العثور على ما يريدان في الملهي الموجود في الحي، حيث يتقاسمون شراب البيرة ويتبادلون النظرات ويغادرون في اللحة التي كانت ألوح فيها بخاتم الزواج الذي كنت أرتديه، ولكن حتى هذه اللحظة لم يكن للخاتم أي تأثير، كنت أقف على جانب الطريق وكانوا يقفون ناحية السيارة، لقد كان لدى هؤلاء السيدات مهنة ووضع محدد وملف في ضريبة الدخل وأصدقاء من جنود الاحتياط ، ومن رجال الشرطة وفي مؤسسة التأمين الوطني، وكان النساء اللائي يعملن بالدعارة يقفن على هذا الجانب من الطريق.

لم يتقبل الرجلان في ملعب الجولف رفضي أن أذهب معهما. وأوضح النساء ذوات الخبرة في سوق الدعارة ذلك بقولهن، " إن الزبائن دائما يرغبون في الوجه الجديد". كنا نحاول تجاهل الرجلين ، ولكنهما لم يتنازلا عما كانا يريدان . وعادا يسألان مرة أخرى:" من يريد بلبل ..؟، وكان الفرحة والسعادة تكسوان وجوههما. وإذا بأحدهما، الذي كان يقود السيارة، يجرب حيلة أخرى، فيقول: " لا تقلقوا إنه ينتهي من العملية الجنسية بسرعة"، ولكن تلك الحيلة لم تلفح هي الأخرى في اجتذاب أي من السيدات، لقد أدركن أنه لا يمكن على الإطلاق ركوب سيارة بها أكثر من رجل، وتوضح المرأة الشابة سبب الرفض ، فتقول : " إن ذلك يشكل خطورة كبيرة للغاية، فوجود رجلين يجعلهما يفعلان بك ما يريدان".

وفي النهاية، تنازل الرجلان عن هذه الليلة وذهبا في طريقهما، وإذا بصحبة جديدة من الزبائن تأتي. إنها سيارة رائعة يستقلها شباب من صغار السن لم يبلغ بعد سن الخدمة العسكرية، ومرة أخرى لم ترغب أي واحدة منهن في الصعود، إلى السيارة، يصرخ الشباب الصغار ناحيتهن ويقولون:" سنلقى القبض عليكن"، وعن ذلك تقول الشابة الصغيرة:" يهددنا الكثيرون بأنهم سيلقون القبض علينا، بل إن بعضهم يقوم بتزوير هويات رجال الشرطة أو يحملون معهم أجهزة اتصال حتى نخاف منهم".

وإذا بسيارة أخرى تقف إلى جانبهن. ويبدو هذا المرة أنها سيارة مناسبة للعمل. مالت "ألا" ناحية السيارة وأخذت تتفق مع السائق على الثمن، لم تتمكن من رؤية وجه الشخص الذي كان في السيارة، حيث انكسرت قبل بضع سنوات النظارة الخاصة بها، ومنذ ذلك الحين لم يتوافر لديها المال اللازم لشراء نظارة جديدة، تستعين آلا" في فترات النهار بنظارتها الشمسية الطبية القديمة وتفضل في فترات الليل ألا ترى بوضوح. وعن ذلك تقول:" بهذه الطريقة لا أشعر بنظرات الرجال العاديين الذين يمرون على الطريق ناحيتي"، وافق السائق على الثمن الذي أخبرته به.

ودخلت إلى السيارة. وذهبت معه إلى مكان دائم تذهب إليه مع زبائنها. كان المكان عبارة عن مرآب قريب من المكان. "وبالطبع يكون هناك ركن مظلم لممارسة عملي وإلا يصيبني الخجل أنا وزبائني". وبعد مرور 25 دقيقة، تعود "آلا" إلى ما كانت عليه. ولحسن حظها لم تتعرض للركل أو الاغتصاب أو محاولة سرقة حقيبتها.

ذهب الزبون بكل بساطة لحال سبيله بعد أن قضى حاجته منها. يا لحسن الحظ. فهناك من لا ينتهي الأمر معه بسهولة ويظل معي لدرجة تصيبني بالإعياء الشديد". وبعد ذلك يأتي زبون دائم عندها ويدفع مائة شيكل، الأمر الذين ملأها بالتفاؤل، فربما تنجح هذه الليلة في الحصول على 500 شيكل، ، وتستطيع أن تدفع للمحامية التي استأجرتها لإنقاذ منزلها من الحرب التي أعلنتها مؤسسة التأمين الوطني ضدها. "لو استمر الأمر على هذه الحال فلن اضطر للعمل غير ليلة واحدة فقط هذا الأسبوع". ولكن حركة الزبائن أخذت تضعف. وإذا بسيارة تمر ويتم إلقاء البيض عبر النافذة على النساء الواقفات في الشاعر في انتظار الزبائن.

وتذكر الكاتبة الصهيونية أن هناك أوجها كثيرة للعنف الذي تتعرض له العاملات في سوق الدعارة، منه: إلقاء البيض والصراخ والتهديدات والشتائم والإهانات المتعمدة ومحاولات الاختطاف والسرقات والتهديدات وإحداث الجروح بشكل متعمد وغير متعمد في منطقتي الفرج والوجه وعمليات الخنق والاغتصاب على أيدي الزبائن ومحاولات الاغتصاب من جانب الجيران والتعامل بعنف مع الجسد. وحدث ذات مرة أن قام أحد الزبائن بالضغط على ظهر "ألا بشكل قوى مما أدي إلى كسر في منطقة الظهر (في العمود الفقري). إن كل شخص يعيش حياة الدعارة يعيش كثيراً من أنواع العنف تجاه جسده ونفسه.

و لا تساعد الشرطة أحداً. بل هناك الكثير من الإهانات التي يمكن أن تنالها امرأة تعمل بالدعارة عندما تصل إلى قسم الشرطة للتقدم بشكوى تفيد بتعرضها للاغتصاب. تقول إحدى السيدات. [ومن شدة خوفها من رجال الشرطة طلبت عدم ذكر اسمها أو لقبها] : حاولت ذات مرة التقدم بشكوى ضد رجل اعتدى علي. انتظرت المحققة في الرواق. وإذا بكل شرطي كان يمر ناحيتي يضحك ويطلب مني القيام بجولة معه". هربت هذه المرأة من قسم الشرطة وكلها إصرار وتصميم على عدم العودة أبداً إلى هناك، وقد تكون هذه السيدة في المر' القادمة في عداد الأموات: فنسبة الوفيات لدى باقي الشرائح السكانية. لا تحدث الوفاة بسبب العنف وحده، بل أيضا لأن النساء اللائي يعملن بالدعارة عرضة للإصابة بأمراض سرطان الرحم، كما أن مناعتهم ضعيفة ويقدمن على الانتحار.

وماذا عن التعرض للقتل وإسهامه في زيادة نسبة الوفيات بين النساء اللائي يعملن بالدعارة؟. يقولون في الشرطة :" ليست لدينا بيانات عن تعرض النساء اللاتي يعملن بالدعارة للقتل، لأننا لا نقوم بتسجيل مهنة القتيلات".

وفي رأي الكاتبة أن العنف يمارس ضد عشرات الآلاف من النساء والرجال الذين يعملون بالدعارة في إسرائيل. وتشير التقديرات إلى أن نسبة النساء إلى الرجال في هذا المجال تبلغ 1: 3 ، غالبيتهم ليسوا من خارج إسرائيل، بل إنهم مواطنون إسرائيليون، ولكن الدولة لا تدخلهم في الإحصائيات ولا تخصص لهم مبالغ من ميزانية الدولة ولا تخصص لهم لوائح ولا توفر لهم رقماً تليفونيا لمساعدتهم.

لماذا يحدث ذلك..؟ ربما لأن المؤسسة الرسمية، أسيرة الاعتقاد بأن الغالبية الصامتة في صناعة الجنس تبيع أجسادها للأجانب انطلاقاً من حرية شخصية. من السهل بالنسبة لنا الاعتقاد بأن من لم يتم خداعه أو إجباره على العمل بالدعارة ولم يدخل ضمن الإحصائيات ذات الصلة بضحايا هذه التجارة يعتبر إسرائيليا حراً، يفضل العمل بالدعارة انطلاقاً من وعي ورغبة ذاتية في ممارسة الدعارة" مثلما يوضح ذلك باستمرار موظفو وزارة الرفاه.

ا لوعي والرغبة..؟ تقول الشابة من منطقة البورصة وهي تبكي: "لم أتمن لنفسي أبداً مثل هذه الحياة". إنها تعمل هنا منذ ثلاث سنوات ولا زالت كلما تتحدث عن الموضوع تتألم لدرجة البكاء. إنها ترتدي ملابس أنيقة كما لو أنها تعمل موظفة استقبال في مكتب للمحاماة. إنها تبلغ من العمر 24 عاماً هاجرت إلى إسرائيل قادمة من روسيا قبل حوالي ست سنوات برفقة والدتها.

عملت في البداية نادلة في قاعة أفراح، وتقول هي تبكي: " أيضا كانت والدتي تعمل ولكنها كانت تعاني من إعاقة بقدمها، الأمر الذي زاد الوضع تعقيداً حيث لم يستطع مواصلة العمل. إنها تحصل الآن على 1600 شيكل من التأمين الوطني، فضلا عن الراتب الذي تحصل عليه نظير عملها كنادلة، وهذا لا يكفي لمواصلة الحياة".

و تقول سيدة أخرى تبلغ من العمر ما يزيد على الأربعين عاماً كانت تمسك بيديها عبوة من "الكورن فليكس:" ماذا نفعل..؟ لا يمكن أن تستمر الحياة في إسرائيل بمرتب واحد". لقد جاءت إلى إسرائيل منذ عشر سنوات وخرجت لممارسة الدعارة منذ خمس سنوات. عملت في البداية في أحد المصانع ولكن تمت إقالتها.يعاني زوجها من نسبة عجز كبيرة، ولكن لم يبدأ التأمين الوطني في تحويل مخصصاته إلا بعد مرور عام. في هذه الأثناء نزلت إلى الشارع لأنه كان من الضروري إطعام الأطفال. لم تنجح في إيجاد عمل آخر، وفي مرحلة معينة توقفت عن البحث. إنها تكره أن تتذكر كل لحظة كانت تمر عليها في تلك الليالي. لم تجد في تلك الليالي الموحشة ما يؤنس وحدتها سوى هاتين القطتين الصغيرتين في زاوية الشارع. كانت كل ليلة تقوم بإحضار الطعام لهما لدرجة أنها اشترت أطواق ملونة من أجلهما.

وتضيف الصحفية :

إذا قمنا بالبحث على الموقع الرسمي للحكومة الإسرائيلية عن كلمة "دعارة" لن نحصل على أية نتائج، وفي مقابل ذلك، وعلى نفس الموقع، ظهرت يوم الخميس الماضي روابط لمواقع أخرى، من بينها موقع جنسي يضم عشرات من أرقام التليفونات لفتيات ليل وشقق سرية، ومما لا شك فيه أن دولة إسرائيل تفهم ما يدور بخلد الزبائن.

وكما ذكرنا. فإن دولة إسرائيل لا توجه ولو شيكلا واحدا من ميزانيتها لصالح "آلا" وزميلاتها. إنها تستحق هي وزميلاتها على الأقل التوجه إلى إحدى العيادتين الجنسيتين اللتين تعملان في إسرائيل (ويوجد في العيادة أيضا أخصائية اجتماعية لخدمة هؤلاء النساء).

صحيح أن الرغبة الطيبة للعاملين في العيادة تنجح في خلق لحظات من التعاطف بين ممثلي المؤسسة الرسمية (الدولة) والعاملين بالدعارة، ولكن قاعدة العمل التي قامت على أساسها العيادتان ليست الرغبة في احتضان العاملات في الدعارة بل رغبة المؤسسة في حمايتنا منهن ومنع انتشار أمراض جنسية بيننا. السؤال إذا هو: من يحميهم منا..؟ من يحمى حقوقهن..؟ من يساعدهن إذا أردن الابتعاد عن هذا الطريق..؟.

ربما نجد إجابات عن هذه الأسئلة لدي وزارة العمل والرفاه، وإن كانت مديرة مكتب المتحدث باسم الوزارة قد اندهشت من السؤال، وقالت: "لا أعرف كيف..؟ ما علاقة الدعارة بوزارة الرفاه..؟ وبعد الإصرار من جانبنا. حصلنا على إجابة رسمية تقول:" يجب أن نقسم مسئولية الاهتمام بالدعارة إلى مستويين: المراهقين والبالغين. نحن نحاول تحديد مكان المراهقين والعناية بهم بوسائل متعددة، سواء على مستوى الطائفة أو على مستوى قانون الشباب بتحويلهم إلى المؤسسات المناسبة".

وتكشف بيانات جمعية "الشباب في أزمة" أن آلاف الشباب في إسرائيل في عام 2006 يعملون بالدعارة. بضعة مئات منهم يعملون في تل أبيب. يندرج الشباب والشابات العاملين في الدعارة في إطار الميزانية الفقيرة التي تخصصها وزارة الرفاه، إضافة إلى المبالغ البسيطة التي تقدمها جمعية" الشباب في أزمة" تحت توصيف" شباب في خطر"، ومن هناك تأتي الميزانية الخاصة بمشروع العاملين بالدعارة وتوفير مأوي أساسي لهم وعناية وتأهيل مهني.

ولكن ماذا عن الفتيات العاملات بالدعارة فوق سن الثامنة عشرة..؟ فيما يلي الجزء الثاني من الإجابة التي وصلت إلينا من مكتب المتحدث باسم وزارة الرفاه: وفيما يتعلق بالبالغين، فإننا نهتم فقط، بالأشخاص الذين يتوجهون إلينا ويرغبون في الحصول على مساعدتنا.

فالشخص الذي يعمل بالدعارة ويتوجه إلينا. سيلقي عنايتنا بما يتلاءم مع احتياجاته وقدراته. أما البالغ الذي يعمل بالدعارة برغبة ذاتية منه ولا يرغب في الحصول على عناية من أحد، فلن يحصل عليها، ونظراً لأن ميزانيتنا لا تكفي للاهتمام بالأشخاص الذين يسعون للحصول على الرعاية، فإننا لن نضيع هذه الميزانية في جهود البحث عن، وتحديد وإقناع، أشخاص يعملون بالدعارة للحصول على اهتمامنا".

تدعي الدولة أنهم يفعلون ذلك بوعي ورغبة ذاتية.. وبطريقة مهذبة يقولون:" طالما اخترت العمل بالدعارة فإنك تتحملين مسؤولية ذلك وحدك فلا تتوقعي من الدولة أن تساعدك في اختيار طريق آخر".. ترد "عوديت هرئيل شيمش"، المتحدثة باسم جمعية "توداعا"، وهي جمعية تهدف إلى طرح مشاكل صناعة الجنس على الأجندة اليومية، على ذلك بقولها: " تظهر البيانات أن متوسط السن الذي يبدأ فيه العاملون في مجال الدعارة هو 14 عاما. فهل فتاة تبلغ من العمر 14 عاماً تملك حرية اختيار العمل بالدعارة...؟!.

من ناحية أخرى، لا يرى القائمون على جمعية توداعاً فرقا بين العنف والدعارة. تقول هرئيل شيمش: "تثبت كل الأبحاث وجود صلة وثيقة بين الاستغلال الجنسي والإهمال في مرحلة الطفلة والعمل بالدعارة في فترة البلوغ". وتضيف كيرن يدعيان" مخرجة فيلم "أور – النور" المعروض في جميعة توداعا: "التعذيب الجنسي المبكر والإهمال هما اللذان يشكلان الحالة النفسية التي تسمح بالعمل في الدعارة".

أما الفقر فهو الذي يمثل الدفعة الأخيرة نحو العمل بالدعارة، ولذلك فإن الغالبية العظمى من العاملين بالدعارة يمثلون أبناء الطبقة الأشد فقراً. وتضيف ليعاد كنتوروفيتش، البالغة من العمر 28 عاماً وهي طالبة وصحيفة تعمل في صناعة الجنس منذ ما يزيد على عشر سنوات:" عندما يوجد الفقر لا يكون هناك اختيار". لم تعمل كنتوروفيتش على الإطلاق في "الجماع المباشر أو عن طريق الفم" على حد وصفها ، بل مجرد ظهروا بالعرى والعمل في أحد الأماكن التي تنظم عمل فتيات الليل والشواذ. وفي الفترة الأخيرة، أصبحت تمارس عمل فتيات الليل اللائي يعملون على وجه الخصوص ببيع الخيال الجنسي للزبائن، تقول ليعاد بشئ من التفصيل:" إنني أقوم ببيع الاهتمام والإنصات والثقة والخيال الجنسي للزبون".

الدعاة سرية:

وبرغم كل ذلك، فثمة مكان للاختيار هنا. اختيار البقاء. إذا ما عدنا لحظة إلى آلا" وأسرتها ، سنكتشف أن أخاها وزوجته اللذين أقلاها في يومها الأول للعمل. هما اليوم مدمنين لا بيت لهم، وتحفظ السلطات على أبنائهم. لقد اختارا الاستسلام، أما "آلا" فقد اختارت المواجهة وبذل قصارى ما بوسعها من أجل البقاء دون أن تتخلى عن ابنتها وبدون التسول من أحد، حتى زجاجة المياه رفضت أن أقوم بشرائها لها. عندما شعرت

"آلا". قبل عدة سنوات، بالاكتئاب يسيطر عليها، قامت بإرسال ابنتها إلى والدتها في روسيا واستمرت في إرسال النقود لها. وعندما تعافت قليلاً دعت "جانا" إلى العودة إليها. ومنذ ذلك الحين لم يفترقا. الشيء الغريب أن أخاها وزوجته يحصلان من الدولة على ميزانية وهناك موظفون وأخصائيون اجتماعيون ومراكز إعاشة ومراكز لليوم الواحد وما إلى ذلك في خدمتهم. أما بالنسبة لـ"آلا"، فالدولة لازالت تتجاهل أمرها.

نستطيع أن نجد في تل أبيت وحدها 11 موظفاً في الوحدة الخاصة لسكان الشوارع. تم الاهتمام بشؤون 787 ممن لا بيت لهم هذا العام بواسطة بلدية تل أبيت وتشير تقديرات وزارة الرفاه إلى أن عدد من لا بيت لهم في إسرائيل يبلغ حوالي 3800 ، والنساء اللائي يعملن بالدعارة عددهم أكثر من ضعف هذا العدد. ولكنهم يشاهدون بوضوح من لابيت لهم، أما العاملون في مجال الدعارة عددهم أكثر من ضعف هذا العدد. ولكنهم يشاهدون بوضوح من لا بيت لهم، أما العاملون في مجال الدعارة فهم يعملون بشكل سرى.

تقول:" موريت موسل"، مديرة قسم الطفل والأسرة في بلدية تل أبيب:" إن ذلك نتيجة السياسة التي تتبعها الوزارات الحكومية، فلو أنهم يتخذون قراراً بإقامة وحدة أساسية للاهتمام بالموضوع في جميع مناطق الدولة، على غرار تلك الوحدة الخاصة للعناية بالإدمان، فسنكون أول من يتبني ذلك، وستحصل كل امرأة تتوجه إلينا على مساعدة بقدر استطاعتنا".

حقا. يا له من اقتراح جيد وكريم، ولكن من المؤسف أنه لا يمكن تحقيقه على أرض الواقع، تقول المرأة التي تحمل كيس الكورن فليكس:" إذا ما توجهت إلى الأخصائيات الاجتماعيات، فسوف يأخذن مني الأطفال".. إنها ليست مدمنة. وبرغم أنه لا يوجد سبب لأخذ أطفالها منها، إلا أنها فقدت ثقتها بالأخصائيات الاجتماعيات.

إيران في الصحافة الصهيونية !!

الصهاينة يجهلون التراث الشيعي بالتأكيد، ففي الفقه الشيعي. وبخاصة عند الإمامية الاثني عشرية وهو المذهب السائد في إيران - لا يوجد ما يسمى في الفكر المسيحي الصهيوني (الحرب الاستباقية) التي خاضها بوش ضد أفغانستان والعراق بحثا عن "أسلحة دمار شامل!!" فالشيعة يتفقون مع أهل السنة في أن الحرب في الإسلام لا تكون إلا حربا دفاعية. يخوضها المسلمون إذا هوجمت ديارهم وتعرضوا للقتل والتشريد والتهديد.وإذا كان أهل السنة يجيزون في حالات خاصة ما يسمى بالحرب الابتدائية (الهجومية)، فإن الشيعة لا يجيزون هذا اللون من الحروب مادام الإمام غائبا، فهو وحده - في حالة عودته - صاحب السلطة في تقرير خوض حرب هجومية.

ومعنى ذلك أن إيران - طبقا لتراثها العقائدي والفقهي- يستحيل أن تشن حرباً هجومية لا ضد جيرانها ولا ضد إسرائيل. ولكن التصريحات العنترية التي تطلقها القيادة الإيرانية من حين لآخر تلقي في قلوب الصهاينة الرعب.وتعكس الصحافة الصهيونية هذا الرعب بوضوح.

فتحت عنوان (الإيرانيون في الطريق نحو إنتاج قنبلة نووية) كتب حانان جرينبرج في صحيفة يديعوت أحرونوت يوم 11/ 4/ 2006 يقول:

يشعرون في إسرائيل بالقلق حيال تصريحات الرئيس الإيراني أحمدي نجاد، فيما يتعلق بنجاح عمليات تخصيب اليورانيوم. وعلى النقيض من التقديرات السائدة في واشنطن، نجد أنهم في الجهاز الأمني لا يعتقدون أن هذه التصريحات مقلقة.. وفي حوار لصحيفة "يديعوت أحرونوت" صرح مساء أمس مسئول كبير في شعبة الاستخبارات العسكرية "أمان": " هذا يوم مهم للبرنامج النووي الإيراني.. صحيح أنهم لم يتخطوا حاجز التكنولوجيا بعد، لكنهم موجودون بالتأكيد عند نقطة قد تمكنهم من امتلاك سلاح نووي في أقرب وقت ممكن... ربما في عام 2009 ومع ذلك أضاف الضابط الكبير أن هذه ليست خطوة مفاجئة: فهذا يتماشى مع تقديراتنا.. نعتقد أن هناك شيئا من الصحة في هذه التصريحات وهذا أمر مقلق. وذلك بسبب سرعة وتيرة التقدم في البرنامج بصورة تفوق مناقشة القضية على الساحة الدولية.

وفي حديث لإذاعة الجيش الإسرائيلي صرح صباح اليوم رئيس هيئة الأركان العامة، دان حالوتس، بأنه "صحيح أن الإيرانيين اتخذوا خطوة مهمة بهذا الإعلان أمس، لكنها في النهاية لا تعدو كونها تصريحات". ومع ذلك، قال:" بافتراض صحة كل ما تردد، فإن الإيرانيين اتخذوا خطوة مهمة على الطريق نحو تحقيق رؤيتهم المتمثلة في الاستقلال في المجال النووي، الأمر الذي يجب أن يشغل بال الجميع. والجميع يهتمون به فعلا، ويكفي الاستماع إلى ردود الفعل الدولية".

وأضاف حالوتس أن امتلاك إيران للسلاح النووي يشكل تهديداً ليس فقط على إسرائيل، وإنما أيضا على العالم الحر والديمقراطي"، ورغم ذلك أعرب عن عدم قناعته بما يقال عن أنه:" إذا نظرنا لخريطة أهداف إيران، ستظهر إسرائيل في المرتبة الأولى".

وقد أوضح الضابط الكبير أن البرنامج النووي الإيراني يضم خمس مراحل أساسية: الأولى، التي أصبحت وراءنا، وهي تطوير (أو شراء وتشغيل) أجهزة الطرد المركزي. من المعروف أن أجهزة الطرد المركزي تدور بسرعة كبيرة، وتفصل ذرات اليورانيوم، وتستخرج منه اليورانيوم المخصب. واليورانيوم المخصب يستخدم كوقود لتشغيل المفاعل لكنه في مستويات تخصيب مرتفعة يستخدم في إنتاج قنبلة نووية.

والمادة التي تدور داخل أجهزة الطرد المركزي تسمى غاز **UF6** وفي أغسطس من العام الماضي، استأنفت إيران عملية تحويل اليورانيوم الخام إلى غاز. والآن يقول الإيرانيون إنهم يمتلكون 110 أطنان من الغاز المطلوب لعملية التخصيب.

في يناير 2006 استأنفت إيران نشاط البحث والتطوير في مجال تخصيب اليورانيوم المتمثل في تطوير أجهزة الطرد المركزي المعدودة في بعض المنشآت التي تعمل بالتوازي مع ذلك. وهذه هي المرحلة الثانية التي يوجد الإيرانيون حاليا في ثلثها الأول تقريبا. وفي هذه المرحلة يشغلون منظومة تضم 164 جهاز طرد مركزيا يعمل بالتوازي والتنسيق.

وعلى حد قول الضابط الكبير، فإنه من أجل الانتهاء من المرحلة الثانية تماما سيكون الإيرانيون في حاجة إلى أسابيع أخرى وربما أشهر، يشغلون خلالها المنظومة بصورة متواصلة وبمهارة. وأضاف الضابط، وهذه هي النقطة الحاسمة - بالنسبة لهم - المتمثلة في تخطي حاجز التكنولوجيا، ومن هنا، سينتقلون إلى المرحلة الثالثة، التي تعتبر أسهل بالنسبة لهم بسبب خبراتهم فيها".

وتتمثل المرحلة الثالثة في استغلال الخبرة المكتسبة أثناء البحث والتطوير و"استنساخ" أجهزة الطرد المركزي من مئات الآلاف يهدف لزيادة القدرة الإنتاجية، ومن المقرر أن تستمر هذه المرحلة لمدة نحو نصف عام.

أما المرحلة الرابعة فهي مرحلة تخصيب اليورانيوم ذاته، وقد تستغرق هذه المرحلة أطول فترة - قرابة سنة.

والمرحلة الخامسة والأخيرة هي استغلال اليورانيوم المخصب لإنتاج رأس نووي.. ووفقا للتقديرات، فقد تستغرق هذه المرحلة قرابة نصف سنة أخرى.

وأضاف الضابط الكبير أن كل التقديرات الحالية تفيد بأن الإيرانيين لن يواجهوا مشاكل تكنولوجية وإن نشاطهم لن يتعرقل بسبب أي عنصر خارجي حتى لو كان عملية عسكرية.

حتى الآن سيطر على نقاش الملف النووي الإيراني مصطلح "نقطة اللاعودة"، كتعبير عن المرحلة التي تستطيع فيها إيران إنتاج اليورانيوم المخصب بقوتها الذاتية، دون الاستعانة بالمساعدة الفنية الخارجية. وفي الآونة الأخيرة، غير الجيش الإسرائيلي التعبيرات المتعلقة بالبرنامج النووي الإيراني وتوقف عن استخدام هذا المصطلح، وبدلا منه ظهر مصطلح تخطي حدود التكنولوجيا". والسبب في ذلك يرجع إلى عدم وجود نقطة خلال المراحل المختلفة لا يمكن العودة فيها إلى الوراء أو وقف العملية - سواء طواعية أو قسراً عن طريق القوة العسكرية الخارجية.

وقد أعرب الضابط الكبير عن مخاوفه من تقدم إيران نحو تخطي الحدود التكنولوجية. وهو يقول: لا شك أن الواقع سيختلف خلال بضعة أشهر، عندما يمتلك الإيرانيون الخبرة المطلوبة. حتى كل التصريحات عن عملية عسكرية أمريكية لن تصبح واقعا. خاصة أن الإيرانيين يستعدون لمثل هذا الاحتمال وليس من قبيل الصدفة أن يعملوا في عدد من المنشآت الموزعة في كل أنحاء البلاد تحت الأرض".

ويعتقد الضابط الكبير أن السبب الذي دفع الرئيس الإيراني إلى الإعلان عن إحراز تقدم في البرنامج النووي يكمن في رغبته في فرض حقائق على أرض الواقع وخلق موقف مختلف في المفاوضات المستقبلية وهو يقول:" في حين يتجادل العالم حول كيفية وقف الإيرانيين - سواء عن طريق عملية عسكرية أو عن طريق فرض عقوبات - نجده يقول (يقصد الرئيس الإيراني)، للجميع إنه أصبح يمتلك القدرة الأولية، وأنه بات في موقف مختلف في مواجهة المجتمع الدولي. أصبح يمتلك ثروة ولحين ما يصل المجتمع الدولي إلى الكيفية التي سيتعاطى بها مع إيران يكون البرنامج النووي الإيراني سائراً في طريقه نحو التطور بوتيرة تكنولوجية سريعة جداً".

وفي صحيفة معاريف كتب أمير بوحبوط يوم 2006/4/14 يقول:

"يشاهد الجمهور الإسرائيلي الأخبار على شاشة التلفاز ولا يفهم دائما ماذا يريد أحمدي نجاد، الذي تتردد الأخبار عنه في الشهور الأخيرة أكثر من أخبار أسامة بن لادن. ينظر الجمهور الإسرائيلي إلى المشكلة الإيرانية على أنها أمر مستبعد للغاية، ولا تستدعي الحديث بشأنها. ولكن من الواضح أنه عندما يتحول التهديد إلى أمر حقيقي سنواجه صعوبة كبيرة في إحصاء عدد الأشخاص الذين يقفون في طابور الرحلات الجوية انتظاراً للمغادرة في مطار بن جوريون.

لا يجب أن تكون باحثا مشهورا لكي تدرك إلى أي مدى ترغب إيران في القضاء على دولة إسرائيل بل بالنظر ببساطة إلى المبالغ المالية التي يتم دفعها إلى المنظمات الإرهابية الفلسطينية بأسلوب "إذا نفذت عملية تخريبية ستحصل على المال، وإن لم تفعل لن تحصل على شيء.. إذن حاولوا أن تتخيلوا ماذا سيحدث عندما يحصلون على قنبلة قذرة من صنعهم.

يرى الباحثون في الاستخبارات العسكرية أنه خلال عدة شهور سيستطيع الإيرانيون الذين يديرون الآن منشآت نووية علنية، إصباغ صفة السرية على مشروعاتهم النووية الأمر الذي سيمثل صعوبة أمام إحباط المشروع على المستوى العسكري وتفيد أنباء أجنبية أن سلاح الطيران الإسرائيلي وبعض الوحدات الخاصة يستعدون بشكل محدد لهذا السيناريو.

لقد تعلم الإيرانيون الدرس من فشل المشروع النووي العراقي وشرعوا في السير في مسارين هما: المسار الأول وهو مسار مدني معلن ينتشر في أنحاء إيران ومسار عسكري ليست هناك معلومات متوافرة حول موقعه أو وضعه. ولم يفلح المسار العسكري في تحقيق أهدافه. لذلك في ظل عدم وجود خيار آخر أعاد الإيرانيون استئناف المشروع في منتصف عام 2005، بالرغم من النقد الآخذ في التصاعد من قبل الدول الغربية والأمم المتحدة.

قام الإيرانيون بالإعلان عن موقفهم المتشدد أكثر من مرة، ويبدو أحيانا أنه يوجد في العالم أشخاص ليسوا على استعداد لأن يفهموا المغزى من وراء ذلك، بالرغم من أن الصواريخ الإيرانية موجهة أيضا نحو أوروبا.

نجد أن وكالات الاستخبارات الأمريكية المختلفة التي تبلغ 15 وكالة تبلغ ميزانيتها 40 مليار دولار، تضرر وضعها للغاية بسبب المعلومات التي قامت بتوفيرها عشية العملية العسكرية الخاصة بإسقاط نظام حكم صدام حسين - تعمل منذ ذلك الحين بمبدأ "إنني على علم بما أراه بعيني، وإن لم أر شيئا لا يكون لدي معلومات". ونجد أن المعلومات الاستخباراتية الأكيدة فقط هي التي تقنعهم بالإسراع في شن عملية عسكرية.

يلعبون على نقاط الضعف الأمريكي:

نجح الإيرانيون في التعرف على نقاط الضعف الأمريكية وهم يلعبون عليها بسهولة بالغة. فلو أن الأمر مختلف لما نجح أحمدي نجاد في بث سمومه من خلال كلامه من فوق منصة الأمم المتحدة في نيويورك. يعلم الإيرانيون بالمخاوف التي تشعر بها الدول الغربية من مسألة التعامل معهم، لذا يضربون على الحديد وهو ساخن.

لم ينجح الإيرانيون في إلقاء الخطب فقط، بل نجحوا في السنوات الأخيرة بشكل مدروس في زرع شبكة واسعة الانتشار من العملاء في العراق، تملك القدرة على تنفيذ أضخم عدد من العمليات الإرهابية، وإذا لم يكن هذا الأمر كافيا، فيمكنهم السيطرة سياسيا على عدد من المجالات. وعندما يرغبون في إذكاء نار الفتنة في العراق فلن تكون أمامهم أي مشكلة.

لقد لمحوا أكثر من مرة إلى قدرتهم العسكرية الضخمة، لكي يبعثوا للأمريكان رسالة واضحة حول ما قد يحدث لهم إذا حاصروهم في الزاوية. وهناك سبب آخر في الثقة بالنفس التي يتمتع بها الإيرانيون، وهو الصواريخ التي يمتلكونها. فقد قاموا بتوجيه هذه الصواريخ أكثر من مرة من أجل التلويح للقوات الأمريكية في العراق والخليج العربي بأنها قد تكون في مرمى تصويب صواريخهم أيضا.

كما أنهم لا يحتاجون إلى مدمرات بحرية عملاقة كما هو الحال بالنسبة للأسطول الأمريكي في الخليج العربي، حيث تقضى نظرية الحرب الإيرانية بأن الأعداد الكبيرة من السفن الإيرانية الصغيرة سوف تنقض على الأسطول الأمريكي مثل أسراب من النحل الجائع. وتقوم بنهشه من جميع الاتجاهات.

ويتسم الجيش الأمريكي الذي تسيل دماؤه يوميا فوق أرض العراق بالضعف في وجهة نظر الإيرانيين فهم يعتقدون أنه سيكون من الصعب على الرئيس الأمريكي أن يشن عملية عسكرية أخرى واسعة النطاق عليهم خاصة بعد الحرب في أفغانستان والعراق. وأيضا في ظل افتقاره لقدرة الحصول على دعم الشعب الأمريكي، الذي يطالب حاليا بإعادة جنوده إلى الوطن.

من جانبهم يدرك الإسرائيليون أن الصينيين والروس لن يسارعوا بالسماح للأمريكان باستخدام البند السابع من لائحة مجلس الأمن الذي يسمح باستعمال القوة من أجل الحفاظ على الأمن العالمي. لذا، يعتبر الآن المسار السياسي أحد البدائل.

عالم عربي جديد:

ويقول أمير حبوط ساخرا: لا يتوقف أحمدي نجاد عن الضحك. فالخزانة الإيرانية مكدسة بالأموال. ولن يؤثر تراجع ترتيبها بين دول العالم على اقتصادها. لكن العقوبات المفروضة على تكرير النفط، وهي القدرة التي لا تتوافر لأي دول أخرى، قد تؤثر عليها بشكل فعلي. وحسب التقدير، إذا بدأ تنفيذ العقوبات في شهر سبتمبر، فسيكون هذا التاريخ أيضا بداية انتقال إيران إلى المستوى السري من العمل في البرنامج النووي الذي لا تستطيع الدول الغربية تعقبه.

ويعتقدون في شعبة الاستخبارات العسكرية (آمان) أنه إذا لم تكن هناك مفاجآت في المشروع الإيراني، فببلوغ عام 2009 ستمتلك طهران القدرة النووية المطلوبة. ووفقا لذلك، يجب توقع أن الميزان في العالم كله سيتغير. سوف يجلب الربط بين نظام حكم متطرف وقنبلة نووية، الشرور ليس فقط على إسرائيل، بل على العالم كله بشكل خاص. هناك مسئولية ملقاة على عاتق رئيس الوزراء المنتخب إيهود أولمرت ووزير الدفاع شاؤول موفاز - إذا بقي في منصبه - لتقدير مسألة هل ستنجح الدول الغربية في إيقاف المشروع النووي الإيراني. وهل يجب التسليم بوجود قوة نووية أخرى، تهدد مرارا وتكرارا بالقضاء على إسرائيل..؟ هل يجب الاكتفاء بالعقوبات التي ستقيد إيران، والتي تنادي عاليا بالإبقاء على نظام حكم آيات الله ومنع جورج بوش من تنفيذ رؤية "محور الشر..؟ أم ربما يمكن إصدار تعليمات بشن هجوم إسرائيلي، قد يبدو الآن في ذيل قائمة الأولويات، بالرغم من حالة التأهب القصوى..؟.

ولعلنا نستشهد هنا بكلام وليد جنبلاط زعيم الدروز في لبنان الذي ورد في صحيفة لبنانية منذ ستة أشهر، عندما كان يتحدث عن أنه أصيب بالدهشة عندما علم أن الشعب العراقي يتردد على صناديق الاقتراع للتصويت على سقوط نظام حكم صدام. ويقول إن هذا هو عالم عربي جديد".

وبالفعل، يجب أن ننتبه إلى أن هذا العالم العربي الجديد - بعد انسحاب سوريا من لبنان وبعد تراجع معمر القذافي عن مشروعه النووي - يوشك على التغير والوقت دون شك في غير صالح إسرائيل. ولعل قدرة الإيرانيين على تحقيق حلمهم - بتصدير النظام الثوري الإسلامي الإيراني إلى دول العالم العربي - ستسفر عن نتائج تهدد واقع وجود إسرائيل.

والآن، بقي أن نرى إلى أي درجة يتسم التحالف الإسرائيلي مع الولايات المتحدة بالقوة. وهل يجب على إسرائيل أن تثبت قدراتها العسكرية من أجل الدفاع عن وجودها، أم تستسلم إسرائيل، والعالم معها، لحقيقة أن محور الشر سوف يشتد بشكل واضح في اليوم التالي لإنتاج قنبلة نووية إيرانية.. لقد بدأ الوقت في النفاد.

وحملت افتتاحية صحيفة هاآرتس يوم 2006/4/16 عنوان (الضجة التي تسبق العاصفة) وجاء فيها:

الرئيس الإيراني، محمود أحمدي نجاد، في حالة زخم كلامي متزايد في الأسابيع الماضية. فقد تباهى في منتصف الأسبوع الماضي بنجاح بلاده في تخصيب اليورانيوم، تذكرة الدخول إلى النادي النووي، ثم خص إسرائيل في النهاية بتصريح عدائي جديد ضمن سلسلة طويلة من التصريحات العدائية، حيث اتهم نجاد إسرائيل هذه المرة بتهديد كل العالم الإسلامي، وشبهها بشجرة جافة معطوبة،

ووعد بأن تدمر هذه الشجرة في إحدى العواصف"، وليس ما يقلق هو أسلوب أحمدى نجاد"، وإنما ما يقف خلفه، لأن العاصفة التي يعد بها الرئيس الإيراني قد تكون نووية. إن السعي إلى حيازة سلاح نووي سمة من سمات الدول الكبرى المعنية بالتوصل إلى توازن إقليمي. للخروج من المظلة الدفاعية للدولة العظمى ولتحسين موقف المساومة والمناورة على الساحة الدولية. وتفضل دول غنية ومتطورة كاليابان وألمانيا، اللتين قامتا ببناء بنية تحتية تمكنهما من الحصول في غضون أسابيع على سلاح نووي، البقاء على الحافة. أما باكستان والهند فإنهما تقيمان ميزان رعب متبادلا، بدون تهديد جارات أخرى.

ينبع التخوف من الانتشار النووي من تلك الأقلية من دول العالم التي تسعى إلى التسلح النووي ولا تكتفي بالردع، إنما تسعى إلى تغيير الوضع القائم وإلى فرض موقفها. مثال لهذه الدولة كوريا الشمالية، التي تهدد كوريا الجنوبية واليابان وتبيع صواريخ بعيدة المدى إلى إيران ودول أخرى. إيران نموذج أكثر وضوحا، نظراً لأن نظام آيات الله حدد لنفسه هدفا هو نشر الثورة الإسلامية وإبادة إسرائيل.

هذه وصفة لتقويض الاستقرار ولدفع عناصر أخرى - منها ما هو مهدد بشكل مباشر (وعلى رأسها إسرائيل) ومنها ما هو في وضع زعامة عالمية (أعضاء مجلس الأمن)، لإحباط النية الإيرانية المعلنة. فمضاعفة القدرة الإيرانية، الآخذة في التحقق رغبة في تدمير إسرائيل وفي إحراز مدى صاروخي نووي يصل حتى عواصم أوروبا ثم لاحقا أيضا إلى شمال أمريكا، أمر لا يمكن احتماله.

حتى الآن يتركز جهد الإحباط على القناة السياسية، سيلتقي ممثلو الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن ومعهم ألمانيا أيضا هذا الأسبوع في روسيا، من أجل تنسيق الموقف قبيل النقاش في الأمم المتحدة حول ما تقوم به إيران، التي تتحدى قرارات الوكالة الدولية للطاقة الذرية. والنتيجة حتى الآن انقسام الدول الست التي تتزعم الجهود ضد إيران، إلى حزم غربي (أمريكي - بريطاني - فرنسي - ألماني) في مواجهة مهادنة شرقية (روسية - صينية)، من المتوقع أن تكون المفاوضات طويلة ومتواصلة، تناقش خلالها - للوهلة الأولى في أطر أخرى، مثل اجتماع الدول الصناعية السبع الكبرى (بالإضافة إلى روسيا) في سان بطرس برج"، في يوليو - مواضيع أخرى. من بينها الشرق الأوسط، وفي نهاية الأمر لن يستطيع العالم التنصل من حسم صعب: هل يضبط النفس إزاء تسلح إيران النووي، أم سيعمل ضده بقوة..؟

من شأن تصريحات "أحمدى نجاد" أن تبرهن على أن الهدوء ليس دائما قبل العاصفة، فإن الشعب الإيراني، الراغب معظمه في ازدهار اقتصادي فيما هو متمسك بكبرياء قومي، قد يدفع ثمن غطرسة وعداء زعمائه، إذا لم يتعقل ويعمل من أجل تغيير النظام الحالي"

هكذا شخصت الصحيفة الصهيونية مخاوفها ، وأظهرت كراهيتها لأي احتمالات لتفوق إقليمي بالمنطقة ، متجاهلة ترسانتها العسكرية . ودعايتها الهمجية .

شهادة صهيونية قديمة .. جديدة !!

أثار عرض فيلم (روح شاكير) في القناة الثانية بالتليفزيون الإسرائيلي أوائل شهر مارس من العام 2007 من جديد قضية قتل الأسرى المصريين في حرب 1967 ، وبعد عرض الفيلم تقدمت مجموعة من أعضاء البرلمان المصري بطلبات إحاطة وأسئلة لوزير الخارجية المصري، وصحب ذلك ارتفاع في نبرة الانتقام في الإعلام المصري المستقل (وأحيانا الحكومي) المقروء والمسموع والمرئي، وكعادة العقل العربي بدأت عمليات "الترقيع" الفكري اللا أخلاقي لطائفة من هواة ومحبي التطبيع، تشد حبال المناقشة بعيداً عن لب القضية ،عن طريق طرح أسئلة هامشية من عينة: ما الدليل؟ كيف يمكن توثيق الأدلة والشهادات أين الإحصاء الصحيحة ؟ ما جدوى الجدل في هذه الجرائم بعد أربعين عاما من حدوثها؟ ولماذا في هذا الوقت بالذات؟

ونحن اليوم نقدم للقراء وثيقة قديمة ولكنها جديدة شهادة صهيونية كانت في قلب الأحداث وهي قديمة لأنها نشرت قبل عرض فيلم روح شاكير بعامين إلا قليلا. وهي جديدة لأنها لم تنشر في الصحافة العربية في إبان تلك الزوبعة التي أعقبت عرض الفيلم. صاحبة الشهادة هي الدكتورة روحاما مارتون، مؤسسة ورئيسة جمعية أطباء من أجل حقوق الإنسان) الصهيونية،وهذه الشهادة منشورة باللغة العبرية في موقع **www. Yairgil . com** بتاريخ 2005/5/8. وفيها تقول:

أنا روحما مارتون.. سعيدة بوجودي معكم هنا، أنتم الذين تؤمنون بإمكانية التغيير. هناك أمور كثيرة في دولة إسرائيل يجب أن يطولها التغيير، وأقصد هنا بالتغيير أن يكون تغييرا راديكاليا وجذريا، وليس مجرد التحسين أو التجميل. ومن أجل إحداث تغيير جذري يجب إحداث هزة وصدمة، وهذا أمر صائب على المستويين الشخصي والعام. لقد صادفت ذلك أثناء خدمتي العسكرية في حرب سيناء (تقصد حرب يونيو 1967). عندما رأيت كيف ينكل جنود الجيش الإسرائيلي، أفراد كتيبتي، بالأسرى المصريين ويقتلونهم ، ولدهشتي لم يشأ أي شخص أن يسمع أو يتحدث عن ذلك.

وهنا أدركت أن طهارة السلاح ليست إلا كذبا، وإن الجيش الإسرائيلي ليس أفضل من أي جيش آخر على مر التاريخ (تقصد ليس أفضل أخلاقيا). وبعد ذلك أدركت أن المساواة أيضا ليست إلا كذبا، وأنهم ينتهكون حقوقي كامرأة وحقوق أخواتي النساء.

ومنذ ذلك الحين ،وحتى وقتنا هذا أصبحت ناشطة في منظمة حقوق الإنسان وحقوق النساء في إسرائيل والعالم.. ومنذ 17 عاما في بداية الانتفاضة أسست جمعية أطباء إسرائيليون – فلسطينيون لحقوق الإنسان فالصحة البدنية والنفسية هي حق أساسي من حقوق الإنسان يتم انتهاكها على أيدي الاحتلال الإسرائيلي. وقد تأسست الحركة بهدف مقاومة الاحتلال. وإثبات أن هناك بديلا لنظام الحكم العسكري والقوة المفرطة التي تنعكس في القتل والتعذيب والسجن والاعتقال وسرقة الأراضي والمياه وتدمير البنية التحتية المدنية للفلسطينيين وتقييد حريتهم الشخصية والوطنية. ونحن نرى أن النضال المشترك من جانب أطباء فلسطينيين وإسرائيليين من منطلق التضامن وبعيدا عن العنصرية والتعالي، هو نظرية وعمل في الوقت ذاته.

وقد غيرت الجمعية اسمها خلال سنوات "أوسلو"، الكئيبة ليصبح أطباء لحقوق الإنسان ووسعت مجال نشاطها داخل المجتمع الإسرائيلي، حيث شمل النضال من أجل حقوق العمال الأجانب ومن أجل حقوق البدو في القرى ضد تجارة الرقيق الأبيض، والآن تتركز مهمة جمعية أطباء لحقوق الإنسان" على النضال من أجل إنهاء الاحتلال.

وفي السياق نفسه كتب جدعون سبيرد يوم 17 / 2007/3 بعد أكثر من أسبوعين من عرض الفيلم خطابا إلى بنامين اليفيزر وهو يهودي عراقي اسمه فؤاد في موقع **www. hagada org.il** 2007/3/19 يقول:

إلى حضرة: عضو الكنيست بنيامين (فؤاد) بن اليعيزر وزير البني التحتية الوطنية القدس 15 مارس 2007-05-26 الموضوع: جرائم حرب – وحدة شاكيد بقيادتك في حرب الأيام الستة (يونيو 1967).

إن محاولتك كي تزيح عن كاهلك مسئولية جرائم الحرب التي ارتكبتها وحدة شاكيد في حرب يونيو 1967، مثلما أذاعها التليفزيون الرسمي (القناة الأولى) في فيلم ران إدليست "روح شاكيد" هي محاولة يتميز بها الجنرالات أمثالك، عندما يروق لهم الأمر، فإنهم يتفاخرون بانجازاتهم العسكرية ، ولكن عندما ينكشف عارهم ، فإنهم يهربون مثل الأرانب.

الشهادات كما وردت في الفيلم، على ألسنة من اشتركوا في هذه الجرائم ، لا تدع مجالا للشك بأن الجنود المصريين قد قتلوا بعدما ألقوا أسلحتهم وهربوا في محاولة للعثور على ملاذ لهم، ومن أدلوا بهذه الشهادات هم ضباط كبار مثل العميد احتياط امتسياحين، والمقدم احتياط ياريف جرشوني.

وقد قال المقدم ياريف جرشوني:" استلمنا مروحتين من طراز سيكورسكي. وكانت طارات البابير ترصدهم من أعلى، وتقوم بإرشادنا وكنا نهبط وننقض عليهم ونقتلهم وكان فؤاد يسجل على السروال عدد من قتلناهم.. كانوا خائفين ويختبئون في حفر وسط الرمال محاولين الاختفاء وتغطية أنفسهم بسعف النخيل.

وقال العميد امتسياحين: يجب أن نتعامل بموضوعية ونقول أن ما حدث كان مبالغا فيه. فهذه القوات لم تكن تمثل خطورة علينا، وأننا هجمنا عيها من أعلى وقال المقدم ياريف جرشوني: كان هناك نوع من الانتقام.. لم يتكلموا عن هذا الأمر لفترة طويلة لأنها كانت عملية غير رسمية، وغير مدروسة. والجميع لا يستطيع تفسير أهدافها.

وقال العميد أمتسياحين:" المشكلة هي أننا ارتكبنا هذا العمل. هذا هو الأمر الخطير. لم نحسن التفكير. ففي نهاية الحرب كنا كالدجاج، ليس لدى كلمة أخرى أقولها.. لو كنا نتمتع آنذاك بما نحن عليه حاليا، لكان في مقدورنا أن نوقف ذلك، بل وأن نرفض الأوامر.

هذه الفقرات المأخوذة عن الفيلم نشرت في مقال إيهود آشرى في صحيفة "هاآرتس" (9 مارس 2007)، وهويصف مع فعلتوه آنذاك بأنها "حملة منظمة لاصطياد جنود لا حول لهم ولا قوة".

إن هذا الوصف المخيف قليلا يكفي لمحاكمتك كمجرم حرب.

وقد قال د. أوري ميلشتاين ، الذي حقق في الجريمة ونشر ذلك في كتابه ، أن عمليات القتل هذه قد نفذت بعد سريان الهدنة، وعندما هرب الجنود المصريين بعشوائية وبلا أسلحة من أمام الجيش الإسرائيلي،تطاردهم كوابيس مذبحة دير ياسين ويخشون أن يكون هذا هو مصيرهم، وقد اتضح فعليا أن مخاوفهم كانت على حق. تجدر الإشارة إلى أن ميلشتاين ليس يساريا كارها لإسرائيل" مثلما يطلق أحيانا الشارع الإسرائيلي على اليساريين، بل إنه من أتباع اليمين، ورجل وطني إسرائيلي، لكنه في النهاية مؤرخ مخلص مهنيا، لأنه لم يكن مستعدا لأن يزيف الحقائق حتى لو لم تكن في مصلحة إسرائيل.

إن سلوكك في هذه القضية، حيث كنت تسجل على سروالك عدد القتلى يضعك في مصاف الجنرالات القتلة على غرار "بينوشيه" أو مجموعة الجنرالات الفاشيين الذين حكموا الأرجنتين في حين (وهناك ارتكبوا جرائم بأسلوب يختلف عنك قليلا – كانوا يلقون بالناس من الطائرات إلى البحر).

إنك لست أول مجرم حرب يكون عضوا في حكومة إسرائيل وللأسف الشديد في الواقع السياسي الحالي، ليست هناك فرصة لأن تقدم للمحاكمة ، حتى رغم الغضب المفهوم والمبرر في مصر إزاء ما أظهره الفيلم، أشك في أن تقوم الحكومة المصرية باعتقالك من أجل محاكمتك.

لن يسمح دعاة حقوق الإنسان لهذا الموضوع أن يصبح في طي النسيان. وسوف يبذلون كل جهودهم للعثور على المكان الذين يمكن محاكمتك فيه، واعتقد، وإن لم أكن أعلم. أن هناك أيضا من يفكرون بأسلوب المخابرات ويعتقدون أنه يمكن أن يفعلوا معك ما فعلته إسرائيل –حسبما ذكر بعض المحللين- مع الجنرال الإيراني (بقصد نائب وزير الدفاع الإيراني الأسبق الجنرال على رضا أصغري الذي اختفى مؤخرا في تركيا).

إنني انتمى لأولئك الذين يناضلون من أجل محاكمة مجرمي الحرب في إسرائيل، أو عندما لا يكون هناك مفر، أمام محكمة دولية متخصصة في ذلك. وبما أن الوضع السياسي والقانوني في إسرائيل حاليا لا يسمحان بمحاكمتك في إسرائيل (وكم من المخزي أنه لا يوجد في إسرائيل قانون يقضى بعدم سقوط جرائم الحرب بالتقادم). سوف أنشر هذا الخطاب على شبكة الإنترنت وأتمنى أن ترفع ضدي قضية سب وقذف، وعندئذ سوف يتضح لموضوع تماما في لمحكمة في إطار موقفي .. لقد قلت الحقيقية نسخة إلى ميني مزوز – المستشار القانوني للحكومة.

فلسفة الدعاية الصهيونية ومنهجيتها

الصهيونية هي ذلك الإطار الأيديولوجي الذي يمثل القومية اليهودية المعتمدة أساساً على الديانة اليهودية واللغة العبرية . وتسعى الصهيونية - كفلسفة - إلى جمع شتات اليهود في وطن واحد لم تتبلور حدوده في أذهان مؤسسي تلك الفلسفة تبلوراً قاطعاً . وقد سعت الدعاية الصهيونية إلى خدمة أهداف تلك الفلسفة بمختلف الوسائل وعلى الأصعدة الثقافية والفكرية والفنية كافة مستهدفة بذلك غاية واحدة هي : جمع الشمل على قومية يهودية مفتقدة .

يقول رجاء جارودي :

" إن الدعاية الصهيونية منظمة تنظيماً محكماً في الغرب ، وهي تمثل إحدى العوائق الأساسية أمام تفهم العالم الغربي للحقائق وفهمه الصحيح للإسلام "

ويرى بعض الباحثين أن الدعاية الصهيونية سعت منذ بداية القرن الحالي لاحتلال بعض النواحي الهامة في مجالات الفنون التشكيلية فسيطرت العناصر الصهيونية على أهم دور النشر والمطبوعات الفنية الأوروبية والأمريكية .. وأخذت تؤلف في تاريخ الفن لتقوم الفنون عامة على أسس تخدم القضية الصهيونية فيما يشبه الأسلوب الفلسفي أو العلمي في سرد وتفهم الأسس التي قامت عليها الحركات الفنية . بل ربما حرفت بعض مفاهيم الفن لخدمة أغراضها .

وقد قام سليمان خير الله بدراسة تناولت " سمات الإعلام الموجه باللغة العربية وفلسفته وأغراضه" بعد أن استمع الباحث لفترات إلى إذاعة إسرائيل لتحليل المادة المذاعة وقد سعى الباحث إلى دراسة ثلاثة عناصر أساسية في موضوعه هي :

1 - طبيعة الإخبار الصهيوني .

2 - الجمهور المستهدف بالإخبار الصهيوني .

3 - السبل الممكنة لمواجهة هذا الإخبار .

يقول سليمان خير الله في بحثه هذا :

لقد نجحت إذاعة إسرائيل مع الأسف من خلال الطريقة " الانتقائية " التي تعرض بها إخبارها العربي عما يجري داخل إسرائيل إلى أن تبني لنفسها هالة ليست من المصداقية ، وأرخت للمستمع العربي العنان لكي يصبغ هذه الصفة على كل ما يذاع منها من أخبار أو تعليقات على الشعب العربي .

وقد استثمرت إسرائيل شعور المواطن العربي في صياغة أخبارها الانتقائية وتمريرها إلى أذنه ووجدانه ، ونجحت إلى مدى كبير (مع الأسف) في توجهها إلى المستمع العربي من خلال مصداقية زائفة وعرضها " الموضوعي " لكثير مما يجري داخل إسرائيل .

كيف استثمرت إسرائيل هذه المصداقية بذكاء نادر في التوجه نحو المستمع العربي ؟ .

لقد تم ذلك من خلال اللعب على الخلافات العربية ، وتأجيج نيرانها باستمرار ، فإذا ما نشرت صحيفة عربية ، أو أذاعت إذاعة عربية ولو خبرا صغيرا ضد بلد عربي آخر ، فإننا نجد هذا الخبر يأخذ حيزا مهما في نشرة الأخبار في الإذاعات الإسرائيلية ؛ وبنفس المقياس فإن كل ما يشير إلى خلاف عربي سواء في السودان أو موريتانيا أو الأردن وسوريا والعراق وليبيا ، يخدم هدفها في بلورة شعور اليأس لدى المواطن العربي بتحقيق أي وفاق أو تضامن ، فأنها تأخذ هذا الأمر عن طريق الخبر والتعليق والتحليل الإخباري . فهي تريد أن تصور للمواطن العربي والشعوب العربية كلها أن الخلافات والنزاعات بين الدول والكيانات العربية هي عاهة مستديمة في الشخصية العربية وأن هذه الدول لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتفق على موقف موحد ضد إسرائيل ، وبالتالي زرع اليأس في قيام تضامن عربي يؤدي إلى استخلاص الحقوق الفلسطينية والعربية عن طريق الحرب أو عن طريق السياسة الموحدة ، وأن مثل هذا الأمر قضية ميئوس منها وكأنها تقول : وإذن فلا مناص لك أيها المواطن العربي والفلسطيني بشكل خاص ، من أن تبحث عن طريق " السلام " .

" والسلام " في ترجمة إسرائيل هو سلام الاستسلام والقبول بمنطق اليأس والخضوع للأمر الواقع الذي فرضته الصهيونية بإرادة السلاح والعدوان .

إذن ، فإن أخبار إسرائيل " العربي " يرتكز دائما على الخلافات العربية ، ويؤجج نيرانها باستمرار ، وتعينه في ذلك طبعا الآلة السياسية في إسرائيل ، إذ هي تتلقف أي تصريح من مسئول إسرائيلي يعزز الشعور باليأس في نفس المواطن العربي حتى لو كان هذا التصريح موجها للمجتمع الإسرائيلي .

وقد قام الدكتور نواف عدوان ببحث آخر حول " اتجاهات إذاعة الكيان الصهيوني الناطقة باللغة العبرية " استعرض الباحث فيه عددا من المحاور من أهمها :

1 - الموقف من القضية الأمنية الإسرائيلية .

2 - الموقف من القضية اللبنانية .

3 - الموقف من التناقضات العربية .

يقول د . عدوان :

لقد تعاملت الدعاية الإسرائيلية الناطقة باللغة العبرية مع مستمعيها في داخل وخارج الأرض المحتلة بأسلوب مباشر هدفه ربط المستوطنين الصهاينة " بإسرائيل " ودفعهم إلى تحمل المسؤوليات الأدبية والمعنوية والتاريخية " بأرض الميعاد " الذين قدموا من أجلها . فلا عجب أن توظف الدعاية الصهيونية كافة طاقاتها لإيجاد برامج ساخنة قادرة على الاستمرار بشد المستمع بالعبرية ودفعه للمحافظة على غروره وتحيزه من أجل فرض " إسرائيل "

وتأكيد قوتها العسكرية والتكنولوجية التي " لا تقهر " . في حين تعاملت هذه الدعاية مع مستمعيها باللغة العربية بأسلوب اعتمد على الكذب والتزوير والحيل والتبرير ، حيث لجأت هذه الدعاية إلى استخدام أسلوب المغالطات والتناقضات وأسلوب المقابلة الخاطئة إلى جانب أساليب الحرب النفسية وحيل البلاغة والتهكم .

وقد ناقش د . نواف عدوان اهتمام الدعاية الصهيونية - في إذاعتها العبرية - بظاهرة تسييس الدين حيث يقول :

" أما الموقف من المشاكل الدينية فقد احتل هذا الموضوع أهمية خاصة من حكام إسرائيل ، وقد ظهر هذا الاتجاه من خلال خلافات تنشب باستمرار بين تيارات علمانية ودينية متصارعة ، تفرض فيها القلة الدينية المتزمتة مظاهر احترام وتقديس العادات والتقاليد اليهودية القديمة ، وتطالب بإعطاء الدين اليهودي مكانة مهمة في التجمع الصهيوني واحترام القرارات التي تبرمها المحاكم الدينية بخصوص العديد من القضايا الاجتماعية المطروحة في مجتمع غير متجانس ومتناقض عقائديا وفكريا وسياسيا .

وهنا .. لابد من تحليل الاهتمامات الخاصة للدعاية الصهيونية التي أخذت تركز منذ السنوات القليلة الأخيرة على ترويج ظاهرة الدين وتسييسها، خصوصا في الفترة التي أعقبت الأحداث الدامية في حربي لبنان والخليج . ومن المعروف بأن هذه الظاهرة لم تأت بمحض الصدفة،

وإنما أتت بعد دراسات معمقة وبتعاون منظم مع وكالات الاستخبارات الأمريكية لإثارة النعرات الطائفية في الوطن العربي ، ووضع الإسلام في وجه العروبة واستبدال الهوية العربية بهويات مذهبية لعرقلة نهوض الأمة العربية وضرب أهدافها القومية التحررية .

على ضوء الأهمية الكبيرة التي أولتها الدعاية الصهيونية باللغة العربية نحو تأجيج وترويج الظاهرة الدينية السياسية في الدول المجاورة ، ونلاحظ بالعبرية أن هذه الدعاية قد أبرزت بحذر تذمر التيار العلماني من تزمت التيار الديني اليهودي الذي أخذ يطفو على السطح في إسرائيل ليفرض قوانينه وأحكامه عنوة بالرغم من أن هذا التيار لا يشكل سوى نسبة (10%) من التيارات والأحزاب العلمانية الأخرى ."

ولا شك في أن الدعاية الصهيونية مهما حاولت فإنها لن تنجح في خلق وحدة ثقافية لليهود لأن ثقافة اليهود بطبيعتها غير متجانسة . ويصف بعض الباحثين الثقافة اليهودية بأنها ثقافة جامدة ثابتة منذ آلاف السنين . وهذا الثبات الساكن منذ آلاف السنين يثبت بالمنطق أن الثقافة اليهودية غير قابلة للتطور ، وقد توقفت عند مرحلة زمنية سحيقة في التاريخ رافضة التفاعل أو مواكبة التطور الثقافي عبر العصور .

الجمود في واقع متحرك هو بمثابة التقهقر حتى التلاشي والاندثار ، وهذا ما أصاب الثقافة اليهودية بالفعل ، إذ غابت عن الوجود قروناً ، وما نشهده منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم هو مجرد إعادة إحياء هذه الثقافة من حيث توقفت ، ولكن بقناع براق من التقدم التكنولوجي لم يمس عمق الثوابت غير المتطورة .

ولهذا الجمود المتحجر أسبابه الذاتية التي تكمن في خصائص هذه الثقافة اليهودية ، والتي يمكن تعداد بعضها على النحو التالي :

الثقافة اليهودية ضحلة الجذور وتفتقد إلى الخلق والإبداع . صفتها الأساسية أنها تسرق وتقتبس من ثقافات الغير وتشوهه وتزوره بحيث يخدم أغراضها السياسية والعقائدية .

لذلك فليس عند الثقافة اليهودية ما يمكنها منحه لغيرها من الثقافات المحيطة والمجاورة . فهي ليست كالنبع يجري راوياً ما حوله من مساحات بل كالأسفنجة تمتص من الغير وتختزنه على نتن تقادم .

تتميز الثقافة اليهودية بالانغلاق والعصبية العنصرية . وهذا ما يجر إلى التعالي على الغير وادعاء التفوق دون الآخرين . فهم بهذا المنطق السلالة الأسمى في العالم المعدة إلهياً للسيادة على شعوب الأرض واستعبادها وتسخيرها لمصالحها الذاتية .

من هذه العنصرية المتعالية انبثقت عندهم العقيدة الدينية التي تكرسهم " شعب الله المختار" والموعود بأرض الميعاد التي وهبهم إياها لإقامة مملكتهم المقدر لها إلهياً أن تسود العالم .

زيادة على كل ذلك ، فالثقافة اليهودية تتسم بالعدوانية المفرطة . فهي لا تعترف بالغير ولا بحق هذا الغير بالوجود . فكل ما ليس يهوديا من أم يهودية هو حيوان لا صفة إنسانية له يواجه أحد خيارين : إما الانصياع المذل وتقبل عبودية خدمة مصالح وأهداف " شعب الله المختار " أو مواجهة الزوال والاندثار .

المرجع الوحيد للثقافة اليهودية هو النسخة التي وصلتنا من التوراة ، والتي نعتقد أنها مزورة وليست التوراة الأساسية ، وأيضاً ما هو ثابت في التلمود وكتاب حكماء صهيون المنبثق عن التوراة والتلمود ، وهو الكتاب العقائدي الذي يتضمن خطة منظمة الصهيونية العالمية لتحقيق " وعد الله لشعبه المختار " .

من هنا نرى أن الثقافة اليهودية قائمة على عقيدة دينية وهذا بالتأكيد سبب تحجرها وعدوانيتها . وما دامت أن هذه الثقافة مستمرة في الارتكاز حصراً على عقيدة دينية غير متطورة، تبقى هي أيضاً غير قابلة للتطور ، وغير قادرة للتفاعل مع غيرها من الثقافات . وبالتالي فهي ثقافة غير حوارية .

للمعاناة صور أخرى

داخل الدولة الصهيونية

قامت الدعاية الصهيونية لجذب يهود العالم للهجرة إلى إسرائيل على أكذوبتين كبيرتين هما:

أن إسرائيل دولة غنية، فهي جنة حقيقية على الأرض يستمتع سكانها بالرفاهية والثراء.

أن إسرائيل دولة تكنولوجية متقدمة تستطيع المفاخرة بأنها تتفوق على الدول الغربية في هذا المجال.

وواقع الأمر أن الإعلام الصهيوني نفسه يكشف زيف هاتين الأكذوبتين فتحت عنوان :" يضف المهاجرين الأثيوبيين يعيشون تحت خط الفقر "كتب الصحفي الصهيوني تسفي لافي في صحيفة يديعوت أحرونوت يوم 2007/4/4 يقول:

أظهر جزء آخر من التقرير السنوي، الذي نشره اليوم بنك إسرائيل، ويتناول معطيات خاصة بسوق العمل، أن الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمهاجرين من أثيوبيا سيئ للغاية، وأن معدلات البطالة بينهم تعادل ضعف المتوسط في قطاعات الاقتصاد، كما أن نصف العائلات وثلثي الأطفال الأثيوبيين يعيشون تحت خط الفقر.

ويوصي بنك إسرائيل بتوسيع أماكن وجود المهاجرين الإثيوبيين في الأحياء والبلدات ميسورة الحال وتوسيع نطاق التمييز الإيجابي من أجل تحسين أوضاعهم. كما يوصي البنك بزيادة نسبتهم في سوق العمل في القطاع العام وزيادة رقعة التأهيل المهني، وجزء من سياسة موجهة تؤدي إلى تقليل معدلات البطالة في صفوفهم.

وقد ورد في التقرير أن متوسط أجر العاملين الأثيوبيين يقل بنسبة 45% عن أجر قدامي المواطنين، ويقل بنسبة 13% عن أجر المهاجرين من الاتحاد السوفيتي السابق (22 شيكلا صافيا في الساعة مقابل 40 شيكلا لقدامى المهاجرين ونحو 25 شيكلا للمهاجرين الآخرين). كما أن وضعهم الاقتصادي سيئ جداً، حيث يعادل 3 أمثال وضع المهاجرين من الاتحاد السوفيتي السابق الذين يعيشون تحت خط الفقر، كما يظهر التقرير أن 20% من الإثيوبيين غير متعلمين، مقابل 0.5% من المهاجرين الآخرين.

ويعرض بنك إسرائيل في التقرير بيانات سيئة خاصة بنسب الأجر والعمل المنخفضة ونسب الفقر المرتفعة بين المهاجرين الإثيوبيين (نحو 106 آلاف في أواخر عام2005). ورغم الموارد الكثيرة التي تم إنفاقها بهدف استيعابهم، ورغم التقدم الملحوظ في اندماجهم في العمل، والتعليم والسكن لازال هناك المزيد من العمل ينبغي القيام به"، حسب تأكيدات معدي التقرير.

كما تظهر معطيات التقرير أن 40% من المهاجرين الإثيوبيين في سوق العمل أنهوا التعليم الأساسي.. وترجع صعوبات استيعابهم إلى زيادة عدد الأطفال والسكن المشترك مع المسنين، لاسيما بسبب تركزهم في عدد محدود من الأحياء الفقيرة في وسط وجنوب إسرائيل.

وتصل نسبة مشاركة الإثيوبيين في سوق العمل إلى 57% مقابل 76% من إجمالي العائلات اليهودية . ويعتبر المستوى التعليمي والمهني المتدني هو السبب في ارتفاع نسبتهم بين العاملين في مجال العمالة من الباطن مقابل أجر شهري منخفض.وفي عام 2005، بلغ متوسط دخل الفرد في الشهر ألف شيكل، وهو ما يعادل نصف دخل العائلات اليهودية عموماً.

ويرسم التقرير صورة كئيبة بشأن الصعوبات المتوقعة للجيل القادم من المهاجرين الإثيوبيين نتيجة للوضع الاقتصادي المنخفض والمستوى التعليمي المنخفض للآباء، وكذلك لصورة وضعهم في الجهاز التعليمي.

ورغم الموارد الكثيرة التي تخصصها وزارة التعليم للنهوض بمستوى التلاميذ الآن إلا أن الانجازات الدراسية منخفضة نسبيا ، ونسبة التسرب بين المهاجرين الإثيوبيين مرتفعة.ولا تتوافر شروط الالتحاق بالجامعات إلا في حوالي الثلث منهم فقط، مقابل 83% من أبناء إسرائيل..

صحيح أن التقرير يشير إلى تراجع ملحوظ في مقاييس نجح الجيل الشاب في الجهاز التعليمي بصفة عامة، إلا أنه يؤكد أيضا على "حجم المشاركة الكبيرة نسبيا للشباب الإثيوبي في الحالات التي تنطوي على مخاطر"، أي في الجريمة أو كضحايا للعنف.

كما سبق القول ، فإن التقرير يوصي بإتباع سياسة تهدف لتوزيع الإثيوبيين في كل أنحاء إسرائيل من أجل تيسير اندماج الشباب الإثيوبي في الجهاز التعليمي، وزيادة الموارد المرصودة للمدارس التي تضم نسبة كبيرة من التلاميذ الإثيوبيين، وتوسعي نظام التأهيل المهني، وكذلك إتباع سياسة التمييز الإيجابي من أجل دمجهم، في العمل في القطاع العام.

رغم كل ذلك، يظهر التقرير نتيجة مفاجئة مفادها أن 80% من المهاجرين الأثيوبيين يشعرون بالرضا عن وضعهم، مقابل 86 % من قدامي السكان و72% من المهاجرين من الاتحاد السوفيتي السابق.

وفيما يتعلق بالأكذوبة الثانية كتب أفشالوم أديريت في صحيفة هاآرتس يوم 2007/4/4 يقول:

ركزت بعض التقارير التليفزيونية والصحفية مؤخرا على قضية نهم الانترنت"ز ربما بذل الكثير من أولياء الأمور جهدا كبيرا من أجل دراسة الانترنت من خلال الدورات التي تعقد لتعليم الإنترنت لأنهم قالوا: "لابد وأن تفعل شيئا ما"، ولن هذه الخطوة لم تؤت ثمارها، وسرعان ما عاد هؤلاء الآباء ليمارسون حياتهم الروتينية المعتادة. ولكن السؤال الذي يتردد هنا بقوة: ماذا يفعل ولي الأمر لو اكتشف أن رجلا في الخمسين من عمره ينتحل صفة شاب في السادسة عشرة ويجرى محادثة إباحية مع ابنته حول مغامراتها الجنسية ويحاول إغراءها باللقاء..؟

وقد أشارت بعض الدراسات التي أجريت في إسرائيل أو في دول أخرى في العالم إلى وجود فجوات بين تفكير الآباء بشأن ما يفعله أبناؤهم على شبكة الانترنت ، وبين ما يقوم به الأبناء بالفعل. أشارت دراسة أجريت مؤخرا في جامعتي تل أبيب وحيفا إلى أن هناك من الأبناء من أفادوا بتعرضهم للإباحية بنسب متفاوتة، حيث بلغت النسبة بين تلاميذ المرحلة الابتدائية 29% بينما بلغت بين طلاب المرحلة الإعدادية 53%، وبين طلاب المرحلة الثانوية 73%. وفي مقابل هذا، تعتقد نسبة تتراوح ما بين 10% إلى 18 % من أولياء أمور هؤلاء التلاميذ أنهم شخصيا قد تعرضوا للإباحية على الشبكة العنكبوتية.

إن المشكلة الرئيسية هي أن غالبية أولياء الأمور لا يريدون التزود بالمعرفة عن الأخطار الموجودة على الشبكة العنكبوتية. فعندما عقدت إحدى المدارس الكبرى في وسط البلاد لقاء حول هذا الموضوع، حضر بالكاد 20 ولي أمر. وعندما عقد أحد مراكز الشباب والرياضية في شمال البلاد دورة إرشادية للعائلات حول موضوع مخاطر الإنترنت" حضر بالكاد 30 ولي أمر، فما السبب وراء عزوف أولياء الأمور عن التعرف عن قرب على هذا الموضوع..؟

ويبدو أن هذه الرغبة من أولياء الأمور في عدم التعرف عن قرب على مخاطر الإنترنت تأتي في إطار تفضيلهم لأن يمكث أبناؤهم في شغفهم على أن يهيموا في الشوارع أو يترددوا على الملاهي المشبوهة. فعدم المعرفة تحول دون تدخل الآباء في سلوكيات أبنائهم عند تصفحهم للشبكة العنكبوتية، وذلك بوضع قواعد ومحاذير وفرض بعض القيود حول هذا الأمر، مثل تحديد عدد معين من الساعات في اليوم لتصفح شبكة الانترنت، ونوعية المواقع المسموح بتصفحها، ومدى الكشف عن التفاصيل الشخصية عن طريق برامج الحظر ما إلى ذلك.

إن الوضع إشكالي، لاسيما عندما يكون الحديث عن أبناء في أعمار 13 و 14 عاما فأكثر. ورغم ذلك، هناك من الآباء من يعتقدون أن وضع قواعد والدخول في مواجهة مع الأبناء حول هذه الموضوعات من شأنه أن يزيد من تعقيد عملية التواصل الهشة مع أبنائهم.

لقد كان هناك وضع مماثل قائم على مدى سنوات يتعلق بتعاطي المخدرات، وقد تم تجنيد وسائل الإعلام ودواوين الحكومة بالطبع لمواجهة هذه القضية، عن طريق هيئة مكافحة المخدرات، وذلك لشرح المخاطر وتوعية الآباء بالنتائج الخطيرة التي من الممكن أن تصل إلى بيوتهم إذا استمروا في تجاهل الموضوع.

منذ ما يقرب من عشر سنوات – عندما كانت الشبكة العنكبوتية لا تزال في مهدها، وكانت المعرفة بأخطار هذه الشبكة العنكبوتية شبه معدومة – أشرك ابني "عيرين" – الذي رحل عن دنيانا – بعض أعضاء أحد المنتديات المعروفة في بعض المشكلات التي تواجهه في الجيش، حيث تحدث عن صعوبات هائلة. وقد تلقي الرد الذي تمثل في رسائل تشجعه على الانتحار. وبسبب محدودية معرفتي بأخطار هذه الشبكة العنكبوتية، فقد امتنعت عن التدخل في تصرفات ابني على الشبكة، فلم يخطر ببالي أن انطوائيته من ناحية، والدعوات التي تلقاها من خلال ا لشبكة من ناحية أخرى سوف تدفعها إلى هذا المصير، فبدلا من الرسائل التي كانت يجب أن تسانده وتواسيه، دفعته هذه الرسائل إلى الانتحار.

تعمل جمعية "إشناف" (دليل الناس من أجل الاستخدام الأمثل للشبكة العنكبوتية)، التي أسستها منذ نحو سبع سنوات لتخليد ذكرى ابني، على زيادة الوعي الجماهيري بأخطار الشبكة العنكبوتية ، لاسيما توعية الأطفال وذويهم. ونحن نوضح تلك المخاطر في محاضرات تلقي على أولياء الأمور، يتم عقدها في بعض المدارس

ومراكز الشباب والرياضة وأماكن العمل، كما نوضح سبل خلق حوار بين الآباء والأبناء حول هذا الموضوع. ونحن نؤكد أن الوسائل التقنية لغلق تلك المواقع ليست هي الحل. من الأهمية بمكان أن يبدأ أولياء الأمور في مواجهة هذه الحقائق القاسية، ألا وهي: أن الشبكة العنكبوتية التي تسهل من إمكانية التواصل بين الأشخاص والمنظمات والثقافات ، تطوى بين جنباتها أيضا بعض المخاطر، وبالأخص للمتصفحين من صغار السن، لذا، يتعين على الآباء أن يتزودوا بالمعرفة عن تلك المخاطر حتى يمكنهم تفاديها.

البعد النازي للحركة الصهيونية

في موسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية" للدكتور عبد الوهاب المسيري نجد تعريفا لمصطلح هولوكوست **Holocaust** يفيد بأنه كلمة يونانية الأصل تعني حرمة القربان بالكامل وتترجم إلى العبرية بكلمة شواه **shoah** وإلى العربية بكلمة "محرقة" ويرى المسيري أن كلمة هولوكوست كانت في الأصل مصطلحا دينياً يهودياً يشير إلى القربان الذي يضحي به للرب. فلا يشوى فقط بل يرق حقا كاملا غير منقوص على المذبح ولا يترك أي جز منه لمن قدم القربان أو للكهنة ولذلك كان الهولوكوست يعد من أكبر الطقوس قداسة وكان يقدم تكفيراً عن جريمة الكبرياء ويعتبر د.المسيري أن المقصود من هذا الاصطلاح هو تشبيه الشعب اليهودي بالقربان المحروق

وأنه حرق لأنه أكثر الشعوب قداسة، إن مصطلح الهولوكست هو في الحقيقة مصطلح ديني أسطوري يراد له أن يجعل من حدث الإبادة حدثا أسطورياً وقد استخدام هذا المصطلح كسلاح أيديولوجي لصرف النقد عن إسرائيل وأفعالها الشنعاء في فلسطين والشرق الأوسط ولتكمم الأفواه وصم الآذان عما ترتكبه من جرائم في حق الإنسانية الأخرط من ذلك أن الآلة الإعلامية اليهودية تعمل جاهدة على تلطيخ صورة العرب بالنازية وفي كتاب" الساميون والمعادون للسامية" للمستشرق برنارد لويس يفرد فصلا كاملا للحديث عن النازية العربية وتجده وغيره من المتعصبين اليهود يلصقون تهمة العنف والإرهاب ضد المقاومين الفلسطينيين والاستشهاديين في مقابل وصف اليهود بالمدنيين الأبرياء العزل !

والحقيقة أن الحركة الصهيونية منذ أن بدأت وبارتكازها على الأساطير والخزعبلات لما يعرف بالتلمود الذي كتبه الحاخامات عبر العصور – تبنت العنف والأنانية وحب الذات وكره الآخر مبادئ أساسية لها ناهيك عن الكبرياء والغرور المطلق ويمكننا الاستدلال على ذلك من العبارات التالية التي تضمنها التلمود:" ... الشعب اليهودي تمكن من أن يسترد القداسة من الآلهة الذي اعترف بأخطائه في حق اليهود وأراد أن يعرضهم عن فترات الشتات الطويل والتي تسبب فيها. وظل يبكي طويلا منذ أن أمر بهدم الهيكل. بأن أعطاهم فلسطين أو أرض الميعاد تكفيراً عن ذنوبه في حقهم "وعلى ما يحمله هذا الكلام من بذاءات

فإنه صار أساساً أيديولوجيا للصهيونية فيما بعد وأصبحت البنية الأسطورية الصهيونية تعتبر أن من يعادي اليهودي – أو بالأولي الصهيوني- يعادي في الحقيقة الإله ويعتدي على القداسة الإلهية – وتتبدي في العنصر المطلق في التصور الذي يقول بأن الإله قد خلق الأغيار – من هم دون اليهود من باقي أجناس الأرض- على هيئة بشرية لكي يكون لائقين بخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم إذ ليس من الملائم أن يقوم حيوان على خدمة الأمير وهو على صورته الحيوانية ! وقد أكد شارون على هذا المعنى عندما رفضت حكومته دخول بعثة تقصى الحقائق التي شكلها مجلس الأمن الدولي لمجرد المشاهدة العينية وجمع المعلومات عن مجزرة جنين، عندما قال أن إسرائيل لها وحدها الحق في أن تحاكم من نشاء، في حين لا يحق لأي جماعة أو دولة أن نحاسب إسرائيل.

ويرى د. هيثم الكيلاني(شئون عربية – ع 100 – ديسمبر 1999) أن الحركة الصهيونية تعيش حالة من التجدد ودونما ابتعاد عن النزعة العنصرية بل ربما إلى المزيد من الاقتراب منها ولم تختلف الأمور كثيراً من حكومة لأخرى ومن حزب لآخر فنجد أن شيمون بيريز في فترة رئاسته للحكومة الإسرائيلية – خطط لعقد مؤتمر ثان للحركة الصهيونية في الذكري المئوية لتأسيسها (1897 – 1997).

وتحدث عن خطته لصحيفة معاريف (عدد 1995/12/15) بقوله أن يسعى لمؤتمر جديد للصهيونية برسم استراتيجية القرن المقبل فالصهيونية – في رأي بيريز – استنفدت مهامها السابقة وعليها صوغ برنامج عمل قومي جديد لليهود في القرن المقبل وحينما تحدث بيريز عن العرب انطلق من فكرة الصهيوني العنصري في اتهامه العقل العربي العصور والعجز عن استيعاب معطيات التطور وقال أن الشرط اللازم أمام العرب لكي يصبحوا مثل نمور أسيا يتمثل في استفادتهم من العبقرية اليهودية ولم يختلف الأمر كثيراً بالنسبة للحكومة التالية لبيريز بقيادة بنيامين نتانياهو زعيم حزب الليكود آنذاك إلا أنه كان أكثر تجسيداً للأهداف الصهيونية وسعى إلى بلوغ سياسته بالعنف وقوة السلاح ولو أدي به الأمر إلى دفع منطقة الشرق الأوسط إلى حالة الحرب ويعتبر كتاب نتانياهو" مكان تحت الشمس" وبرنامج حكومته الذي نال على أساسه ثقة الكنيست في يونيو 1996 م مرجعين رئيسيين للتعرف على المبادئ والأفكار الصهيونية التي سعت وتسعى القيادة الليكودية إلى إحيائها وتجديدها فنجد أن كتاب نتانياهو يجتاز معظم شرور الصهيونية وآثامها ومعظم رذائل العنصرية والنازية والفاشية ففيه كم كبير من تزويد التاريخ وتزييف الحقائق واصطناع الأسباب للحروب والإبادة والتطهير العرقي فالعالم في نظرة مبني على الخير والشر ولا سبيل إلى الأمن والاستقرار إلا بقضاء الخير على الشر وأن إسرائيل ودول الحضارة الغربية هي الخير وأن أعداء إسرائيل هم الشر.

وتجزم الصهيونية المتجددة أن السلام الذي يمكن تحقيقه في الشرق الأوسط هو السلام المبني على قوة الردع وفي حال فشل هذه القوة فلابد من استخدام السلاح لإقامة السلام، ويرتبط إن كان ذلك كله بقدرة إسرائيل على الردع ولا أمن آراء نتانياهو في كتاب " أن هضبة الجولان والضفة الغربية تمثلا جداراً لا يمكن أبدا التخلي عنهما حيث يمثلا عمقا وارتفاعاً استراتيجيين ضروريين حتى في ظل امتلاك السلاح النووي والتخلي عنهما والانتحار لإسرائيل" وعن الاستيطان يقول:" أن هناك أهمية وطنية للاستيطان في النقب في الجليل وفي هضبة الجولان وغور الأردن وفي يهودا والسامرة لأن الاستبطان جزء من النظام الأمني لدولة إسرائيل وتعيد عن تجسيد الصهيونية.

وتاريخ الحركة الصهيونية وإسرائيل حافل بسلسلة طويلة من أعمال الإرهاب والقتل الجماعي فقد نشر قادة الصهيونية وزعماء إسرائيل وبفكرها مؤلفات كثيرة بحثوا فيها الإرهاب كعقيدة وسياسة ووسيلة وتحدثوا عن المنظمات الإرهابية وأيديولوجيتها ونشوئها وتنظيمها وإنجازاتها وأهدافها ويمكن القول أنه ليس في العالم تراث عسكري أو سياسي لأي شعب من الشعوب يشبه التراث الصهيوني في الإرهاب وعندما فكرت الصهيونية في إقامة دولة خالصة في فلسطين رأت أن ذلك لا يتم إلا بإبادة سكانها الأصليين أو طردهم عن طريق الإرهاب وهكذا شكل الإرهاب والعنف من البداية صلب الخطة الصهيونية الرامية إلى احتلال فلسطين

واستخدمت إسرائيل من أجل ذلك أساليب إرهابية كثيرة فالمذابح الجماعية التي تحدثت عنها كتب اليهود القديمة هي النموذج الذي استخدمته وسارت على هدية فيما بعد إسرائيل في دير ياسين وقبية وغزة واللد وتحالين وكفر قاسم (في فلسطين) والفاكهاني وصبرا وشاتيلا وقانا (في لبنان) ولعل أكثر ما يجذب الانتباه في سلسلة المذابح التي نقدتها الصهيونية وإسرائيل أن المنفذين كانوا دائماً يعرفون ما يفعلون وأن اتجاه العنف والإرهاب القتل الجماعي الذي ترتب عليه الكوادر الأولى المؤسسة للجيش الإسرائيلي ظلت-ولا تزال- تناقلته الأجيال الجيش الإسرائيلي والقيادات الصهيونية والإسرائيلية جيلا بعد جيل.

والنظرية العنصرية الصهيونية جلبت للفرد اليهودي صفات لا تخرج عن الحق والكره والاستعلاء والاستكبار وما ماثلها من أخلاق شاذة تولدها العنصرية وتجسدها تيارات وحركات كانت تمثل في التاريخ القديم والحديث والمعاصر فلسفة ومرجعية لبعض أنظمة الحكم مثل النازية والفاشية والعنصرية في ألمانية وإيطاليا وجنوب أفريقيا، وحينما تعاملت الصهيونية مع العرب. كانت قد صنفتهم في درجة دينا في سلم الأغيار وهو ما أباح لقادة الإرهاب الصهيونية لإسرائيلي أن يستخدموا جميع الوسائل الممكنة للقتل والإبادة والاغتيال والطرد والإبعاد والاعتقال والتعذيب والتخريب وبذلك تأسست مدرسة للإرهاب خاصة بالصهيونية وإسرائيل.

أولمرت ..رفقاً بنفسك!!

يقال إن هناك ثلاث نسخ فقط من عقلية نادرة تتوقد ذكاءً، وتتوهج عبقرية، النسخة الأولى محفوظة في مكتبة برلين، والثانية ظفر بها جورج دبليو بوش، والثالثة كانت من نصيب " إيهود أولمرت " .. الذي لا يعرف له أي تاريخ عسكري ولا يعرف من تاريخه السياسي سوى أنه كان في أيام شارون الأخيرة حامل حقيبة أسراره، وتابعه الأمين الذي يحمل له المعطف شتاء .

وأنا شخصياً معجب بالمستر " أولمرت " لأنه يذكرني حين أراه بمشاهد سقوط الأمطار، وملامح الولادة المتعسرة، وذعر نشال أمسكوا به في زحمة أحد الموالد الشعبية.

فإذا جلست أمام الشاشة، ورأيت وجه المستر " أولمرت " يتقلص وأذنيه تتحركان، وأنفه ينضغط وينفتح، وشفتيه ترتعشان، ويديه تتعرقان، ورجليه تخبطان في الأرض خبطاً غير منضبط، فاعلم أن عقل الرجل - في تلك اللحظة التاريخية – يتقد ويتلهب ويعاني آلام الولادة المتعسرة وما هي إلا لحظة أو بعض لحظة، حتى تتمخض تلك التعابير عن " تصريح " سياسي خطير " يفقعه " المذكور أعلاه !!!

وقد شاءت أقداري الكئيبة أن أفتتح يوم التاسع عشر من يوليو 2006 م بالاستماع إلى إذاعة لندن (b.b.c) فإذا بها تبدأ نشرتها الإخبارية الأولى بخبر عن تصريح للمستر " أولمرت " يقول فيه " إن إيران هي التي دعت حزب الله للاشتباك مع إسرائيل لصرف أنظار العالم عن برنامجها النووي" !!!

ما أن انتهى هذا التصريح " التاريخي " النادر، حتى انفجرت في ضحك عميق سرعان ما انقلب إلى بكاء حاد اشتد شيئاً فشيئاً مني إلى أبنائي وأحفادي وأهلي وجيراني.. ظناً منهم أني فقدت محفظتي في رحلة العودة بيد نشال محترف، فلما عرفوا أنني أبكي إشفاقاً على المستر " أولمرت "، أمطروني بنظرات الاستهجان والسخرية المريرة..

أشفقت على الرجل من هذا الذكاء المتوقد، وهذه العبقرية المتوهجة، وهذه " الكهرباء " الزائدة في تلافيف سراديب شرايين مخه المشتعل!! وتذكرت ما يقوله إخواننا أهل الشمال في دلتا مصر، حين يرون رجلاً منتفخ الأوداج متعصباً، صارخاً، زاعقاً، متوتراً، تنفلت كلماته مختلطة بلعابه فيقولون له مشفقين عليه من " جلطة " المخ: " يا أخي حاسب على نفسك.. أحسن يطق لك عِرْق "، " وطق العرق " هو البديل العامي لانفجار الشرايين من الانفعال حينا، ومن شدة الذكاء حيناً آخر!!

والمستر " أولمرت " يعاني هذه الأيام من عدة أوجاع:

الوجع الأول: أنه يترأس حكومة ائتلافية ضعيفة جاءت نتيجة ما وصفته الصحافة الإسرائيلية " أسوأ انتخابات في تاريخ إسرائيل.

الوجع الثاني: أنه يدرك أنه يفتقر إلى ما اتسم به القادة العسكريون القدامى مثل " شارون " و " رابين " و " بيريز " من " كاريزما " جمعت حولهم قلوب الصهاينة.

والوجع الثالث: هو هذا الخطر النووي القادم من إيران والذي ينمو نمواً طبيعياً من قيام ثورة الخميني وحتى اليوم ولكنه بدأ يأخذ أبعاداً جديدة في الوقت الراهن، في ضوء التصريحات النارية التي يدلي بها – من حين لآخر – السيد/ محمود أحمدي نجاد رئيس إيران، ويطلب فيها من اليهود المحتلين لفلسطين العودة من حيث جاءوا، وفي ضوء عدم قدرة الولايات المتحدة على الدخول في مواجهة عسكرية مباشرة مع إيران.

والوجع الرابع: هو تلك العمليات التي تقوم بها المقاومة الفلسطينية من حين لآخر في عمق الأحياء والمستوطنات الصهيونية.

والوجع الخامس: هو فوز حماس في أول انتخابات عربية ديمقراطية بشهادة الشرق والغرب.

والوجع السادس: هو صحوة حزب الله التي بلغت ذروتها في اختطاف جنديين صهيونيين ضبطا وهما " يتمشيان " داخل الأراضي اللبنانية !!! ولم يختطفا من داخل أرض إسرائيل المزعومة.

ولو أن كل هذه الأوجاع اجتمعت على " جبل " مثل شارون لأوقعته - مع قوته - طريح الفراش، فما بالك بها وقد اجتمعت على رجل كل ما يربطه بالرجولة هو ملامحه التي تشع ذكاءَ، وتفيض ألمعية، وتتفجر عبقرية. وتتوقد فطنة !!

رفقاً بنفسك يا مستر "أولمرت"، دعك من إيران، واحلل مشاكلك مع حماس وحزب الله وأحزاب المعارضة الصهيونية على أرضك. وبعدها تحدث عن إيران، وإلا فسوف يأتيك " أحمدي نجاد " في المنام ويأمرك أن تعود أدراجك لتعمل" قاطع تذاكر " في إحدى محطات المترو في بلد المرحوم والدك !!!

المراجع

محمد فوزي عبد المقصود ، اتجاهات الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل التحديات وسبل المواجهة ،القاهرة:دار الثقافة للنشر والتوزيع،2002م،ص19.

سمير هوانه ، نظام التعليم في الكيان الإسرائيلي التطور الكمي والنوعي في التعليم العام حتى بداية الثمانينات ، كتاب الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، يوليو 1986م، ص 247.

الهاجناه : مصطلح يطلق على قوات الدفاع السرية للمجتمع اليهودي في فلسطين خلال فترة الانتداب البريطاني وكانت تهدف إلى حماية المستعمرات .

محمد فوزي عبد المقصود ، اتجاهات الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل التحديات وسبل المواجهة ، مرجع سابق، ص 152.

سمير هوانه ، نظام التعليم في الكيان الإسرائيلي التطور الكمي والنوعي في التعليم العام حتى بداية الثمانينات ، مرجع سابق، ص 347.

محمد فوزي عبد المقصود ، اتجاهات الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل التحديات وسبل المواجهة ، مرجع سابق، ص ص 152-153.

مصطفى أبو لسان وآخرون،الجاسوس الإسرائيلي الطائر بعمق الفجوة التكنولوجية ،مجلة الدراسات الإعلامية (المصرية) ، العدد (79) ، أبريل- يونيو ،1995م ،ص110.

أنطوان زحلان ، التعليم التكنولوجي وأثره في تحقيق أهداف الكيان الإسرائيلي ، كتاب الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، يوليو 1986م، ص351.

محمد رءوف حامد، القفز فوق العولمة ، من سلسلة اقرأ، (تجميع) رجب البنا ، القاهرة:دار المعارف ، العدد (683)، 2003م،ص 72.

حسين كامل بهاء الدين ، مفترق الطرق . القاهرة: دار المعارف،2003م ، ص 218.

محمد فوزي عبد المقصود ، اتجاهات الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل التحديات وسبل المواجهة ، مرجع سابق، ص 158.

سعيد إسماعيل على ، خصائص التعليم العام في الوطن العربي ودوره في مواجهة التحدي الإسرائيلي، من كتاب الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي، بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية، 1986م، ص ص119-120.

محمد فوزي عبد المقصود ، اتجاهات الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل التحديات وسبل المواجهة ، مرجع سابق، ص ص204-205.

المرجع السابق ، ص 205.

الاستيطان بين العجرفة الإسرائيلية .. والصمت العالمي

لو كنت مستوطنا لشعرت بالقلق الشديد ، ليس لأنني سأقيم في منطقة تحيط بها الأخطار من كل جانب ولا أشعر فيها بالأمان وأنا أسير على الطريق وليس لأن كثير من الجنود سوف يرافقون أبنائي وهم في طريقهم إلى درس الموسيقي، ولكن لأن المستوطنات الآن تحولت إلى عملة في يد التاجر.

الانتفاضة واهتزاز آمال المستوطنين:

لم تستطع الحروب المختلفة بين العرب وإسرائيل وأيضا العمليات الفدائية الفلسطينية المتباعدة وقف الاستيطان أو حتى تقليصه .. وأيضا وقف النظام العالمي المتهالك عاجزاً أمام تصاعد الاستيطان وبناء المستوطنات الجديدة.

كذلك لم يستطع مجلس الأمن إصدار قرار متكامل ضد إسرائيل وذلك بسبب الفيتو الأمريكي أو حتى الأمم المتحدة والتي اتخذت عدة قرارات لم تستطع تنفيذ قرارا واحداً منها.

من أجل هذا كان لابد من صحوة تجعل قضية الاستيطان دائما على موائد المفاوضات بل وتجعل المستوطنين دائما يرجفون من تنامي العنف والمقاومة الفلسطينية المتمثلة في الانتفاضة.

لقد بات من الواضح الآن أن انتفاضة الأقصى أدخلت المشروع الاستيطاني منذ بدايته في فلسطين قبل أكثر من مائة عام في مأزق كبير تتضح معالمه يوما بعد يوم وانتهى عصر الازدهار الذي وفره مناخ أوسلو لنمو هذا المشروع وتوسعه.

فحين اندلعت الانتفاضة اهتزت آمال المستوطنين وأصبح المستوطن يبحث عن توفير الأمن الشخصي لذاته تاركا وراءه الإيديولوجية الصهيونية ومقولة الاستيطان في كل مكان في أرض إسرائيل .

"وبحث المستوطنون عن مخرج عسكري أمني سريع وحاسم ليحل محل باراك وانتعشت آمالهم مرة أخرى فشارون صاحب فكر صهيوني توسعي ومن أقواله الأخيرة" أن المستوطنات لها أهمية تاريخية واستراتيجية لأنها تحمى مسقط رأس الشعب اليهودي كما توفر لنا عمقا استراتيجيا لحماية وجودنا".

ومن هنا رفض شارون آية دعوة لتفكيك أو إخلاء أية مستوطنة ، وأسند الوزارات المسئولة عن الاستيطان إلى غلاة اليمين المتطرف حيث تولى "افيجدور ليبرمان" وزارة البنية التحتية وتولي "ناثان شارانسكى" وزارة الإسكان بينما تولى إتباعه الدوائر التنفيذية في الوزارات التي لها علاقة بالاستيطان.

كما قامت حكومته بتوفير الدعم المالي اللازم لتكثيف الاستيطان حيث دعا إلى تخصيص 360 مليون دولار للاستيطان عاد وخفضها إلى 150 مليون دولار تحت ضغوط أمريكية.

"كما شهدت موازنة الحكومة الإسرائيلية لعام 2002 ارتفاعا بنسبة 12% في الاستثمار الصناعي في المستوطنات ومنحت إدارة الأراضي في إسرائيل مبلغاً يصل إلى 206 ملايين شيكل بهدف تملك الأرض لأغراض الاستيطان. بينما خصصت الميزانية مبلغ 338 مليون شيكل لأعمال شق الطرق الاستيطانية الالتفافية"

ولكن على الرغم من كل هذه التسهيلات التي يحظى بها المستوطنون اليهود والدعم المالي الكبير والحراسات المشددة من الجيش والشرطة، إلا أن الانتفاضة جاءت لتقلب كل الموازين الإسرائيلية المتعلقة بالاستيطان فالمستوطنون يعيشون في حالة حصار دائم منذ أكتوبر 2000 ، ولا يشعرون بالاطمئنان على حياتهم لحظة واحدة وأوضاعهم الاقتصادية في حالة شلل تام، فقد طورت المقاومة الفلسطينية من الوسائل التي يمكن بها إجبار المستوطنين على التفكير مليا بالرحيل عن أرض ليست أرضهم، ولن تكون ولعلنا نسمع ونشاهد على قنوات التلفزيون المختلفة أخبار استخدام المقاومة ولقذائف الهاون والتي بدورها جاءت لتسلب الأمن من حياة المستوطنين وتشكل في الوقت ذاته ضربة قاتلة لنظرية الأمن الشارونية فالمحتل الإسرائيلي أصبح عاجزاً عن حماية كل منزل في المستوطنات، والقذيفة الواحدة كفيلة بإخلاء حي بأكمله من السكان، كما أن مجرد شبح وقوع العمليات الاستشهادية يؤدي إلى حالة من الهوس الأمني والاستنفار بين المستوطنين.

لذا قامت الحكومة الإسرائيلية بالتفكير الجدي في إقامة جدار عازل وذلك لحماية المستوطنين من هجمات المقاومة الفلسطينية رقم معارضة الكثير من خبراء السياسة في إسرائيل لإقامة هذا الجدار وهم يؤمنون بأنه أي – الجدار العازل – مضيعة للوقت والجهد والمال ففي ظل غياب حل سياسي ستجد المنظمات الفلسطينية في نهاية الأمر الوسيلة لاجتياز السياج من فوقه أو من تحته أو من خلاله

كما ذكر "حامي شاليف" في جريدة معاريف في مقاله الذي نشر أيضا في مجلة مختارات إسرائيلية ص58 بتاريخ 17 م 6 / 2002م".

وأضاف حامي شاليف أن اليأس والإحباط من استمرار الإرهاب الفلسطيني – على حد تعبيره – يقودان إلى تأييد جارف للتجربة في حد ذاتها من منطلق أنها عن لم تنفع فإنها لم تضر أيضا.

والأمر الذي يدعو للسخرية هو أنه في حين أن السياج قد يظهر على أنه حل سحري عبثي من الناحية الأمنية إلا أن تبعاته الرئيسية من شأنها أن تكون في المجال السياسي على وجه التحديد".

إذن الكل في إسرائيل يسعى لحماية المستوطنين أصحاب الوجود الغير شرعي ضد هجمات الفلسطينيين الذين هم أصحاب الأرض.

والحقيقة أن المنصف والذي يزيد الأمور بمقياس عقلاني يقول الأفضل من ذلك كله أن نلجأ للحل السياسي على مائدة المفاوضات إن كنا فعلا نريد حماية الشعبين وأيضا إن كنا نريد وقف فوري وحاسم لأعمال العنف هنا أو هناك.

لذا فإن المستوطنين محقون – كما أشار حامي شاليف في مقاله نفسه – في معارضتهم القاطعة لإقامة السياج وحتى لو أقسم وزراء الحكومة من الصباح وحتى الماء بأنه لن يتم نسيان أو إهمال المستوطنات الكائنة في يهودا والسامرة فإنه السياج سيجعل من المستوطنات عن أجلا أو عاجلا، تجمعات سكنية من فئة أخرى على طريقة "نحن هنا وهم هناك".

لذا ومهما فعلت الحكومة الإسرائيلية ومهما بذل جيش الدفاع الإسرائيلي الكثير والكثير من الطاقات من أجل الدفاع عمن بقوا "خارج السياج" من المستوطنين فسيزداد الوعي الجماهيري بضرورة تقصير أو اختصار الخطوط وإخلاء كامل للمستوطنات".

المستوطنات حتى منتصف عام 2002:

تحت عنوان "المستوطنات تحتل 41.9% من مساحة الضفة الغربية" نشر في مجلة مختارات إسرائيلية نقلا عن جريدة هاأرتس بتاريخ 2002/5/14 مقالا بقلم " نداف شرجائي" حيث قال: تبلغ مساحة المستوطنات المبنية 1.7 % فقط من بين مساحة الضفة الغربية ولكن مساحة الضفة الغربية الخاضعة لسيطرة المستوطنات تصل إلى 41.9% لأن هناك 6.8% من مساحة الضفة الغربية هي منطقة تقع في حدود مشروعات الاستيطان اليهودي في يهودا والسامرة وغزة بما في ذلك المنطقة المبنيةو 35.1 % من مناطق الضفة هي مناطق داخل حدود المجالس المحلية والإقليمية اليهودية ، خارج مناطق المشروعات (المجموع 41.9 من مساحة الضفة الغربية).

رغم كل هذا ... أعرب مجلس المستوطنات عن أسفه لأنه لم يفلح في أن يحقق – بمعدل مرتفع النبوءة الصهيونية في الاستيطان من البحر إلى النهر .. وقد جاء ذلك رداً على تقرير كانت قد قامت بإعداده منظمة "بتسليم " والذي أخذت منه الإحصاءات السابقة الذكر. بالإضافة إلى اختراع المنظمة أن تتخذ فوراً خطوات مرحلية قبل إخلاء المستوطنات

وتشمل : وقف أعمال البناء الجديدة في المستوطنات وتجميد عمليات تمهيد الطرق الدائرية وإعادة المناطق غير المبنية التي تم ضمها إلى المستوطنات ومجالسها إلى الفلسطينية وإلغاء كل الامتيازات الخاضعة للمستوطنات.

إذن لاشك أن أقامت المزيد من المستوطنات تقف سداً أو عائقا أمام السلام العادل والقائم على الحوار والمفاوضات فهل تتفهم الحكومة الإسرائيلية ذلك؟

وهل يأتي اليوم الذي يرفع فيه شعار الحوار بدلا من شعائر العنف والقتل والطرد؟

نتمنى.

البعد العقائدي في الصراع العربي الإسرائيلي

جددت الحرب بين إسرائيل وحزب الله ما كاد يتوارى من " خلفيات " الصراع العربي /الصهيوني ، ووفقا لما صرح به الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد قبيل اندلاع تلك الحرب ، وما تردد مؤخرا مع نهاية تلك الحرب حول "وجود " إسرائيل في أرض فلسطين ، فإن هناك حاجة لمراجعة تلك " الخلفيات " العقائدية المستترة بين الطرفين ،فمنذ بدا الصراع العربي الإسرائيلي، والمقولات الإسرائيلية على جميع المستويات الرسمية والإعلامية واحدة: وهي أن فلسطين هي ارض الميعاد، وأن اليهود بتجمعهم فيها يسعون إلى تحقيق وعد وعده ربهم لجدهم وجد العرب : إبراهيم عليه السلام!!

وعلى الرغم مما في التلمود الذي يجعله اليهود تفسيرا سياسيا واجتماعيا لنصوص التوراة ، من تناقضات واختلاق وأكاذيب،

فإن اليهود – بوصفهم الأقوى عسكريا- فرضوا رؤيتهم وروايتهم على الذهنية العربية على المستوى الفكري وعلى المستوى السياسي بل وعلى المستوى الإعلامي. وأنسابت الصحف والكتب والمجلات، تناقش القضية من منظور (عبيط) هو منظور:الحق التاريخي للفلسطينيين في فلسطين ! وكان المسألة تنحصر في (إثبات حق) وهناك قوى دولية ستفرض إنفاذ الحق وتمكين أصحابه منه بمجرد أن ينتهي الباحثون إلى معرفته !! وفي الجانب المقابل، لم نشهد رئيسا ولا وزيراً ولا مفاوضا عربيا لجأ مرة – ولو على سبيل التمويه !! – إلى القرآن الكريم أو السنة النبوية لمناقشة قضية عروبة فلسطين أو كونها أرضا إسلامية.

فقد دأب الساسة العرب الميامين على خلع عباءة دينهم طواعية في حين يتمسك الصهاينة بعقيدة مزيفة لا ريب في تزييفها وتحريفها.

فالتوراة الأصلية ذاتها – فضلا عن التلمود – تتضمن أربعة وعود من الرب لإبراهيم وليعقوب : كل وعد منها يختلف عن الآخر في مسألة حدود الأرض الموعودة. فبأي هذه الوعود تأخذ إسرائيل؟

إن العلم الإسرائيلي يحتوى على خطين يمثلان نهري النيل والفرات تتوسطهما نجمة داود ز وشعار (من النيل إلى الفرات) مرفوع في الكنيست وكان (يتلعلع) خلف صلعة الرئيس (المؤمن !!) الراحل أنور السادات وهو يخطب في الكنيست معلنا أن حرب أكتوبر 1973 ستكون آخر الحروب بين العرب واليهود !!

ولم تحرك هذه الكلمات شعرة واحدة مما بقي في رأس مناحيم بيجين (الأصلع أيضا) من شعر. ورد بعبارة باردة صدرت عن قلب بارد (كل شيء قابل للتفاوض).

ومن يومها والمفاوض العربي يقبل الرواية الإسرائيلية للصراع، ويحاول أن يظفر من إسرائيل ولو بمجرد " وعد" بالاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته على أرضه. ذلك أن اليهود ينزعون في صراعهم عن عقيدة تكرس لها مناهجهم الدراسية ، وطقوسهم الدينية، ووسائل إعلامهم في كل لخطة.. ولعل هذا هو سر هذا الالتفات العجيب حلو (شارون) الذي مارس ضد العرب جميعا على مدى تاريخه الطويل أبشع أنواع العنف والإيذاء والقتل والتدمير: فعل هذا مع الأردن في مذبحة (قلقيلية سنة 1951) ومع المصريين في حرب 1956 . وقتل الأسرى المصريين بعد عام 1967. وغزا أرض سوريا وأرتكب بها مذبحة في الخمسينيات. ونفذ مذبحة صبرا وشاتيلا عام 1982م في لبنان.

كل ذلك تحت تأثير الحروب التي شنها (يوشع بن تون) ضد أعداد إسرائيل كما تقول بعض نصوص العهد القديم (التوراة). وفي مدارسهم يدرسون كتبا تمجد أعمال يوشع) مما حد ببعض وسائل الإعلام أن ترفع شارون إلى مكانة مقدسة لأنه يقرب اليهود من تحقيق حلمهم في إقامة " الموطن الكبير الذي سيتحقق به رضا الرب ووعده لشعب إسرائيل) أي أن شارون – في اعتقادهم – سوف يتمادي في انتصاراته إلى أن تقوم إسرائيل الكبرى على يديه ويصبح ملكا عليها !!.

هل نجد في إعلامنا العربي أي إشارة إلى تدمير إسرائيل لبيت المقدس وما تقوم به من بغي وعدوان طبقا لما ورد في الكتاب والسنة ؟ .. هل رأينا مفاوضا رد على النصوص ؟ أو أبدى عدم اعترافه بهذه النصوص المزيفة والوعود المحرفة .. ألم ينص القرآن الكريم صراحة على تحريف التوراة؟ فلم لا يكون ذلك منطلقا للفكر السياسي العربي؟

إن الاستناد إلى مقولات ومفاهيم اليهود عن الأرض والوعد سوف يظل دائما عائقا أمام أي تسوية سياسية : لأن المطلوب عقائديا لدى اليهود أن تكون لهم [مملكة من النيل إلى الفرات] وكل ما يسبق قيامها هو في تعينهم مجرد خطوات تمهد لذلك . ومن ثم فإن من المستحيل طبقا لهذه العقيدة أن يوافق الإسرائيليين على أي تسوية سلمية تسمح بقيام [دولة] أخرى بين النهر والبحر (أي النهر الأردن والبحر المتوسط) لأن هذه الدولة سوف يكون لها حدود وجيش وشرطة ومؤسسات وسيعود إليها اللاجئون الذين يزيد عددهم عن 4 مليون فلسطيني في الشتات ، وبذلك يصبح العرب أقوى ديموجرافيا من اليهود، وإن ضغطوا هم بالتفوق التكنولوجي . كما أن قيام مثل هذه الدولة سوف يجعل إسرائيل بكاملها في مرمى الصواريخ الفلسطينية .. هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى. فإن وجود هذه الدولة يتصادم تماما مع وعد الرب بمملكة من النيل إلى الفرات.. .

وإذن ، فإن ما يهم إسرائيل من مباحثات التسوية هو كسب المزيد من الوقت حتى يتيسر لها تدبير المكيدة تلو الأخرى للإيقاع بين الفصائل والقوى الفلسطينية ليقتل بعضها بعضا. أو بالأحرى لترفع عن إسرائيل عبء الدفاع عن نفسها.

الرأي العام الإسرائيلي

وفك الارتباط

ببساطة "فك الارتباط" يعنى إخلاء المستوطنات الإسرائيلية في الضفة وغزة وقد خطط لها "أريئيل شارون" وقام بتنفيذ في أغسطس عام 2005 عندما قام بإخلاء عشرين مستوطنة في قطاع غزة وشمال الضفة.

وقد تباينت الآراء في إسرائيل حول هذا الموضوع فقد نشرت "جريدة معاريف بتاريخ 2005/11/6 مقالا بقلم "كوليت أفيطال" " وهي عضو في الكنيست عن كتلة العمل" قالت " قبل شهرين فقط، بدأ وأن الواقع قد تغير، بعد أن قامت حكومة الليكود برئاسة "أريئيل شارون" بتنفيذ خطة فك الارتباط التي تضمنت إخلاء عشرين مستوطنة في قطاع غزة وشمال الضفة، وهي المستوطنات التي لم تجرؤ أي حكومة إسرائيلية من قبل على المبادرة بإخلائها والآن أصبحت هذه المستوطنات في ذاكرة التاريخ. وكانت النتيجة واضحة، وبدا للوهلة الأولى أنهم قد تعلموا الدرس،

فما حدث في سيناء وفي غزة سيحدث أيضا في الضفة الغربية: انسحاب من يونيو 1967، وإخلاء جميع المستوطنات المقامة على الأراضي التي ستتم إعادتها".

إذن تريد كاتبة المقال - وهي عضو الكنسيت عن حزب العمل - وقد نفهم من أول وهلة ما ترمى إليه وهو وضع أخطاء حزب الليكود - المنافس التقليدي لحزب العمل تحت المجهر وإضعاف موقفه بقدر الإمكان في أية انتخابات قادمة.

فهي ترفض في مضمون ما كتبت كل ما قامت به حكومة شارون في تنفيذ خطة فك الارتباط وتحاول التأثير على الرأي العام والشعب اليهودي بطريقة أو بأخرى من خلال النقد اللاذع لأسلوب حكومة شارون وتصرفاتها كما سيتبين من متابعتنا الدقيقة لما كتب.

ففي نفس المقال كتبت " كوليت أفيطال" تقول: " .. ولكن يبدو أن المنطق شيء والواقع شيء آخر في الدول الواهمة، وإلا فكيف يمكن تفسير قيام الحكومة ، بعد فترة وجيزة من تطبيق خطة فك الارتباط بتكثيف حركة البناء في مستوطنات الضفة الغربية، وهي المستوطنات التي يتم اقتلاعها في أي تسوية نهائية أو في أي عملية إخلاء أخرى، إذا كان من الممكن أن نفهم المنطق الواقف وراء حكة البناء في مستوطنات مثل "معالية أدوميم، بان الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة اعتقدت دوما أن هذه المستوطنة، إلى جانب مستوطنات أخرى تقع بمحاذاة الخط الأخضر،

ستبقي في أيدي إسرائيل حتى في التسوية الدائمة، إلا أن من الصعب أن نفهم المنطق الواقف وراء أعمال البناء داخل مستوطنات بعيدة (يقصد بعيدة عن الخط الأخضر) ناهيك عن أن هذه الحكومة ذاتها - التي تحفز أعمال البناء في هذه المستوطنات - تقيم في المقابل جداراً فاصلا سيترك هذه المستوطنات في الخارج".

ومن الجدير بالذكر أنه هناك من له رأي يناقض تماما لرأي "كوليت أفيطال" وهي إمراة أيضا وتحتل مكانة اجتماعية مرموقة لا تقل في أهميتها من تلك التي تحتلها "كوليت أفيطال" وهي مديرة منتدى الاتفاق الاجتماعي وتدعى "تامي مولادحيو" حيث نشرت لها جريدة معاريف الإسرائيلية في 2005/11/8 مقالا بعنوان:" مطلوب حل وليس شفقة" قالت فيه:

".. لقد أيدت فك الارتباط وأعتقد أنه ستكون هناك ضرورة لإخلاء مستوطنين آخرين في المستقبل. لذلك فإن الحوار مع من يتم إخلاؤهم من الأهمية بمكان لأنهم ليسوا في حاجة إلى تبرعات أو شفقة ، بل في حاجة إلى إيجاد حلول حقيقية دائمة. صحيح أنهم لن يحصلوا على كل ما يطلبون ولا على كل ما يرغبون في الحصول عليه، ولا من حقهم أن يعتذر لهم الآخرون ، إلا أن جزءاً من طلباتهم منطقي وسليمز يجب علينا ، نحن غالبية الجمهور الذي أيد فك الارتباط ، أن نطلب إيجاد حلول ناجعة وسريعة لمن تم إخلاؤهم حتى يتمكنوا من العودة إلى حياة الأسرة الطبيعية ، حيث يكون الطفل طفلا والبالغ بالغا".

إذن تؤيد "تامي مولادحيو" خطة فك الارتباط ومن الواضح أيضا أن هناك من يشاركها هذا التأييد وهم جميعا لم يوجهوا أي نقد لتلك الخطة بل ويتوقعون إخلاء مستوطنات أخرى طبقا لخطط واتفاقيات أخرى غير أن هناك انتقادا موجه إلى الحكومة الإسرائيلية من كاتبة المقال يتضمن مطالب عادلة أهمها مراعاة حقوق المستوطنين الذين أخلوا المستوطنات حتى يمكنهم العيش من جديد دون مشاكل.

إذن المطلوب الإعداد الجيد المبنى على خطط سليمة وقبل تنفيذ أية خطة أخلاء بعد ذلك. لتوفير حياة جيدة لهؤلاء المستوطنين بعد إتمام عملية الإخلاء.

وهناك آراء أخرى توافق تماما على التنفيذ الفوري الذي قام به شارون لخطة فك الارتباك ومن هذه الآراء ما ورد في افتتاحية جريدة "هاآرتس " الصادرة في 2005/11/14 بعنوان "فك الارتباط في خطر: "أنه ما يزال برميل البارود الذي تطلعت إسرائيل إلى نزع فتيلة، عندما نفذت خطة فك الارتباط، يشكل تهديداً حقيقا، فمع أن قوات الجيش الإسرائيلي لم تعد تقوم بدوريات الحراسة في أزقة القطاع ومع أن المستوطنين قد خرجوا من هناك ، إلا أن مكان القطاع البالغ عددهم نحو مليون ونصف مليون نسمة مازالوا يشكلون خطراً محتملا إذ أنه عندما يسكن عدد كبير إلى هذا الحد من السكان في المكان الأكثر اكتظاظا في العالم تقريبا ويصل معدل البطالة فيه إلى حوالي 70% وتعرقل حركة البضائع والأشخاص، حسب مشيئة حكومة إسرائيل،

ويكون الأمر في إعادة بناء الاقتصاد وفي إحداث تغيير اجتماعي وسياسي، أمران بعيدا المنال فمن الممكن أن نرسم المسار التالي لاندلاع العنف".

إذن لابد أن تتبع حكومة إسرائيل خطوتين أساسيتين إذا قررت القيام بالانسحاب من المناطق الفلسطينية أولها قبل الانسحاب وإخلاء المستوطنات وهي تهيئة معيشة مستقرة للمستوطنين كما قلنا وقال المنصفون من أصحاب الآراء السابقة.

ثانيا: إطلاق يد السلطة الفلسطينية في المناطق التي تم إخلاؤها حتى يتم إعمارها فضلا عن مساعدة الفلسطينيين وعدم وضع العراقيل أمامهم أيضا مع عدم غز وتلك المناطق مرة أخرى وأن ترفع الحكومة الإسرائيلية القيود المفروضة على تلك المناطق حتى يقوم رجال الأعمال والمستثمرين والعمال بدورهم تجاه إعادة بناء اقتصاد هذه المناطق مع السماح للسلطة الفلسطينية بالتعاون مع جيرانها العرب في مختلف المجالات.

وفي هذا المعنى ورد في الافتتاحية لجريدة هاآرتس أيضا:

".. إن انسحاب إسرائيل من غزة لا يمكنه أن يظل خطوة وحيدة منقطعة عن سياقها الاقتصادي والاجتماعي والأمني وحتى إن لم يؤد هذا الانسحاب إلى انسحاب من مناطق أخرى في الضفة الغربية في المرحلة القريبة القادمة - ربما بسبب التطورات السياسية في إسرائيل - فإن عليه أن يكفل على الأقل عدم ظهور تهديد أمنى جديد. ولهذا الغرض هناك حاجة إلى تعاطي حكيم وعمل فوري من جانب الاستراتيجيين .

وليس من جانب الساسة المشغولين بالحسابات التافهة للخسارة أو الفوز في الانتخابات القادمة إذ أن تأجيل إعادة إعمار غزة سيكون التهديد الاستراتيجي التالي".

إذن ومن عرضنا لبعض الآراء المختلفة لقبول أو رفض خطةأو تنفيذ خطة فك الارتباط تبين لنا أن هناك أصوات قوية في داخل إسرائيل تقر بأحقية الشعب الفلسطيني في تحقيق مطالبه التي منها شعور هذا الشعب بأنه قد حصل على بعض حقوقه ومن حقه استعمالها والتصرف فيها بعيدا عن الضغوط والقيود الإسرائيلية.

خارطة الطريق بنت المرحوم أوسلو !

لم تمض ساعات على بيان محمود عباس "أبو مازن" في قمة العقبة حتى انفرط عقد الوحدة الوطنية الفلسطينية، فقد هاجت الفصائل الفلسطينية المسلحة وفي مقدمتها حركة حماس، وحركة الجهاد الإسلامي، وكتائب الأقصى، والجبهة الشعبية، وقامت بعمليتين استهدفتا بعض الجنود اليهود وهياج هذه الفصائل استند إلى ما أعلنه أبو مازن من "استنكار" لما تقوم به تلك المنظمات من أعمال "إرهابية" عند المدنيين الإسرائيليين". وقد طالبت تلك المنظمات أبا مازن بالعدول عن تصريحاته التي أدان فيها أعمال المقاومة الفلسطينية المشروعة دوليا.

وجاء رد "أبي مازن" سريعا فقد عقد صبيحة الاثنين 9 يونيو 2003 مؤتمرا صحفيا رفض فيه مطالب تلك الفصائل، وجدد إدانته للعنف المسلح، وأكد عزم حكومته على تنفيذ التزاماتها طبقا لخارطة الطريق. ولكن الجديد في تصريحاته الأخيرة: انه نسب آراء وتلك التي أدلى بها في العقبة إلى ياسر عرفات حين قال إن تصريحاته تعبر عن موقف حكومته وبمباركة من القيادة السياسية " والجديد أيضا: أنه برغم تمسكه بما أعلنه، وبإصراره على موقفه، رحب، في الوقت نفسه : بالحوار مع الفصائل المسلحة!!.

وهكذا كان أبو مازن صادقا مع نفسه في تنفيذ الالتزامات التي ناطقتها بالسلطة الفلسطينية اتفاقات أوسلو التي كان هو فارسها المجلى وأهم هذه الالتزامات: المسارعة في إخماد الانتفاضة ونزع ما في أيدي الفلسطينيين من أسلحة مقابل رفع إسرائيل حصارها عن أراضى الفلسطينيين عاجلاً، ثم الدخول تدريجيا في سراديب مفاوضات الوضع النهائي التي قد تستغرق قرونا!!

والحقيقة أن إسرائيل منذ وقعت اتفاق أوسلو، وهي تسعى سعيا حثيثا إلى جني ثماره ممثلة في إخماد الانتفاضة التي تؤرق الكيان الصهيوني وتكبده ملياري شيكل سنويا على الأقل بخلاف ما تخلفه من ضحايا في الأرواح !

فبعد ثلاث سنوات فقط من توقيع الاتفاق (1993) بدأت الصحف الإسرائيلية تعبر عن قلقها من عدم قدرة السلطة الفلسطينية على كبح جماح الجماعات المسلحة.

فعلى سبيل المثال كتب الصحفي الإسرائيلي "يعقوف أدلشتاين" في جريدة (هاتسوفيه) يوم 22/ 3 / 1996 مقالا عنوانه (انهيار مسيرة أوسلو) وقد ظهر هذا المثال في أعقاب تصريح أولى به شمعون بيريز رئيس الوزراء إسرائيل آنذاك خلال الجلسة التي عقدتها الحكومة الإسرائيلية خلل الأسبوع الذي ظهر فيه ذلك المقال إذ قال بيريز في تلك الجلسة إنه لم يعد يشعر بالثقة في ياسر عرفات وإن السلطة لا تقوم بواجبها المطلوب في اعتقال قيادي حركتي حماس والجهاد كما هو مطلوب ، إذ أنها تتراخى أحيانا عن الإمساك ببعض الأسماء المطلوبة، أو تسارع بالإفراج عمن يعتقل منهم !! كما أن عرفات ما يزال يتحدث في خطبه وتصريحاته عن " القدس" و " الجهاد" – على حد تعبير بيريز – كما قام عرفات بتقديم العزاء إلى عائلة الشهيد يحيى عياش وهو ما اعتبره بيريز تراجعا عن الالتزام باتفاقات أوسلو وقد عقب الصحفي المذكور (يعقوف أو الشتاين) قائلا :

" إن ما قاله بيريز يعد اعترافا علينا انهياره مسيرة أوسلو " وكان بيريز قد تحدث على هذا النحو ليرد على الانتقادات التي وجهها له الوزراء المشاركون في حكومته من حزب "ميرتس" الذين أكدوا – ومعهم الكثيرون من معارضي اتفاق أوسلو – أن عرفات لا يصلح شريكا في عملية السلام لأنه لا يحترم الاتفاقيات !!!

وتحت عنوان [توقف العملية] كتب الصحفى الإسرائيلي " رافي مان " في صحيفة معاريف " يوم 26 / 3 / 1996 يقول:

" في الوقت الذي سعت فيه اتفاقيات أوسلو إلى تحديد معايير للتعايش في تسامحن مع وجود تفاؤل بعهد أفضل بكثير، نجد أن الوضع الحالي [يقصد الحصار الإسرائيلي للمناطق] يعيد العجلة إلى الوراء، فالبطالة والفقر والشعور بالمرارة تزيد من الكراهية لإسرائيل يوما بعد يوم . ويوسع دائرة المؤيدين لحركة حماس وطريقتها القاتلة في ظل هذا الواقع".

وتحت عنوان " مسيرة في ضائقة " كتب " موردخاي فارتهيمر" في صحيفة "هاتسوفيه" بتاريخ 1996/3/26:

" الحقيقة أن مسيرة السلام تمر بضائعة. فقد اتضح بعد مضى ثلاث سنوات على التجربة الخطيرة التي زعموا أنها مغامرة محسوبة أن رؤيتهم التي شيدوا عليها السلام كانت رؤية خاطئة . ومن الواضح أن الشعب الإسرائيلي قد أفاق من غفوته ومن أوهام الثلاث سنوات الماضية [أي سنوات مسيرة السلام منذ توقيع اتفاق أوسلو] وقد أتضح من ركض رابين وبيريز المحموم وراء السلام وما صاحبه من تقديم تنازلات ضخمة لمنظمة التحرير الفلسطينية وعرفات فإن السلام الحقيقي المصحوب بالأمن هو من صنعنا نحن فقط (أي من صنع اليمين الإسرائيلي].

من النصوص السابقة يتضح أن إسرائيل استعجلت قطف ثمار اتفاقات أوسلو، بعد ثلاث سنوات فقط من توقيعها. وكان المقالات التي أشرنا إليها قد ظهرت في الصحف الإسرائيلية المذكورة في أعقاب ض العمليات الفدائية الجريئة التي خلفت عشرات القتلى من اليهود. والتي قلبت المائدة على رأس حزب العمل ورئيسه شمعون بيريز، وجاءت الانتخابات بعدها بحزب الليكود بزعامة ناتنياهو والذي أدخل اتفاقيات أوسلو إلى الثلاجة تماما. وتلاه إيهود باراك تم شارون اعتباراً من العام 1999.

ثم جاءت "خارطة الطريق" بعد اندلاع انتفاضة الأقصى، لتكون بمثابة إحياء لإتفاق أوسلو الذي تجحدت أطرافهن وكاد يندثر . ولذا كان " أبو مازن" مهندس أوسلو السرية – هو الأنسب لمرحلة تطبيق خارطة الطريق التي تتكون من ثلاث مراحل الأولى منها: نزع أسلحة الفصائل الفلسطينية المسلحة وهو ما تأمل إسرائيل أن يؤدي المعنى فيه إلى إشعال حرب أهلية بين الفلسطينيين لتكفي اليهود شر القتال. وهو ما لن يحدث أبداً إن شاء الله.

القوي السياسية الإسرائيلية:

مناديل ورقية !!

أصبح حق الانضمام إلى النقابات والمنظمات حقا من الحقوق السياسية المستقرة في النظم السياسية الليبرالية.

وفي إسرائيل تتسم هذه الجماعات وتلك القوى السياسية وأصحاب المصالح سمات تجعلها تعمل في ظروف -إلى حد كبير - محكمة وتتحرك في إطار ضيق ويرجع هذا إلى أسباب منها:

المركزية الشديدة في النظام السياسي الإسرائيلي، وسيطرة الأحزاب على الحياة السياسية وخاصة تآلف الأحزاب داخل "الكنيست" وفي الوزارة.

أيضا هناك أسباب أخرى منها قلة الموضوعات التي تترك دون معالجة في مؤسسات النظام السياسي.

والسبب الأهم هو أن زعماء هذه القوى يتدرجون بالفعل في الأهرامات الحزبية التي يهدفون إلى الضغط عليها عن طريق إشراك عناصر غير رسمية في عملية اتخاذ القرار السياسي.

وهناك أربع منظمات كبيرة تمثل القوي المؤثرة في النظام السياسي الإسرائيلي هذه المنظمات هي:

النقابات العمالية:

النقابات العامة للعمال العبريين في إسرائيل (الهستدروت):

وليست الهستدروت نقابة عمالية ولا حزبا سياسيا ولا هي جمعية تعاونية أو جمعية لتبادل المنفعة، إنها أكثر من ذلك، فهي اتحاد الشعب الذي يقوم ببناء موطن جديد ودولة جديدة وشعب جديد ومشاريع ومستوطنات جديدة وحضارة جديدة.

ويقول: "بروهام ميشيل" السكرتير العام للهستدروت: أنه بدون الهستدروت لم تكن الدولة اليهودية لتوجد ويوجد اتصال وتعاون بين الهستدروت وبين الأحزاب العمالية. وتتمتع الهستدروت بقوة اقتصادية واجتماعية هائلة تكسبها قوة سياسية مؤثرة فهى بمثابة السلطة الثانية في إسرائيل ، وسلطتها توازي سلطة الحكومة وتتعدد نشاطاتها لتشمل معظم مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية، الأمر الذي جعل منها أحد أعمدة النظام السياسي فتسيطر الهستدروت على نحو 75% من الإنتاج الصناعي و 40% من أعمال البناء إلى جانب سيطرتها على 99% من المواصلات العامة.

النشاط الخارجي للهستدروت:

للهستدروت فروع في جميع البلاد التي فيها جاليات يهودية كبيرة، ومكتبها الدائم في نيويورك واسمه "بيت الهستدروت" ويديره أحد أعضاء اللجنة التنفيذية للهستدروت ويتبع هذا المكتب بعض العمال اليهود في الولايات المتحدة وتحت اسم "اللجنة الوطنية لعمال إسرائيل" وهي التي تجمع التبرعات وتقوم بالنشاط السري والسياسي، وهي تقيم علاقات قوية مع معظم نقابات العمال في أمريكا، وهي تقيم علاقات قوية مع معظم نقابات العمال في أمريكا، كما استطاعت دفع بعض اليهود إلى المناصب القيادية في نقابات العمال الأمريكية وفي بريطانيا أنشأت الهستدروت حزب" يوعيل تصيبون" وبعض أعضائه هم أعضاء حزب العمال البريطاني في نفس الوقت، وتمارس الهستدروت نشاطا قويا لدى الأحزاب الاشتراكية في أقطار أسيا وأفريقيا وخصوصا في بورما والملايو والهند واليابان وقبرص والفلبين وجنوب أفريقيا وغيرها.

وتشترك معها في المؤتمرات والحلقات الدراسية وتقدم لها المعونة وتبادل الزيارات ومنذ عام 1935 وحزب "ماياى" يدير الوكالة اليهودية وأعضاء الهستدروت الذين لهم اليد العليا في اتخاذ القرارات في تلك المنظمة.

ومن ناحية أخرى نجد أن الهستدروت الصهيونية مرتبطة بالاتحاد الدولي للنقابات الحرة وتسهم بصورة فعالة في أعمال المنظمة الدولية للعمل والتحالف التعاوني الدولي وهي على صلات قوية بالحركات العمالية في جميع أنحاء العالم.

وهكذا وضح تماما كيف تؤثر هذه المنظمة اليهودية "الهستدروت" تأثيرا جذريا في السياسة الداخلية لإسرائيل والسياسة الخارجية .

المؤسسة العسكرية الإسرائيلية:

اعتمدت إسرائيل من نشأتها على القوة العسكرية، إذ كان جيل الرواد من رؤساء العصابات الصهيونية وقادة المجتمع اليهودي في فلسطين هم أنفسهم الذين تولوا فيما بعد القيادة السياسية العليا في الدولة عندما أعلن عن قيامها واستمر الجيش الإسرائيلي مستودع تصدير الكوادر السياسية والاقتصادية والاجتماعية مكونا ما يطلق عليه بحق "المؤسسات العسكرية".

غير أنه لا يوجد تنظيم بعينه يمكن أن يطلق عليه المؤسسة العسكرية بينما يتعلق الأمر بمجموعة من الممارسات من أشخاص ذوى سلطة عسكرية أثناء وجودهم في الخدمة العاملة وبعد تسريحهم إلى الاحتياط واحتلالهم لمناصب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.

ولقد تم صياغة العلاقة بين القوات المسلحة والسلطات المدنية في إسرائيل بشكل يختلف عن ذلك الذي قد نجده عادة في الدول النامية، فمن جهة نجد فصلا كاملا وواضحا بين مهام القوات المسلحة وبين مهام السلطة المدنية

وفي نفس الوقت نجد هناك تعاونا في كافة المجالات بما يسمح من حيث المواقع للمؤسسة العسكرية أن تمارس دورا نشاط في النظام السياسي إلى درجة يمكن معها القول بعدم وضوح الحدود الفاصلة بين المدنيين والعسكريين.

وبرغم أنه يمتنع على الجيش التدخل في الأمور السياسية العليا للبلاد وأنه أبعد عن سياسات الأحزاب ضمانا لإيجاد جيش على درجة كبيرة من الاحتراف، فإنه يصعب تحليل الحياة السياسية الإسرائيلية بمعزل عن الدور الذي يمارسه الجيش في المجتمع كما أنه يصعب الدور الذي يمارسه الجيش في المجتمع كما أنه يصعب تصوير اتخاذ قرار سياسي في البلاد دون أن يكون الجيش راضيا عنه.

المستعمرات والمستوطنات:

لقد كانت المستعمرات والمستوطنات منذ بداية الهجرات بمثابة خط الدفاع الأول للحركة العمالية الإسرائيلية المنظمة فضلا عن أنها كانت مراكز غرس لإيديولوجية الصهيونية وتنشئة الأجيال الجديدة "الصابرا" حتى تتولى القيادة من الجيل الثاني وبرغم الضعف الذي عانت منه المستعمرات والمستوطنات في أعقاب إنشاء وزارة الزراعة فإن أربعة ممن تولوا وزارة الزراعة قد تقدموا لاحتلال مناصب أكثر أهمية معتمدين على ما تمارسه المستعمرات والمستوطنات من ضغط على النظام السياسي في إسرائيل.

المؤسسة الدينية:

لا تؤثر المؤسسة الدينية في إسرائيل مجرد تأثير اجتماعي، بل أن لها تأثيرا سياسيا يتنامي ليجعل منها واحدة من أكبر قوى الضغط المؤثرة في كافة المجالات.

وتهدف المؤسسة الدينية إلى أن تحكم الشريعة اليهودية "هاهلخا" كل أنحاء الحياة في إسرائيل وتمارس المؤسسة ضغطا لبلوغ أهدافها من عدة مواقع منها: الأحزاب الدينية التي تكتسب كل يوم أرضا جديدة وتعد عاملا حاسما في تكوين الائتلاف الحكومي.

ومن هذه المواقع أيضا وزارة الأديان، والقضاء الديني، والمجالس الدينية المحلية.

الرأي العام:

تؤثر الشخصية الإسرائيلية التي تتصف بالقلق والشك والإحساس بعدم الثقة والاضطهاد والشعور بالتميز العنصري على اتجاهات الرأي العام في إسرائيل.

فقد أصبح الرأي العام حديثا يمثل أحد الأركان الرئيسية في النظام السياسي فهو يرتبط بممارسة جانب هام من الحريات الفردية وهي حرية الاجتماعات وتكوين الجماعات التي تساهم في تكوين رأي عام إيجابي.

هذا وتسيطر الأحزاب السياسية على وسائل النشر والصحف وأيضا تعبر الإذاعة والتلفزيون وسائل لتعبئة الرأي العام وتوجيهه أكثر منها وسائل للتعبير عن الرأي العام السائد بالنظر إلى تبعيتها للحكومة.

من أجل صهيون التراث اليهودي – المسيحي في الثقافة الأمريكية

منذ تأسيس المستوطنات الأولى كان المستوطنون اليهود الأوائل يشبهون أنفسهم بالقبائل المنحدرة من نسل إسرائيل (يعقوب) في رحلتها الكتابية من مصر إلى أرض كنعان، ويطلقون على بلداتهم أسماء كتابية من قصص بني إسرائيل وأرض الميعاد، وعندما نالت أمريكا استقلالها صور الأمريكيون دولتهم الفتية على أنها " إسرائيل الله الأمريكية" والنموذج الذي يجب على العالم أن يحتذي به. ومنذ القرن التاسع عشر انتقل هذا التمثيل الرمزي الكتابي إلى تطبيق عملي "لآمال صهيون" على أرض الواقع الجغرافي في الأراضي المقدسة. ومازال هذا الفكر اليهودي المسيحي يعمل بصورة جلية في سلوك الأمريكيين ومواقفهم من العالم العربي والنزاع العربي – الإسرائيلي حتى اليوم. ويهدف الكتاب الذي نحن بصدد قراءته (ويحمل عنوان هذا المقال) إلى عرض تشبع الفكر الأمريكي بهذا التراث اليهودي- المسيحي على مختلف مستويات المجتمع بأوساطه الدينية والسياسية الأدبية، والاعتبارات السياسية الداخلية، والاعتبارات الجيوبوليتيكية والعلاقات الخارجية، والعوامل الاقتصادية وغيرها تكتسب بدرجات متفاوتة بتغير الظروف أهمية كبيرة في تأثيرها على مواقف أمريكا وسياساتها.

ويركز الكتاب على ثلاثة عناصر أساسية في الثقافة الأمريكية رفدت الفكر اليهودي المسيحي على مر السنين وهذه العناصر هي:

أولاً: الصورة الذاتية الاصطفائية التي عبر عنها الأمريكيون، خاصة في علاقة أمريكا مع الله والقدر. وسنجد في أعمال رجال الدين والسياسية والأدب ولأمريكا التي خلقها الله لهف أسمى ولتنفيذ مهمة مقدسة من أجل البشرية.

ثانياً: الاعتقاد الجازم بحتمية تاريخية مقرونة بالإيمان اليقيني بخطة شاملة وضعها الله للدهر، لها مراحل مرسومة محددة تبدأ مع بدء الخليقة، وتنتهي بنزول مملكة الله على الأرض.

ثالثاً: هذان العنصران الحتمية التاريخية وخطة الله للدهر مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالجغرافية المقدسة، مما يضع العالم العربي وفلسطين صورة خاصة في بؤرة هذا الفكر الكتابي الأمريكي ودور أمريكا في خطة الله.

وقد كان من نتيجة ارتباط هذه العناصر الثلاثة بعضها ببعض أن أصبح العناء تجاه الإسلام والمسلمين صفة ملازمة للفكر اليهودي - المسيحي ذلك أن الإسلام والمسلمين يختلون هذه الأراضي المقدسة وهم بذلك يشكلون عقبة في طريق تحقيق النبوءات الكتابية ولاسيما أن تحقيق هذه النبوءات لا يعتمد فقط على استعادة هذه الأراضي بل أيضاً على نهاية الإسلام وهداية المسلمين.

وتحليل هذه العناصر المكونة للثقافة الأمريكية يشمل عملية استقراء منطقي تحليلي للتاريخ، حسبما يرى الأمريكي الزنجي "جيمس بولدين": " فليس التاريخ – عنده - مجرد نص نقرؤه، وهو لا يحكي قصة الماضي فقط. بل على العكس من ذلك، إن قوة التاريخ تنجم عن أننا نحمله في تكوين شخصيتنا وفي هويتنا، ونخضع لتأثيره ولو بشكل لاشعوري في كثير من أفعالنا وأقوالنا، والتاريخ حاضر أبداً في كل ما نفعله، ذلك أننا نأخذ من التاريخ أطر تفكيرنا وميولنا وتطلعاتنا".

ويتضح من دراسة التاريخ اليهودي المسيحي أنه يشكل جزءاً حيوياً من الثقافة الأمريكية. بل إن هذا التراث يدخل في تركيب نسيج هذه الثقافة على شكل خيوط وألوان ورسوم تتكرر مع بعض التنوع من حين لآخر.

وقد اكتسبت عناصر التراث اليهودي المسيحي في العقود القليلة المنصرمة قوةً وتأثراً كبيرين في أوساط اليمين المسيحي المتطرف واليمين السياسي، مما كان له أكبر الأثر في سياسية أمريكا الخارجية فيما يتعلق بصورة خاصة، ويحتم هذا الأمر على العرب أن يدرسوا هذا التيار الفكري السياسي في أمريكا وعوا تداعياته وخطره على الشعوب العربية كلها.

ولابد من الإشارة هنا إلى أننا حين نتحدث عن هذا العامل الثقافي – الديني في أمريكا فنحن نقصد المسيحية الغربية ذات المنشأ والتطور الغربيين، وهي تشويه وتحريف للمعتقدات المسيحية الحقة التي تؤمن بها في الشرق العربي، فقد اختطف الغرب الدين المسيحي وعمل فيه تشويهاً وتعديلاً وتحريفاً لكي يستجيب لظروفه وأهدافه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أمرين على غاية من الأهمية:

أولاً: هنالك أعداد كبيرة من المسيحيين الأمريكيين الذين ينتمون إلى كثير من الكنائس والمذاهب المعتدلة التي لا تشاطر اليمين المسيحي معتقداته المتطرفة، بل هي تعلن اعتراضها على هذه المعتقدات وعلى السلوك الذي يصدر عنها.

ثانياً:في علاجنا لليمين المسيحي في أمريكا وعقائده ومبادئه، ندرك تمام الإدراك أن التطرف موجود في معظم الأديان والمذاهب.

ومن هنا تبدو أهمية هذا الكتاب الخطير الذي يأتي في إطار محاولة أن يلبي حاجة، ويسد ثغرة في الدراسات العربية التي تعالج وجهاً من أوجه الاستشراق الأمريكي، فهذه الدراسة تعالج الخطاب الأمريكي الديني والسياسي، خاصة في نظرته إلى العالم العربي والإسلامي.

والكتاب من القطع المتوسط، ويضم الكتاب خمسة أبواب تشتمل على عشرين فصلاً والباب الخامس يضم ثلاثة ملاحق، والمؤلف هو فؤاد شعبان، وقد صدر هذا الكتاب مؤخراً عن دار الفكر بدمشق.

وينقسم الباب الأول إلى ثلاثة فصول، ففي الفصل الأول "كريستوفر كولومبس والأراضي المقدسة" يذكر المؤلف أن حياة "كولومبس" وجهوده وكتاباته تمثل فكراً متماثلاً يحمل إيمانه القوي بتمثيل حرفي لبعض نصوص الكتاب المقدس ونظرته للكون والتاريخ على أنهما يخضعان إلى خطة حتمية والإيمان بيد العناية الإلهية في وضع هذه الخطة وتنفيذها.

وقد أوضح "كولومبس" في غير موضع إيمانه المطلق بأن العناية الإلهية قد اختارته ليلعب دوراً مركزياً في خطة الله للكون والتاريخ.

ولعله من الغريب أن الباحثين والمؤرخين لم يتطرقوا بتعمق إلى هذه الحوافز والأهداف الدينية في نشاطات "كولومبس" إلا في العقود القليلة الأخيرة. كما أن كتابه الوحيد "كتاب الرؤيا" لم يترجم إلى اللغة الإنجليزية بكامله إلا منذ سنوات معدودة. وهو الذي بين فيه "كولومبس" دوافعه الدينية وأثرها في حياته.

ومع نجاح ترجمات الكتاب المقدس، خاصة العهد القديم (بعد نجاح الثورة البروتستانتية) في أنحاء كبيرة من أوروبا ازداد اهتمام العالم البروتستانتي باليهود وبإعادة نسيج التاريخ بحيث ترتبط اليهودية والمسيحية بخط مستمر. فانكب رجال الدين – خاصة علماء العبرية المسيحيون – على دراسة النصوص المقدسة والتاريخية اليهودية، كما استعانوا بالعلماء اليهود لفك رموز التلمود وغيره من النصوص اليهودية.

وقد أدت كل هذه التطورات إلى تغيير جذري في التصور المسيحي الأوروبي لليهود واليهودية، ورأى مسيحيو أوروبا في هذه النصوص أدلة على رسالة المسيح وعودة المنتظر. كما قرر بعض علماء الدين المسيحيين في أوروبا بأن بقاء اليهود رغم شقائهم وعذابهم هو الدليل على عقوبتهم والدور الرئيسي الذي سيلعبونه في خطة الله للبشرية والكون.

وقد أدى استخدام المسيحيين الغربيين المتطرفين للنصوص المقدسة على أنها نبوءات ستحقق حرفياً – تاريخياً وجغرافياً- إلى الكثير من المآسي والآلام خاصة في العالم العربي. ومازال الداعون إلى تحقيق هذه الأرض.

هذا التركيز المتطرف على تحقيق النبوءات الألفية على أرض الواقع التاريخي والجغرافي جعل الدكتورة كاثرين ويسنغر" تحذر من أن التركيز على القدس نقطة رئيسية في التوقعات الألفية، ورغبة اليهود بهدم قبة الصخرة المقدسة لدى المسلمين وإعادة بناء الهيكل مكانها كل هذا يلقي دعماً كاملاً من اليمين المسيحي المتطرف في الغرب لأن ذلك يؤكد توقعاته لمعركة "هرمجدون" ونزول ملائكة الألفية. لكن النتائج السياسية، كما تقول ويسنغر لهدم قبة الصخرة ستكون أكثر خطورة أكثر مما يعتقد معظم الناس. وهذا الاتجاه اليميني في الغرب الذي يلح على رؤية تحقيق النبوءات في الأراضي المقدسة سوف يقود إلى كوارث كبرى لأن هذا الاتجاه يقود الغرب إلى رغبة أكيدة، ولو كانت خفية، لتحقيق هذه النبوءات ولو بشكل أو بآخر.

فالخطر الكبير الذي تحمل الأيديولوجية الألفية هو التركيز المتطرف على تأسيس دولة إسرائيل وكأنه تحقيق لخطة الله وهذا يؤدي إلى خطر أكبر وهو محاولة إثبات صحة هذه الخطة باستعمال القوة.

وتزداد خطورة هذا الاتجاه الفكري الديني حين تصبح نسبة كبيرة من الأمة تؤمن به وحين ترقى إلى السلطة فيها مجموعة من المتطرفين المؤمنين بهذا الفكر، وخاصة قد أصبحت هذه الأمة القوة العظمى الوحيدة في العالم.

إن إقامة قداس واحتفال صلاة في الكاتدرائية الوطنية بمناسبة مثل مناسبة تنصيب رئيس الجمهورية هي أمر ذو دلالة واضحة على دور الدين في الحياة الأمريكية، لكن هذا الحفل لأنه حدث بمناسبة استلام إدارة يمينية سياسياً ودينياً زمام الأمور وبسبب تولي "فرانكلين غراهام" بالذات إلقاء الموعظة في هذه المناسبة. لكن الأمر الأكثر أهمية هو الموعظة التي ألقاها وما تمثله من رموز التراث اليهودي المسيحي في الحياة العامة الأمريكية.

وهناك حادثتان : الحادثة الأولى حين ظهر تأثير الثقافة اليهودية المسيحية في العديد من الأنشطة العامة التي شاركت بها قطاعات كثيرة من الأمة الأمريكية.

ولا شك أن من يدرس تصرفات رجال السياسة الأمريكية وخاصة في أثناء حملاتهم الانتخابية وفي أثناء ولا يتهم يلاحظ دور الدين في حياتهم العامة اليومية فمعظم الساعين للترشيح للمناصب رئاسة الجمهورية يحرصون على أن تسجل آلات التصوير الخاصة بمحطات التلفاز ووسائل الإعلام دخولهم إلى الكنيسة أو خروجهم منها أيام الأحد ممسكين بالكتاب المقدس بيدهم ومحاطين بأفراد أسرتهم رمزاً للإيمان الديني وقيم الأسرة في حياة الأمريكيين .

وأفضل مثال على ذلك تصرفات الرئيس أثناء أزمة لوينيسكي الشهيرة. فقد حرص "كلينتون" على حضور الصلاة يوم الأحد ممسكاً بالكتاب المقدس وبيد زوجته.

ومنذ القرن التاسع عشر قرر عضو الكونجرس الأمريكي "ألبرت كوفريدج" وغيره من المؤمنين بالعقيدة الاصطفائية الاستعمارية أن الله خلق الشعب الأمريكي للمباشرة في عملية خلاص العالم، وهكذا درج السياسيون من قادة اليمين المسيحي ممن يعتبرون أنفسهم مكلفون بحماية الأخلاق والحرية والديمقراطية على جعل الإيمان بالقدرية ومعرفة مقاصد الله ذريعة وتكليفاً بالاستيلاء على السلطة المطلقة ينطلق الفكر النبوئي الذي يؤمن به اليمين المسيحي – وخاصة في أمريكا من أن الكتاب المقدس بجميع أسفاره وكتبه هو كلام الله المنزل وأن كل ما جاء فيه معصوم عن الخطأ.

ويمضي النبوئيون في هذا الفكر إلى القول أيضاً بأن تفسير هذا الكتاب الذي يختارونه هو أيضاً يقيني معصوم عن الخطأ.هناك عدد ممن الزعماء الأمريكيين الذين يتمتعون بشعبية والذين أمضوا عقوداً كبيرة وهم يروجون للنبوءات المقدسة ضمن التراث اليهودي المسيحي ،لجأ هؤلاء الأشخاص إلى وسائل متنوعة للتأثير في الرأي العام وفي السياسة الأمريكية الداخلية والخارجية بهدف رئيسي واحد هو ضمان الدعم التام لإسرائيل وخططها المستقبلية في المنطقة العربية الأكثرية ويعملون على تحقيقها ويحثون أتباعهم على المشاركة الفعلية بصورة أو بأخرى.

ومع اقتراب نهاية الألفية الثانية اجتاحت أمريكا موجة من التوقعات والتنبوءات التي تشير إلى اقتراب نهاية العالم ونزول مملكة الله وقد علق على ذلك المؤرخ "ويليام مارتن" بذلك قائلاً :"بأنه لم يسبق أن ازدهرت حركات نبوءات آخر الزمان مثلما حدث في أمريكا مثلما تشهده صفوف المحافظين من البروتستانت".

وقد دعمت الأصولية المسيحية المتطرفين اليهود في كل ما قاموا به من أعمال وحشية للاستيلاء على فلسطين مما أثار قلق بعض اليهود الذين رأوا في هذه الأعمال أموراً منافية للشراع والحقوق الإنسانية إلى سبعة عصور لكل منها

تطلع دور النشر والشبكة العالمية على جمهور القراء كل يوم بعشرات العناوين لكتب ومقالات وأفلام وتسجيلات تعالج موضوع نهاية الزمان والنبوءات، ومعظم هذه الأعمال تحلل الأحداث المعاصرة في إطار القراءات الحرفية لنبوءات النصوص المقدسة، خاصة مع نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة.

ومن هذه الكتب والأفلام على سبيل المثال: " المعركة من أجل القدس" بقلم "،2001م بقلم "جون هاجي".، وكتاب "هيكل الأيام الأخيرة القادمة"، 1991م بقلم "راندل برايس"، وكتاب إسرائيل والإسلام ومعركة مجيدو" 2002م بقلم "دايفيد هنت"، وكتاب " العد التنازلي لمعركة مجيدو" 1999م، بقلم "بول ماغواير" ، " نبوءات الزمان القادم: فيلم وثائقي" 2001م بقلم دانيال بوهلر، "نوستروداموس: الهجوم على نيويورك ونبوءات مدهشة أخرى بقلم "راي كومبرت (فيلم فيديو).

أما كتاب "هيكل الأيام الأخيرة القادم" **(The Coming Last Days Temple,** **Randall Price)** 1999م بقلم "راندل برايس"، فقد وصف فيه المؤلف بتفاصيل مغرقة التطورات الأخيرة في عالم السياسة والأحداث في المنطقة وكيف تتفق هذه الأحداث مع نبوءات الكتاب المقدس المتعلقة بالهيكل. كما يزين صفحات الكتاب التي تبلغ 732 صفحة بالنصوص المقدسة وفهارس للموضوعات.

ويخلص القارئ من هذه الكتب والأفلام والكثير غيرها إلى القناعة بالعلاقة الأكيدة بين أمريكا ومقاصد الله، وبدور أمريكيا في تحقيق النبوءات وفي المساعدة على عادة بناء الهيكل في القدس بأية طريقة لأن ذلك شرط لمجئ المسيح والمملكة الألفية. وتؤكد هذه الأعمال اليقين لدى المسيحيين المتطرفين في أمريكيا بأهمية دورهم في الحرب بين الخير والشر. وبالطبع يؤكد المؤلفون أن الإسلام هو جيش الشر وأن القضاء عليه هو مهمة مقدسة وشرط لدخول مملكة الله. وبهذا تساهم هذه المطبوعات في الحملة التي يشترك فيها الدعاة من الصهاينة المسيحيين والمبشرين وبعض السياسيين اليمنيين لدعم إسرائيل بأي ثمن.

وقد أصبح لوسائل الإعلام على مختلف أنواعها من محطات إذاعية وتلفزيونية ومن مواد مطبوعة منذ عدة عقود أثر كبير في دعم نشاطات اليمين المسيحي ودعاته وقاداته الدينيين وقد أفاد من هذه الوسائل جماعات الساعة الأخيرة والنبوئيون وتجار المملكة الأرضية. وجاءت الشبكة العالمية (الإنترنت) فوفرت لهذه الفئات وسيلة ساعدت عل نشر أفكارهم على مستوى عالمي وبسرعة مذهلة كما عملت على بعض التوحيد في مواقعهم وآرائهم النبوئية قد بدا أساتذة الفكر الديني والمؤرخون له في أمريكا بإدراك قوة هذه الثقافة الجديدة وأثرها في الثقافة الجماهيرية فمثلاً قال أستاذ الإعلام ووسائل الاتصالات في جامعة جنوب كاليفورنيا الدكتور "ستيفن أوليري".

أما الباب الخامس والأخير فقد اشتمل على ثلاثة ملاحق وأولى هذه الملاحق هو "شرح لبعض التعابير المستعملة في هذا البحث، وهذه الشروح تأخذ بعين الاعتبار بصورة خاصة السياق الذي تستعمل فيه وليس بالضرورة المعنى القاموس المجرد. وهذه التعابير مثل اليمين المسيحي، المعمدانيون، الأصوليون، المحنة الكبرى، معركة مجيدو.... والملحق الثاني تناول فيه المؤلف تعريفاً مختصراً لبعض أسفار الكتاب المقدس، خاصة ما كان منها متصلاً بموضوع هذا البحث من حيث الموارد والمعلومات الواردة فيها أو النبوءات التي ترفد التراث اليهودي - المسيحي في الغرب وتدعمه.

والملحق الثالث أورد فيه المؤلف قائمة ببعض الأمثلة على النبوءات بنهاية الزمان ومجئ المسيح مرتبة بالتسلسل التاريخي، مع العلم بأن هذه النبوءات لا تضم سوى جزء يسير من العدد الإجمالي للنبوءات التي أطلقها بعض الأشخاص أو الفئات في الغرب عبر القرون.

وقد قدم المؤلف حصيلة جهده العلمي المكثف والمضني، بمنهجية علمية فائقة، وتصنيف دقيق للمعلومات، ولم يشأ أن يدخل في متاهة نقضها أو إبداء الرأي فيها أو مناقشتها، متجنباً تحميلها بأي رأي شخصي، تاركاً ذلك للقارئ وفطنته وحصافته.

هل ستزول تل أبيب عام 2009 ؟

في كتابه " ثقافة وفتك " يطرح المؤرخ العسكري الرائد في الولايات المتحدة، البروفيسور فيكتور هينسون، سؤال كتابه الجوهري وهو : لماذا ينتصر الغرب دائما (تقريبا)؟ ما الذي جعل جيوش الغرب في السنين ال 2500 من التاريخ الموثق، من اليونان القديمة حتي أيامنا تهزم الجيوش غير الغربية في جميع الحروب تقريبا، ما عدا حالات قليلة فوجئت فيها مفاجأة كاملة أو دُفعت إلى دونية كمية مفرطة؟.

إن الفحص الشامل لسلسلة معارك عسكرية مهمة ـ من معركة سلاميس التي هزم فيها الأثينيون الأسطول الفارسي، حتي معركة ميدوي في الحرب العالمية الثانية التي هزم فيها الأمريكيون اليابانيين ـ يدحض الاعتقادات المقبولة بأن حل لغز تفوق الغرب العسكري كامن في شجاعة مقاتليه الزائدة، وامتيازه التقني ـ العسكري، أو تفوقه المالي ـ الاقتصادي.يكمن سر التفوق العسكري للغرب، كما يزعم هينسون، في فعالية وفتك جيوشه التي لا نظير لها. فعالية وفتك، ينبعان من كون المجتمع الغربي مجتمعا مفتوحا ، يخلق نموذج الجندي المواطن ، الذي قيمته في حومة القتال أعلي من كل جندي آخر، مهما كان شجاعا. فعالية وفتك بدايتهما في تراث السعي إلى إخضاع سريع لقوات العدو تطور في اليونان القديمة.

في الوقت الذي نظر فيه الحكام الطغاة في الشرق القديم إلى الحرب نظرا رياضيا، مثل لعبة قياس القوي، نشأ في ديمقراطيات اليونان القديمة تصور حربي مغاير، غير رياضي علي نحو ظاهر، رأي النضال عن حرية الجماعة والمواطن حربا لا هوادة فيها للموت وللحياة. ليس الهدف الأساسي للحرب الدفاع عن الوطن فقط، بل منع الخصم قدر المستطاع من أن ينهض من اجل الجولة القادمة. إذا ما قسنا ذلك برياضة الملاكمة العصرية، نستطيع أن نقول إنه في حين تسعي القوي غير الغربية، علي حسب رأي هينسون، إلى الحصول علي التفوق بالنقاط، يسعي خصومها الغربيون إلي حسم المعارك بالضربة القاضية.

وفور انتهاء معركة إسرائيل الأخيرة مع حزب الله ، كتب يوفال شتاينيتس عضو الكنيست من الليكود في صحيفة (هآرتس) 2006/8/17 يتساءل في مرارة المهزوم : هل الحديث عن فشل عسكري واضح نشأ عن قيادة سياسية بلا تجربة؟ أو ربما يكون الأمر كامنا في عجرفة وكبرياء قيادة الجيش الاسرائيلي، التي سدت أذنيها عن النقد لاعتمادها المبالغ فيه علي عجائب القوة الجوية؟ أو ربما تكون كل هذه الأشياء أعراضا فقط لمرض أخطر كثيرا، يُسمي: ثقافة الحرب التي أخذنا بها في السنين الغابرة منذ حرب لبنان الأولى في 1982.

هل يمكن التأليف بين هذا السعي والنظرية المشهورة لعمانوئيل كانط، وهي أن الدول الديمقراطية بمجرد نوعيتها تمتنع عن حروب لا داعي لها وتطمح إلي السلام مع جاراتها؟ يٌبين كانط أن الطموح إلي السلام في الديمقراطيات ينبع من عدم استعداد المواطنين للمخاطرة بحياتهم وممتلكاتهم من اجل موضوعات هامشية. لا تناقض هذه النظرية زعم هينسون، لأنه كما أن للمواطنين الأحرار اهتماما كبيرا بالامتناع عن حرب لا داعي لها، يجب أن يكون الجانب الآخر من القطعة النقدية، أنه مع وجود الحرب يوجد لأولئك المواطنين الأحرار اهتمام كبير بالحسم الذي يمنع نهوض العدوأو يٌعوقه، وبهذا يمنع أو يٌبعد الحرب القادمة.

بن غوريون وشارون .

ويجيب عضو الكنيست قائلا : لا ريب في أن ثقافة الحرب التي أورثنا إياها دافيد بن غوريون، والتي كان التعبير الأبرز عنها في السبعينيات والثمانينيات هو أرييل شارون، كانت ثقافة غربية تسعي إلى حصار العدو والقضاء عليه في المواجهة. وذلك أيضا في تلك الحالات التي يكون الأمر فيها مصحوبا بعمليات عسكرية جريئة ثمنها خسائر يصعب تحملها. الجيش الإسرائيلي لبن غوريون سعي إلى استغلال كل تفوق لإخراج العدو عن اتزانه، في سعي إلى حصاره بعد ذلك والي إبادته كقوة مقاتلة.كان بن غوريون هو الذي قال " إن إسرائيل إذا انتصرت في خمسين حربا،

فإنها لن تُخضع العالم العربي، لكن يكفي العرب أن ينتصروا في حرب واحدة من اجل القضاء علي دولة إسرائيل ". بيد أنه بسبب عدم التماثل هذا علي التخصيص أكد بن غوريون الحاجة إلى الحصول علي حسم مؤقت حاد أليم قدر الإمكان، من اجل إبعاد موعد النهوض العسكري والنفسي للجانب الثاني.حتي في حرب التحرير(يقصد الكاتب الصهيوني حرب 1948) اشمأز بن غوريون من الاكتفاء بالتشويش علي أهداف العدو وانجاز دفاعي جليل. برغم صد الجيش المصري في أسدود، ودفعه التدريجي بعد ذلك خارج حدود الدولة، أمر بن غوريون الجيش الإسرائيلي المرهق بأن يقطع مرة تلو أخرى طرق انسحاب الجيش الغازي وأن يواجه قواته المنسحبة، وفي ضمن ذلك قطع طرق انسحابه في سيناء

وفي حربي 1956 و1967 أيضا لم تكتف إسرائيل بانجازات دفاعية، ولكن فيما يخص موضوعنا، الأمثلة الأكثر إثارة للاهتمام هما علي التخصيص حرب 1973 و1982، حيث طُبق تقليد الحرب البن غوريونية علي يدي اللواء، الذي أصبح بعد ذلك وزير الدفاع، أرييل شارون. يشكل عبور قناة السويس في حرب يوم الغفران مثالا بارزا علي ثقافة الحرب الغربية، عندما جر شارون وراءه القيادة العسكرية والسياسية من أجل إحراز حسم غالب. اخترق الجيش الإسرائيلي بعملية جريئة صعبة لا مثيل لها خطوط العدو في وسطها، من اجل أن يفصل ويطوق الجيش الثاني والجيش الثالث، وليقضي عليهما بعد ذلك بالنار، والجوع، والظمأ.

ويعترف الكاتب الصهيوني بهزيمة إسرائيل أمام حزب الله فيقول : إن فشل حرب لبنان الثانية هو فشل ثقافة الحرب الجديدة. ورغم أن وزير الحكومة ووزير الدفاع ورئيس الأركان هم من أبرز الممثلين لتلك الثقافة الحربية، لا ينبغي أن نعلق بهم وحدهم التهمة كلها. تدل خطط الجيش الإسرائيلي للحرب والتأكيدات في بناء القوة، التي صيغت في الأساس في فترة رئيس الأركان ووزير الدفاع السابقين، علي أن أولمرت وبيرتس وحلوتس ممثلون لمشكلة اجتماعية وثقافية أعمق. لأن السعي إلى الحسم في حومة القتال يتطلب استعدادا للمخاطرة بمنزلة الأجرأ ينتصر . ولكن حتى لو كانت الجرأة ذات جدوى في الأمد البعيد، فمن طبيعتها أن تقود أحيانا أيضا إلي إخفاقات شديدة. إن الطموح إلي حسم بري مخاطرة في ذاته، لأنه لا توجد معركة برية ليس فيها مصابون. نحن نعُد أمواتنا ونحن نفخر بذلك ، قال رئيس الحكومة في خطبة إيجاز الحرب في الكنيست. لكن إذا كان عدّ الضحايا يسبب التردد، وعدم الحزم، وإلغاء الطموح إلي حسم استراتيجي، أفلا يمكن أن تكون خسارتنا تعادل ربحنا في النهاية، لا في أهدافنا الاستراتيجية فقط، بل في عدّ الضحايا أيضا؟.

تُقال الأشياء نفسها أيضا في إبراز بناء القوة في الجيش الإسرائيلي. في السنين الأخيرة تطور تصور الحسم من الجو، ونبع من ذلك إلغاء الحاجة إلي المداورة البرية أو إلي تحسين قوة النار من البر ومن البحر. وفيما يتعلق بلبنان، طُور تصور القضاء علي القذائف الصاروخية وصواريخ الكاتيوشا من الجو، ونشأ عن ذلك اعتقاد أنه يمكن إدارة مواجهة واسعة مع حزب الله من غير الحاجة إلي عملية برية. وكان من نتيجة ذلك أن أُهملت قوات سلاح المشاة، والمدرعات والمدفعية. لأنه إذا كان يمكن حل كل مشكلة بتدخل جوي، فما الداعي إلي الاستمرار في التقوية في البر والبحر؟.

وفي اليوم نفسه 2006/8/17 كتب يونتان شيم أور الكاتب في صحيفة (معاريف) يقول : " في سنة 1909 أُسست تل أبيب. وفي 2009 ستصبح أنقاضا !! ". التاريخ مجموعة من التواريخ. إن ما يبقي حقا بعد جميع التحليلات والنقاشات الحقائق الزمنية الحديدية فقط. قبل مائة سنة أقاموا أول المدن العبرية، وبعد مائة سنة من العزلة، قُضي أمرها.بين أنقاض دمار التصورات التي خربتها صواريخ الكاتيوشا، بقي واحد كاملا. إيران، كما يقول الجميع ليست مشكلتنا. هي مشكلة العالم.

لكن العالم الذي نعرفه سيمضي إلي بيته بعد أقل من سنتين. جورج بوش، وهو الأكثر نزاهة بين قادة القرن الواحد والعشرين، يُنهي ولايته الأخيرة. الأمريكيون، الذين لا يحبونه ولا يحبون الحرب في العراق، لن يفعلوا شيئا. لن يحجز شيء يد أحمدي نجاد عن الزر الذي سيَخرب تل أبيب.

هذا جدول عمل الفارسي. بعد سنتين أو ثلاث سيملك سلاحا ذريا. لا يوجد من يكفه عن تذكيرنا باسم (خيبر).

ويتحدث الكاتب الصهيوني عن عدم جدوى السلاح النووي الصهيوني فاستعماله – الذي يسميه الكاتب بالخيار شمشون – لن يحل المشكلة ولن يحفظ على تل أبيب حياتها هانئة فيقول مشيرا إلى الصواريخ النووية التي تملكها إسرائيل باسم (فعنونو) وهو المهندس الذي اعترف بتصنيعها فيما بعد وسجنته إسرائيل لهذا السبب .

فيقول الكاتب : ستخرب تل أبيب. حتى إذا ما قرر البعض من داخل ملاجئنا المحصنة السرية، تحت الغبار المشع، تنفيذ عملية شمشون، وإمطار طهران بجميع صواريخ " فعنونو" لن ينشئ هذا الدولة العبرية من جديد، سيموت الكثير من المسلمين ولن نكون نحن.!!

هذا هو المصير. لقد كُتب علي شواهد قبور الجنود الذين احتلوا بنت جبيل خمس مرات، وفي أوامر أعظم الجيوش في الشرق الأوسط، الذي لم ينجح آلاف من طياريه و50 ألفا من مقاتليه في إخضاع بضع مئات من مقاتلي حزب الله. جميع لجان التحقيق التي ستقوم لن تُغير الصورة. لن يقرر مستقبلنا تعلم الأخطاء التي قمنا بها، بل الدرس الذي سيستخلصه العدو

القسم الثاني:

قراءات في كتب جديدة حول الصهيونية

إسرائيل الخطر والمخادعة

من إصدارات مؤسسة الرسالة ببيروت في نهاية 1998م. كتاب " إسرائيل الخطر والمخادعة " للأستاذ الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي، ويقع هذا الكتاب في نحو 160 صفحة من القطع المتوسط ، والدكتور نعمان عبد الرزاق له العديد والعديد من المؤلفات والأبحاث المتخصصة في دراسة إسرائيل منها على سبيل المثال : كتاب " إسرائيل خطر على العالم " وكتاب " إسرائيل – تاريخ " وكتاب " النزاع العربي الإسرائيلي " وكتاب " الصهيونية " .

وهذا الكتاب لا يتبع منهجية تقليدية في تأليفه ولكنه أشبه بمجموعة بحوث كاملة ويحوي العديد من الموضوعات التي توضح في مجملها الخداع الإسرائيلي في كل شيء ، وينقل المؤلف عن المؤلف اليهودي الدكتور إسرائيل شاحاك في كتابه تاريخ اليهودية قوله :

" إن السمة الغالبة لنظام الفتاوى لليهودية الكلاسيكية هي سمة " الخداع " وخداع " الله " بالدرجة الأولى [سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً] ، إذا كنا نستطيع أن نستخدم هذه الكلمة لكائن متخيل يخدعه بكل سهولة الحاخامات ، الذين يعتبرون أنفسهم أكثر حذاقة منه.

وإذا كان بعض العرب – كما يقول المؤلف - قد حمله التعب للهرولة نحو السلام أو الاستسلام ، وإذا تحول البعض من جهاد الخنادق إلى جهاد " الفنادق " وغش بوعود من هنا وهناك ، لا يحترمها أصحابها ، وإذا تعب بعض الساسة فصار " أسد عليّ وفي الحروب نعامة " ، وإذا قل الأسود وكثر النعام ، فكل ذلك وغيره لا يغير ولن يغير من طبيعة المعركة ، مع هذا العدو ، وكلمة (عدو) هي أصغر ما يمكن أن توصف به ، حركة عدوانية شوفينية عنصرية ، يقودها غلاة من أمثال " موسى بن ميمون " ملك العنصرية أو موشي هيس وأمثالهم ، ممن تعشش الأساطير في عقولهم ، ويعتقدون أن الله خلق كافة الشعوب لخدمتهم ، وأن غيرهم من الأمم كذبة بالفطرة ، ولا ضرورة لبقائهم ، وهم أتباع الشيطان ، ونساؤهم " مومسات " والزنا بهن كالزنا بالحيوان ، وأن السيد المسيح في قعر جهنم ، وأنهم ينتظرون العثور على بقرة حمراء لذبحها والتبرك بدمها ، وليكون ذلك مؤهلاً لإعادة بناء الهيكل بعد طرد الشعب الفلسطيني من أرضه ووطنه ، وشن حروب التحرير ، كي تحقق لهم دولتهم (إسرائيل الكبرى) من النيل إلى الفرات .

وهناك كثير من الأمثلة التي تدلل على خداع اليهود لله (بزعمهم) منها أن التوراة تحوي من التعصب العنصري ، والتحريض ضد الغرباء من النصوص ، ما لو وجد لدى أي أمة من الأمم لاعتبرت ممن يعادي السامية ، وربما عرض الأمر على هيئة الأمم ، أو محكمة العدل الدولية ، حتى لقد وصف رجاء جارودي أسفار التثنية بأنها أسفار العنصرية . فإذا تحولنا إلى التلمود وهو شرح أو شروح لنصوص التوراة ، نجد التعصب قد اتخذ شكلاً أكثر حدة ووقاحة ، وحين كان اليهود في حال ضعف ، عمدوا إلى النصوص " العنصرية " وهي كثيرة جداً ، تبدأ بشتم السيد المسيح وأمه ، وتنشر الشتائم والتعصب ضد كل من ليس يهودي ، من الأحياء والأموات على حد سواء فحذفوها كلياً ، ونظراً لتعلق اليهود بالتلمود أكثر من التوراة ، فماذا يفعلون بمثل هذه النصوص ، التي ما إن يطلع عليها غي اليهود حتى تثور ثائرتهم ؟ لقد تفتقت عقلية " المخادعة " عن تلاعب بالنص ، إما بالحذف أو تغيير في الكلمات أو الصياغة ، يقول شاحاك :

" ينبغي الإقرار منذ البداية بأن التلمود والأدب التلمودي – وبمعزل عن سمته الملازمة المعادية عموماً للأغيار ، والتي سنبحثها بتفصيل أوسع – ينبغي الإقرار بأنهما يتضمنان أقوالاً منفرة ، وقواعد سلوكية موجهة تحديداً ضد المسيحية ، وعلى سبيل المثال يقول التلمود – بالإضافة إلى سلسلة من المزاعم الجنسية البذيئة ضد يسوع المسيح – بأن عقابه في الجحيم يقضي بإغراقه في غائط يغلي .

ويستطيع المرء أن يستشهد بإحدى قواعد السلوك ، التي تشير على اليهود بإحراق أي نسخة من الإنجيل تقع في أيديهم ، وأن يفعلوا ذلك علناً إذا أمكن .

يذكر شاحاك أمثلة لهذا الخداع فيذكر أن الطبعة الأولى لمجموعة الشرائع التلمودية الكاملة " مشينه توراة " لابن ميمون – الأندلسي الذي هاجر إلى مصر وصار طبيباً لصلاح الدين – وكتب ابن ميمون يمكن اعتبارها الأكثر تشدداً وعنصرية ، والأكثر سباً وتحريضاً ضد الأغيار – غير اليهود - .

يقول شاحاك : إن ابن ميمون – الفقيه الفيلسوف الطبيب – كلما ذكر السيد المسيح ، عقب بقوله : فليهلك اسم الشرير ، وقد نشر الكتاب كاملاً عام 1480م. على عهد البابا سكستوس الرابع ، الذي كانت لديه حاجة دائمة وملحة للمال . وعن طريقه سمح البابا بسب السيد المسيح ، في كتاب ينشر ويتداول في الغرب النصراني !! .

و لكن حذراً على المصالح ، والتخوف من ثورة الأغيار الذي يشتمون أحياءَ وأمواتاً ، فهنا جرى الحذف والاستبدال ، فالأغيار (الكوييم) وغير اليهود ، الغرباء ، كلها وأمثالها جرى استبدالها بعبارات مثل : عابد الأوثان والكافر أو الكنعاني أو السامري ، فإذا اشتد الهجوم على اليهود وعنصريتهم، استبدل العربي والمسلم بالإسماعيلي وأحياناً المصري .

ويذكر المؤلف نموذجاً " صارخاً " من المخادعة لله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا [سورة الإسراء: الآية 43]

صلاة لها شعبية كبيرة جداً اسمها " كول يندري" وموعدها عشية يوم الغفران ، ومن النادر أن يتخلف عنها حتى غير المتدينين ،فماذا يقال في هذه الصلاة العظيمة ؟؟ : (إن العهود الخاصة كافة ، التي تُقطع لله في السنة التالية ، كلها عهود باطلة ولاغية) وتؤدى بالآرامية ، التي لا يفهمها الغالبية من المصلين ، وكما يقول المؤلف يذكرني ما يقوله شاحاك بقول ذلك الفيلسوف الذي يقول : كل ما أقوله فأنا كاذب فيه ، فسأله رجل : وهل يدخل في ذلك مقولتك هذه ؟ أي هل أنت كاذب فيما قلت عن الكذب أيضاً ؟

هل يتصور أن أتباع دين يعاهدون ربهم في صلاة ، بأن عهودهم القادمة ستكون باطلة ولاغية ، ولا قيمة لها ؟ إذن فلماذا تكون ؟ إنها لخداع الله والناس معاً [سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً] ، وكذلك النفس ! ! ! .

والمؤسسة الدينية – الحاخامات – والأحزاب الدينية والطائفة الأرثوذكسية ، مكروهتان تماماً من عامة الشعب في إسرائيل ، وأهم أسباب هذه الكراهية – على حد قول شاحاك – هي بالضبط سمعتها بالازدواجية وتقاضي الرشوة ، إن لدى المؤسسة الدينية اليهودية ميلاً قوياً إلى المخاتلة والارتشاء ، بسبب التأثير المفسد للديانة الأرثوذكسية . .

إن مستوى المخاتلة والارتشاء والفساد في تلك المجالات القليلة في الحياة العامة في إسرائيل ، التي تخضع بكليتها لسيطرة الدوائر الدينية ، مستوى ذائع الصيت ، ويجاوز إلى حد بعيد المستوى المتوسط الذي يصبر عليه المجتمع الإسرائيلي ، غير المتدين عموماً . ومن يتابع الاتهامات للحاخامات الكبار ، مثل " أبي حصيرة " الذي طرد من الوظيفة وسجن لاتهامه بالرشوة والفساد ووجود أكثر من خليلة له . . إلخ يعرف ذلك جيداً .وربما كانت آخر الاتهامات ، هي بيع شهادات كاذبة لناس غير يهود على أنهم يهود ، ليكسبوا الجنسية ، في مقابل (16) ألف دولار لكل شهادة . إنه الأصفر الرنان معبود الأمس ، ومعشوق اليوم ، وقد قال ماركس – وهو يهودي أماً وأباً – إن اليهود لا يعبدون الله ، ولكنهم يعبدون " الكمبيالة " !!! وأن الديانة اليهودية يسيطر عليها الربح .

ولأن الدكتور إسرائيل شاحاك – كما يقول المؤلف – علماني ، وغير عنصري ، وشجاع فهو يقرر – دون مواربة – أن ظاهرة طرد اليهود من البلاد ، لم يعرفها العالم الإسلامي (إن طرد اليهود لم يكن معروفاً في البلاد الإسلامية علمياً ، لأنه كان مناقضاً للشريعة الإسلامية ، أما القانون الكنسي الكاثوليكي فلم يكن يمنع مثل هذا الطرد ، كما لم يكن يأمر به) .

شهادة منصفة من رجل شجاع ، ومع ذلك فما أن قامت دولة إسرائيل حتى شنت أكبر عمليات القتل والتخويف ، كي يغادر الفلسطيني أرضه وداره فتستولي عليها الحكومة ، وتمنعه من العودة ، وهكذا جزاؤنا ، ومن يزرع الحنظل فلن يحصد البرتقال !!! . ولو استرجعنا وضع اليهود فسنجد أن كبير شعراء العبرية (شموئيل هانجيد) كان يتولى رئاسة الوزراء في مملكة غرناطة ، وأن أفضل مركز لهم – بعد سقوط الإمبراطورية الفارسية – كان في الدولة العثمانية ، خصوصاً أيام قوتها وذلك في مطلع القرن السادس عشر .

وأن صلاح الدين عاملهم أفضل معاملة ، واتخذ من ابن ميمون الأندلسي الأصل طبيباً له ، حتى أن شاحاك يستغرب كيف أطلق صلاح الدين يد الحاخامات ، ليحكموا قبضتهم على اليهود كأشد ما تكون (فالتسامح الأكبر تجاه اليهود ، الذي أرساه صلاح الدين ، لدى صعوده السلطة مكن ابن ميمون من إصدار الأوامر إلى المحاكم الحاخامية في مصر ، لإلقاء القبض على كل يهودي عقد زواجاً ممنوعاً وجلدهم ، إلى أن يوافقوا على طلاق زوجاتهم ، و على نحو مماثل كانت سلطات المحاكم الحاخامية في الإمبراطورية العثمانية واسعة جداً ، وبالتالي وبيلة إلى أقصى الحدود . .). هكذا عاملناهم وهكذا يعاملوننا ، ويريدون منا أن نستسلم لهم دون قيد ولا شرط ، وأن نبارك قتلهم ونهبهم ،

ومن لا يفعل ذلك فهو إرهابي ، ولا سامي وضد حقوق الإنسان . ومن العجب العجاب أن تشرع إسرائيل قوانين لليهود ، وأخرى لغيرهم ، وتمنع منذ إنشاء الدولة العبرية بيع الأراضي في فلسطين لغير اليهود ، وكل عقد من هذا النوع باطل حسب القانون ، فلما شرعت السلطة الفلسطينية تشريعاً مماثلاً كانت أمريكا أول محتج مستنكر !!! و هناك مقولة شهيرة : إن الصهاينة تعلموا من هتلر أكثر مما تعلموا من موسى ÷ . ويقرر شاحاك بشجاعة نادرة : أنه إذا كان قد قتل هتلر عدداً من اليهود ، فإن اليهود فعلوا ذلك وأكثر مع الفلسطينيين .

ومن الحقائق التي يؤكدها حقيقتين :

الأولى : حين كان الاضطهاد يقع على اليهود ، كان يقف إلى جانبهم الحكام ورجال الدين والأغنياء .

الثانية : أن أعداء اليهود هم أفراد الطبقات المضطهدة والمغلوبة والمسحوقة ؛ لأن اليهود يتحالفون دوماً مع الحاكم ضد شعبه ، وهذه قضية جديرة بالانتباه ، فاليهود يريدون دوماً أن يصفوا أنفسهم بأنهم مضطهدون ، لكنهم في كل مرة يتهربون من السؤال : لماذا ؟؟

والحقيقة هي الاستغلال والتحالف مع الحاكم الفاسد ، والطبقة الغنية ، من أجل نهب أكبر قد ممكن من المال ، ومن يكون كذلك فسوف يظل أبداً محل السخط .

فالهندي في شرق القارة الأفريقية ، واللبناني في غربها يتعرض للنهب والسلب وحتى القتل ، كل بضع سنين ، وكلما سنحت فرصة مناسبة ، فلا أحد يذكر ذلك ، ولا أحد يتعظ من ذلك . مرة أخيرة كل أجنبي " يلهف " أموال شعب ، ولقمة شعب – مهما كان متقدماً أو متخلفاً – فلينتظر العقاب بالوقت المناسب ، لا فرق بين هندي وهندوسي ، أو لبناني نصرانيأو يهودي ، ولكن لم نسمع من الهنود ولا من اللبنانيين من يلطم الخدود ويشق الجيوب ويتاجر بالسامية .

من يقرأ سفر التثنية ويسميه المفر الإسلامي رجاء جارودي بسفر العنصرية يجده يحمل أوامر صريحة بوجوب مهاجمة المدن والشعب الفلسطيني ، فمن استسلم تحول إلى عبيد ، ومن قاتل فيجب أن يفنى ، جاء في السفر (20:10-18) : (حين تقترب من مدينة لكي تحاربها ، استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم ، وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتفتحها لنفسك ، وتأكل غنية أعدائك التي أعطاك الرب إلهك ،

وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً ، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً ، فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريماً ، الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والجونيين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك ، لكي لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم) .

من سالم يضرب عليه الرق ، ومن يحارب من الفلسطينيين يباد هو وجميع ما يملك .
ولماذا لكي لا يعلموا اليهود النجاسات التي يمارسونها ، ولماذا لا تطالب التوراة شعبها " المختال " بدعوة هذه الشعوب للتوحيد وعبادة الله ؟ أتراهم يعتقدون بأن هذه الشعوب غير مؤهلة لعبادة الله ؟ وإذا لم تكن هذه الأعمال عنصرية ، فما هي العنصرية ؟

ويرى المؤلف أن عملية السلام فاشلة ومستحيلة فمنذ زرعت إسرائيل في وسط العالم العربي وهي تنادي بالسلام ، سلام اللص الذي يسرق البيت وما فيه ، ويدعو صاحبه ليبارك السرقة وصاحبها ، وكانت تتهم العرب بأنهم تجار حرب ، ويريدون إزالة إسرائيل من الوجود . وحين سيق الجميع بالعصا نحو التفاوض ، تكشف اللص يريد شيئاً واحداً ، أن يحتفظ بما سرق، وأن يبارك من سرق ماله ذلك ، ثم ينتهي كل شيء . فالسلام المطلوب هو استسلام واعتراف بالواقع فقط ، والصراع ديني " ميتا فيزيقى" وهو ضد الخلاص ، ليس خلاص اللص ولكن خلاص العالم.

لقد ارتكب الإسرائيليون الذين مضوا قدماً فيما حسبوه من خيارات السلام المبني على التسوية ، حماقة التفكير في أن الصراع صراع عادي بشأن الحدود والحقوق السياسية ، ذلك لأن المشكلة الحدودية والسياسية ما هي في الحقيقة إلا من مظاهر الصراع الميتا فيزيقي – ما وراء الطبيعة – الذي لم يزل دائراً ، وربما بدت تسويات المفاوضة ناجحة في المدى القصير إلا أنها تطمس خطر الإبادة الماثل أبداً ، إذ تتخلى – الجماعات المفاوضة – عن بعض الأراضي ، فهي لا توهن إسرائيل وتعرضها للخطر فحسب ، بل تناقض المقتضيات التي قضاها الله على الشعب اليهودي بأن يرث الأرض ، وهذا بدوره ، يؤخر عملية الخلاص ، لا خلاص إسرائيل وحدها ، بل خلاص العالم بأسره .

بعد ذلك يجري التحدث عن نوعين من السلام :

نوع عابر مؤقت

نوع دائم حقيقي ، وذلك باستيلاء إسرائيل على كافة أرضها ، وهذا مقدمة لمجيء السيد المسيح . وتقسيم السلام إلى مزيف وحقيقي ، وجعل الحقيقي هو سلام القوة وربطه بالله تعالى ، يعني استسلام من العرب غير مشروط ، فإذا أضفنا لسلام " الخزي " لنتنياهو كلها :

لا عودة الحدود ما قبل (5) حزيران .

لا انسحاب من الجولان .

لا انسحاب من كامل الضفة الغربية .

لا لعودة القدس للعرب .

لا لعودة اللاجئين .

لا إزالة للمستوطنات .

لا تجميد لبناء المستوطنات .

لا للدولة الفلسطينية .

أعلن ذلك عقب اجتماع مع (بيل كلنتون) في أواخر شباط 1997م. دام ساعتين ، خرج بعده ليعلن اللاءات الثمانية ، مما يدل على اتفاق عليها وعلى إعلانها ، أما بيل كلنتون فأعلن من جانبه ضمان أمن إسرائيل وقوتها وتفوقها ،والسؤال :

ماذا يبقى من سلام الخزي مع اللاءات ؟

ومن الذي يهدد أمن إسرائيل ؟

ماذا عسانا أن نقول بعد هذه القراءة المتأنية ، في هذا الكتاب الشيق الممتع الذي يوضح مجاهيل الخداع اليهودي !!!

إسرائيل إلى زوال

الكتاب من القطع المتوسط وهو من إصدارات دار الأمين بالقاهرة، ويضم الكتاب تسعة فصول، بخلاف المقدمة والتمهيد والخاتمة وقد جاء هذا كله في حوالي 150 صفحة، ومؤلف هذا الكتاب هو الدكتور عبد الفتاح مقلد الغنيمي.

وقد قسم المؤلف هذه الدراسة إلى ثمانية فصول وخاتمة، تناول الفصل الأول عروبة فلسطين قبل أربعة آلاف عام قبل الميلاد وكيف أن الهجرات العربية كانت تخرج من الجزيرة العربية منذ أزمنة سحيقة وتأخذ ريقها في الاتجاه الشمالي الغربي وصولاً إلى فلسطين ثم الاتجاه شمالاً إلى سوريا وكيف كانت هجرات الفينيقيين والكنعانيين والآراميين وغيرها من الهجرات العربية طريقاً لبناء القواعد العربية في هذه المناطق وكيف كانت تتم الوحدة العربية بين دول الهلال الخصيب وسوريا الكبرى ومصر في شكل وحدة عربية سلالية قديمة قبل ظهور الإسلام وأن عروبة فلسطين قبل الإسلام بأربعة آلاف عام.

والفصل الثاني تناول الفكر الصهيوني واغتصاب فلسطين وكيف ظهرت الدعوة الصهيونية لإنشاء وطن قومي لليهود دون تحديد المكان وكيف عرضت عدة أماكن على اليهود لكي ينشئوا بها وطناً قومياً لليهود دون تحديد المكان وكيف عرضت عدة أماكن على اليهود لكي ينشئوا بها وطناً قومياً لليهود كالأرجنتين وقبرص وأوغندا وكينيا وبرقة في ليبيا وغيرها من الأماكن وكيف كان كتاب هرتزل عام 1896م لإنشاء وطن قومي لليهود دون تحديد المكان وكيف كانت مراسلات حسين – مكماهون 1915م، ونظرة بريطانيا إلى اغتصاب فلسطين في اتفاقية سايكس – بيكو1916م، ووعد بلفور عام 1917م، وفتح المجال للهجرة اليهودية في ظل الانتداب البريطاني والاستيلاء على الأراضي العربية وطردهم من ديارهم وكيف كان إعلان قيام دولة إسرائيل عام 1948م،

ثم كان الفصل الثالث عن إسرائيل والمأزق التاريخي الذي تعيش فيه باختيارها في فلسطين لتكون وطناً قومياً لها على حساب الحق العربي في فلسطين وكيف أن الذين أوقعوا إسرائيل في المأزق خدمة لأهداف استعمارية وفصلاً لمصر عن الشرق العربي واستغلالاً لمصادر الطاقة وعدم رؤية عالم عربي واحد، لأنهم يدركون خطورة قيام وحدة عربية وكيف أنهم لم يقرأوا التاريخ ولم يستفيدوا منه وكيف أن مصر ظلت محتلة طوال عشرة قرون (332ق.م – 641م) وكيف عاد الوطن العربي إلى أصله وكيف أن مصر قاومت الحركة الصليبية مائتي عام (1095 – 1290م) وحررت أرضها وكيف أن الحركة اليهودية الاستيطانية لن تدوم أبد الدهر.

ثم كان الفصل الرابع بعنوان: السلاح الذري هل يضمن بقاء إسرائيل وكيف أن امتلاك إسرائيل 200 – 300 رأس نووي وإنشاء أربعة مفاعل ذرية في ديمونة ونحال والنبي وبنيامين وكيف أن السلاح النووي لم يمنع من انهيار الاتحاد السوفيتي، وكيف أن العرب في المرحلة القادمة أو أي من الدول الإسلامية تكون قادرة على امتلاك السلاح النووي مما يجعل إمكانية التوازن مع إسرائيل وكيف أن السلاح النووي في هذه الحالة لن يكون في صالح إسرائيل وأن السلام أيضاً لن يكون في صالح إسرائيل.

ثم كان الفصل الخامس عن الولايات المتحدة والتوازن العالمي وكيف أن الولايات المتحدة استطاعت أن تنفرد بقيادة العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي

وكيف أنها تواجه السياسة العالمية من منطلق مصالحها وأهدافها وأنها تعيد صياغة الحركة العالمية وفق رغباتها وكيف أن ذلك لن يدوم وكيف أن الحركة الأسيوية (الصين واليابان والهند ودول النمور) سوف تحقق التوازن وربما التقدم وأن ذلك لن يكون في صالح أمريكا وإسرائيل وأن ذلك سوف يكون مصدر عون للعالم العربي في حالة نجاحه في توطيد علاقات في دول آسيا.

ثم الفصل السادس عن العالم العربي والتحديات المستقبلية وكيف أن العالم العربي مطالب وهو على أبواب القرن الحادي والعشرون، وفي ظل قيام دولة إسرائيل ومحاولة اكتساب شرعيتها داخل الإطار العربي مما يستدعي التعاون والالتحام العربي وعدم الفرقة والأخذ بأساليب التقدم العلمي وإفساح مجال أوسع للديمقراطية والأخذ بالشورى وإعطاء الفرصة للعناصر العلمية للمشاركة في الحكم، وأنه لا طريق أم العرب لحو وصمة وجود إسرائيل إلا من خلال العمل على بناء سوق عربية مشتركة وقيام كيان أو كيانات فيدرالية أو موحدة أو كونفيدرالية.

ثم الفصل السابع عن إسرائيل والانفجار من الداخل وفيه نتحدث عن الهيكل السكاني الإسرائيلي وكيف أنه يتكون من اثنتين وخمسين جنسية وأن اليهود طوائف شرقية سفارديم وغربية شكناز وغيرهم من الطوائف المختلفة؟، وكيف أن اليهود الغربيين يسيطرون على مقاليد الأمور في فلسطين (إسرائيل)، وكيف كانت ثورة يهود الفلاشا الأثيوبيين علامة على التمزق والعنصرية؟،

وكيف أن الروس يشكلون حالياً ربع سكان إسرائيل وأن اللغة الروسية تأخذ وضعها جنباً إلى جنب مع العبرية، وكيف أن السلام يجعل الصراع داخلياً وليس خارجيا وكيف أن ذلك سوف يدعم موقف العرب لاسيما أن عرب إسرائيل يشكلون مليون نسمة خمس سكان إسرائيل؟، وكيف أن هناك اثني عشر عضواً من العرب في الكنيست الإسرائيلي؟، وكيف قامت ثورة في خمسين قرية عربية إسرائيلية بمناسبة يوم الأرض التي حدثت عام 1986م؟، وكيف أن كل هذه تكون عوامل دفع على انهيار وانفجار إسرائيل من الداخل؟.

ثم كان الفصل الثامن والأخير عن إسرائيل والانفجار من الخارج وهل ستكون هناك حرب عربية إسرائيلية أخرى؟ وكيف أن العرب أخطأوا في الماضي بعد قيام دولة فلسطينية على الضفة الغربية وقطاع غزة منذ عام 1949م وليس عام 1994م وكيف أن الصراع كان عربياً قومياً وليس إسلامياً عقائدياً مع مواجهة اليهود وكيف أن القوة الغربية – بريطانيا وأمريكا – حالت دون ذلك وكيف أن الكيان الفلسطيني لا محالة سوف يتصادم عاجلاً أم آجلاً مهما كانت العراقيل والقيود إلي تضعها إسرائيل أمام السلطة الفلسطينية وكيف أن ذلك سيكون عالاً مساعداً لتحرك الدول العربية لمساندة الحق الفلسطيني بعد أن يكون الجانب الغربي الأمريكي قد بات غير عابئ بما يحدث على ارض فلسطين، ومن هنا تكون النهاية.

وخلاصة، فإن إسرائيل لن تدوم مهما طال بها الزمن إلى خمسة قرون (خمسمائة عام).

ثم كانت الخاتمة وهي ما استطعنا التوصل إليه من نتائج علمية تحليلية من خلال فصول هذه الدراسة، لأنها ثمرة المحصول الدراسي الممتد من الفصل الأول إلى نهاية الفصل الثاني، يجدها القارئ مركزة مصفاة في هذه الخاتمة.

موضوعاً يربط الماضي بالحاضر بالمستقبل عن أخطر قضية تواجه العرب في تاريخهم الحديث حيث سلبت قطعة عزيزة هي عين قلب العرب تلك هي فلسطين حيث المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين وفشلت دعوى القومية العربية في مواجهة المخطط الصليبي- الصهيوني فكان على العرب أن يقبلوا بوجود الجسم الغريب سلاماً من منطلق السلاح الذري والقوة العالمية الوحيدة وقائدة للعالم ولكن السلام لا يعني النهاية فالسلام هو البداية على النهاية.

لكن القارئ حين يدرك في أعماق هذه الدراسة أن حتمية الصراع سليماً وعسكرياً لم تكن تدوم فترة طويلة ذلك؛ لأن الحق التاريخي فيصالح القضية العربية منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد عندما خرجت الهجرات العربية من الجزيرة العربية على تلك الأنحاء جنوب الشام حيث أرض فلسطين ثم تنساح جنوباً عبر سيناء إلى مصر وشمالاً على سوريا

ولقد خرجت الهجرات من الكنعانيين والفينيقيين والبابليين والأكاديين والآشوريين الكلدانيين وسبأ ومعين وحمير تسلك طريقها لتكون الفرشة العربية في فلسطين قبل أن نسمع عن هجرات تسمى العبرانيين بآلاف السنين ويكونوا وحدة عربية قديمة شارك فيها إخوة العرب فراعنة مصر وشملت كل هذه المناطق حتى آسيا الصغرى ولاسيما أن القرن الثالث قبل الميلاد قد شهد الهجرة العربية الواسعة على فلسطين 2500 ق.م ثم مع حركة التاريخ القديم ظهرت أحداث سياسية واسعة ضمت مصر مع أقطار الشرق العربي ثم كانت القبيلة العربية بوليستر **(Pulestiu)** حوالي عام 1192 ق.م ، ومن ثم أخذت فلسطين اسمها من هذا الاسم وهنا نستطيع القول أن فلسطين العربية قبل هذا التاريخ كله أخت اسمهما منذ أربعة قرون هكذا فلسطين وهنا نضع الدليل القوي على عروبة فلسطين منذ أقدم الأزمان.

وبعد ذلك تحركنا كثيراً عبر فترات زمنية؛ لأننا لم نقصد أن يكون بحثاً تاريخياً عبر المراحل المختلفة لكن أردنا أن يكون له بعداً سياسياً مستقبلياً ومن ثم كان حديثنا عن الفكر الصهيوني وكيف ظهر على سطح الأحداث منذ القرن السابع عشر محاولاً اغتصاب فلسطين من أهلها الشرعيين بإنشاء وطن قومي لليهود وتحرير اليهود بواسطة اليهود وقد طرحت العرديد من الأفكار بشأن تحيد وطن أو أوطان غير فلسطين لكن كان التصميم على اغتصاب فلسطين، فكانت محادثات سايكس بيكو ثم وعد بيلفور عام 1917م وكيف استغل اليهود تسامح العرب الذين في فلسطين

وفتحت فلسطين للهجرة اليهودية أمام اليهود في ظل حكم الانتداب البريطاني لاسيما أن عدد اليهود كان بسيطاً جداً لا يزيد على ستة آلاف يهودي عام 1914م، لكن الهجرة من مختلف بلاد العالم جعل الغلبة لليهود لاسيما في ظل تحالف أمريكا وبريطانيا وكل أوروبا على العرب فكان قيام إسرائيل في 15 مايو عام 1948م.

ثم كيف وقعت إسرائيل في مأزق تاريخي لاسيما جاء احتلالها لشعب له تاريخ حضاري وثقافي عميق لم يدرك الصهيونيون والصليبيون عمق النضال والقدرة على الرد والتصادم عبر التاريخ ومن هنا فإن الذي أعطوا وعد بلفور وساعدوا على الهجرة بالجملة وأمدوها بالسلاح والعتاد والتقنية العلمية وقعوا في خطأ كبير؛ لأن العرب ليسوا هنود حمر أو زنوج كالأقزام أو البوشمن أو البانتو ولكنهم شعب صانع حضارة وأنهم لن يقبلوا مهما كانت التحديات العالمية بان تسلب أراضيهم ويأتي من يقيم عليها دولة من منطلق القوة أو السيادة .

إن الجذور العربية وقوة البعد الحضاري مهما كانت حالات الاستسلام القادة على تصحيح وصمة العار الإسرائيلية ومهما تكن إسرائيل من قوة علمية واقتصادية وتكنولوجية وامتلاك للسلاح النووي فإن ذلك مهما فعتل الولايات المتحدة فالاتفاقات الأمنية وضمان أمن السلاح وتفوقهم على العرب، فإن ذلك لن يحول عن امتلاك أي من الدول العربية أو الإسلامية للسلاح الذري

لاسيما أن هناك خمسون دولة مرشحة لامتلاك هذا السلاح في خلال عشرون عاماً ولابد أن تكون أي من هذه الدول عربية أو إسلامية وهنا سوف يكون التوازن مع إسرائيل ويستطيع العرب أن يحققوا مطالبهم ولا تستبد إسرائيل بالرأي وفرض الرأي بأن التوازن النووي سوف يكون مقدمة لاقتلاع هذا الداء الخبيث من الجسم العربي.

و لن يكون هذا السلاح ضامناً لبقاء إسرائيل، ثم تأتي بعد ذلك على الدور الأمريكي الذي يقود العالم منفرداً بعد عام 1989م، سقوط الكيان السوفيتي والكتلة الاشتراكية وتمزق هذا الكيان وفرض الإرادة الأمريكية على الشعوب الصغيرة وفرض قضية السلام على الشعوب العربية من منطلق إعادة صياغة المنطقة العربية من جديد فإن ذلك لن يدوم فقوة شرق آسيا الاقتصادية (اليابان – الصين – دول النمور – الهند) قادمة لا محالة وسوف تحقق التوازن في مدر ربع قرن (25) عاماً ووقتها سوف نجد أمريكا نفسها وقد ظهرت قوة تنافسها وتحاول أخذ زمام المبادرة منها ولاسيما أن أمريكا تعاني من مشاكل داخلية كثيرة؛ لأنها شعب خليط من شتى الأجناس ويعاني كساداً اقتصاديا ومشكلة الديون والأقليات والزنوج وغيرها من المشاكل التي تجعلها لا تستطيع أن تولي العناية الكاملة للولاية الإحدى والخمسين (إسرائيل) فإسرائيل مهما كانت تربطها علاقات مع أمريكا وغرب أوروبا

فإن ذلك سوف يكون على المدى البعيد في طريقه إلى التراجع؛ لأن مصالح لأن تكون في قوة إسرائيل وسوف لا يكون الشرق الأوسط بعد نضوب البترول ومصادر الطاقة يشكل محور اهتمام للغرب ولاسيما أمريكا وسوف يكون ذلك عامل مساعد للحركة العربية الموحدة التي سوف يكون القرن الحادي والعشرين قرناً يشهد متغيرات جوهرية في البنية العربية التحتية، حيث التعليم والصحة والثقافة والديمقراطية وتقارب إن لم يكن توحد العالم العربي في أي شكل من أشكال الوحدة؛ وأنه لاسيما بعد أنم ظهرت كيانات قوية (الوحدة الأوروبية) التافتا (أمريكا- كندا – المكسيك – الآسيان في شرق آسيا) فلابد أن تكون السوق العربية المشتركة وليس السوق الشرق أوسطية أو الوحدة الكونفيدرالية العربية أو قيام أبعد كيانات عربية في الوطن العربي لأن توحد 270 مليون أو 200 مليون يشكلون قوى تضعف من الوجود الإسرائيلي مهما كانت العلاقات فإن التعامل العربي قادر على مواجهة التحدي ومن ثم فإن إسرائيل المكونة من جنسيات كثيرة وطوائف غريبة وفكرة خاطئة سوف تجد نفسها في حالة حرجة لاسيما أن إسرائيل تجمع غريب التكوين من شتات الأرض يجمعها الإحساس بالخطر في ظهر قوات عربية على الحدود ولكن في حالة السلام فإن الصراع سوف يكون داخلياً بين الفئات (السافرديم، الأشكناز، واليهود الفلاشا 95% من يهود إسرائيل)

عناصر خزرية من وسط آسيا ثم تفرقوا في شرق أوروبا ولا يشكلون أدنى صلة بيهود التوراة الذين ذابوا في المجتمعات واعتنقوا المسيحية والإسلام ولم يعد لهم أدنى كيان في تشكيلة الخريطة السكانية الإسرائيلية،

وكذلك وجود مليون عربي إسرائيلي يعيشون حالياً داخ إسرائيل فإنهم سوف يزداد تعدادهم وتنمو قوتهم (ثرة خمسين قرية عربية في إسرائيل ضد الاحتلال الإسرائيلي بمناسبة يوم الأرض عام 1986م) بعد مرور عشرة أعوام (راديو لندن مساء 30/ 3/ 1996م) دليل قوي على الدور العربي في إسرائيل الذي سوف يكون له دور فعال في المدى البعيد لاسيما أن هناك ثلاث أحزاب عربية ولها اثنا عشر عضو في الكنيست كل ذلك سوف يكون عامل هدم في بناء إسرائيل داخلياً.

إن الانهيار الخارجي سوف يكون عندما تتعارض المصالح الفلسطينية الإسرائيلية في العديد من الأمور لاسيما مصادر المياه والحدود والمستوطنات ف، ذلك يشكل خطراً لابد أن يحدث من صراع في حرب قادمة؛ لأن عام 1973م لن تكون آخر الحروب لأن الكيانات الإقليمية لابد أن تحدث بينها صراعات وهنا يكون للعالم العربي المحيط بالدولة الفلسطينية دور في إدارة دفة الصراع لأن خسران إسرائيل لمرحلة واحدة سوف تكون نهايتها الأبدية.

وعلى هذا فإن كيان إسرائيل إلى زوال. لاسيما إني تعلمت وأنا صغير في قرية، ونقطة الدم لا تزيلها الأيام والسنين، فكيف لا تتحرك الدماء فغي عروق الأجيال القادمة عل الطريق ليسلوا وصمة عار قيام إسرائيل في القرن العشرين (1948م) لاسيما أن أبناء العروبة في الأيام القادم لن يكونوا مثل جيلنا هذا فلا ولن تدوم إسرائيل مائة عان بل مائتي عام بل خمسمائة عام وهكذا تزول إسرائيل من خريطة العالم العربي والعالم كله مصداقاً لقوله تعالى: وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا [سورة الإسراء: الآية 104]

أي جمعناكم في أرض إسرائيل من بقاع الأرض لتسكنوا هذه الأرض ويكون جمعكم هو النهاية.

إسرائيل رقص على هضاب العجز

الكتاب من القطع المتوسط، وقد صدر هذا الكتاب مؤخراً عن دار الفكر ببيروت للمؤلف "يحي العريضي"، ويضم الكتاب بين دفتيه أربعة أقسام كبيرة تشتمل على الكثير من المقالات ذلك كله في حوالي 464 صفحة .

لم يلق شعب في الدنيا، ما لقيه شعبنا العربي الفلسطيني ظلم، وتآمر واضطهاد، وتجاهل دولي لمأساته وحقوقه! ولم تتعاون قوى البغي وعوالم الاستعمار القديم، التي امتصت دماء وثروات الشعوب. في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية..

كما تعاونت على طمس حقوق أصحاب الأرض في فلسطين...واغتصاب تلك الأرض، وتشريد مئات الآلاف من منازلهم في واحد لم تكن هناك جبهة عربية موحدة، قادرة علة التصدي أقطار عربية وليدة عهد بالاستقلال تحاول بناء نفسها وتأسيس جيوشها وبناء مؤسساتها... وأقطار أخرى في المغرب العربي كانت لا تزال رازحة تحت نير الاستعمار الأجنبي. تحاول مجتمعاتها تلمس الطريق إلى التماسك والتضامن والوعي النضالي القومي.

ولم يتم تزوير حقائق التاريخ، كما تم في فلسطين. حيث تناسى العالم بأجمعه حضارة وتاريخ هذه البقعة من الأرض على مدى آلاف السنين، ومملكاتها المتعاقبة من الأنباط والكلدانيين العرب. والعهد الإسلامي وعهدة عمر. وتجاهلوا أن صراعاً دينياً قام في المنطقة لم يكن يوماً صراعاً عربياً إسلامياً – صليبياً وبقيت الأرض لصحابها العرب. وركز الغرب على فقط على دولة عبرية لم تدم إلا سبعين عاماً خلال تاريخ يمتد إلى خمسة آلاف عام – فالمشروع الصهيوني لم يستهدف فقط الاستيطان في فلسطين لكنه كان وما يزال وسيلة لغرض الهيمنة الإمبريالية، الصهيونية على الوطن العربي..

وما إيجاد إسرائيل في قلب الوطن العربي إلا لجعلها مخلب قط لتحقيق الأطماع الأوروبية والأمريكية في هذه البقعة الإستراتيجية التي تفيض بالخير وتتوضع على بحار من البترول ولمنع أمة العرب من تحقيق أي اتحاد أو وحدة عربية تهدد مصالحهم.

وقد وظفت الحركة الصهيونية والقوى الاستعمارية من "الأسطورة التوراتية" حول "أرض الميعاد" وحولتها من فكرة دينية فردية إلى فكرة سياسية حول حاجة الأمة اليهودية المزعومة إلى وطن. وهذا الوطن ما هو غلا أرض فلسطين الموعودة!!

والأكذوبة الأكبر التي أطلقها الصهاينة هي أرض بلا شعب لشعب بلا وطن، في حين كان شعب فلسطين يملأ الجبال و الوهاد والسهول والسواحل في مدن عريقة، وسهول وبيارات معطاءة يحتضن بين جنباته حوالي 35 من الطائفة اليهودية تقيم في أمن وأمان، في ظل قيم عربية أصيلة، وعدالة إسلامية شاملة.

وقد حاول المؤلف عرض الصراع العربي الإسرائيلي على منحى مختلف عن كل ما كتب عن هذا الصراع، فلم يعمد المؤلف إلى سرد تاريخي لجذور المشكلة، وقد قام بذلك مئات المؤرخين من العرب والأجانب. من بدء ما يسمى بالمشكلة اليهودية إلى وعد بلفور والتمهيد لتحقيقه بالانتداب البريطاني على فلسطين وقيام الوكالة اليهودية تنفيذاً لمقررات مؤتمر بال. إلى قيام هذا الكيان المغتصب، ولم يعمل المؤلف على حشد الحقائق القانونية والوقائع، وتفنيد مزاعم وترهات مزوري التاريخ والحقيقة. فقد صار فذ هذا المجال آلاف المجلدات...

ولكن الذي حاول المؤلف تقديمه للقارئ العربي هو بانوراما متعددة الزوايا، تلقي الضوء على مجريات وحقائق الصراع، وتتعرض إلى بداية تأسيس هذا الكيان الذي قام على أساطير وأكاذيب وحقائق مزورة، وتمويهات مغرقة في العنصرية والتطرف.

فقد أورد المؤلف في هذه البانوراما الإعلامية المتعددة الرؤى والأفكار والاستنتاجات، عجب العجاب. من قلب الحقائق وتزوير الأحداث لغايات أخرى بعيدة المدى، قد تدل عليها تصرفات ومواقف أمريكا وعدد من الدول الأوروبية ويمكن تلخيصها بتصريح للرئيس الأمريكي السابق فورد الذي قال:

" إن إرادة الولايات المتحدة، هي إيقاف أي مد ثوري، أو قومي، لمنع قيام أي نظام، أو تكتل أو تجمع.. تعتبره تهديدا لمصالحها ولأمنها القومي..."

وقد زرع هذا الكيان الغريب في الجسم العربي بهدف منع قيام أي وحدة عربية، أو أي اتحاد بين أقطار الشعب العربي المتواصلة جغرافيا المتكاملة اقتصادياً والموحدة لغة وتاريخاً وثقافةً.

لذا منح هذا الكيان غير الشرعي وغير المؤهل للحياة الطبيعية المال والسلاح من أحدث الطائرات وأضخم القاذفات والصواريخ والأسلحة التقليدية وغير التقليدية. حتى السلاح النووي وإشراكه في معرفة المعلومات الغاية في السرية، ووقف "فيتو" أمريكا في مجلس الأمن لتعطيل أي قرار تمس إسرائيل وتعطيل كل تحرك دولي لمساندة الحق العربي!

ومن الغريب أن أمريكا وأوروبا تمجد بطولات الذين قاوموا النازية وحرروا أوطانهم من الغزاة وتقيم لهم التماثيل وتدرس بطولاتهم في المدارس. إلا في فلسطين، والأقطار العربية، فالمقاوم إرهابي، والمدافع عن أرضه وكرامته ضد الغزاة يجب أن يلاحق ويعاقب.

أما من يقصف القرى والمدن الفلسطينية ويقتل الرحال والنساء والأطفال ويدمر المنازل فهو في حالة دفاع عن النفس حتى ولو كان يدافع بصواريخ دبابة ومروحيات الأباتشي ضد أطفال يحملون الحجارة.

وقد أعطت واشنطون بإدارة بوش الابن الضوء الأخضر لجزار صابرا وشاتيلا المجرم شارون للقضاء على الشعب البطل وإنهاء الانتفاضة وبدأ وما يزال في حرب شرسة مجرمة بطائراته وصواريخه ودباباته يدك المدن والمنازل لم تردعه هزيمة جيشه المذلة في لبنان.

وقد حرص المؤلف في هذا العرض على التقاط الشاردة و والواردة من الإعلام الغربي. على الرغم من انحيازه الواضح للعدو، إلا في حالات نادرة لتوثيق مجريات الأحداث، والغوص في أعمق أعماق ذلك المجتمع الصهيوني الغريب العجيب، الخبيث وكشف تناقضاته.

وقد قسم المؤلف هذا الرصد الإعلامي للصراع الفلسطيني الإسرائيلي أو بالأصح الصراع العربي الإسرائيلي إلى مراحل: في المرحتين الأولى والثانية، تحدث المؤلف عن الأساطير المؤسسة للكيان وأخلاقياته وصراعاته الداخلية. وفي المرحلتين التاليتين رصد المؤلف مقتل "رابين" وما دار حوله. وغرق "بيريز" في وحل لبنان والجازر التي أدت على سقوطه ثم مرحلة "نتنياهو" العنصري، وازدياد التطرف اليميني وفشل ما أسموه بعملية السلام مع الفلسطينيين ومع سورية ولبنان، ومجئ" باراك" ووصول "شارون" إلى السلطة ومن خلال ما تم طرحه أكدنا بالبرهان والحقائق، أن لا حمائم ولا صقور. فلا حزب عمل علماني ولا ليكود توراتي، فكلهم عنصريون فاشيون – عصابة حاقدة طامعة.

فدويلة تعتمد على المالي الأمريكي والحماية الأمريكية وتضم أشتاتاً من البشر، يختلفون لغة وتفكيرا وحضارة، مزروعة في وسط بحر عارم من عب كارهين، لعدوانها. مستندين على حقوقهم إزاء باطلها.. لا تستطيع المراهنة إلى ما لا نهاية على التخاذل العربي. والخلافات العربية. وخنوع بعض الأنظمة للإرادة الأمريكية، كما أن إسرائيل منهما وسعت عدوانها وقتلت ودمرت لا ولن تستطيع إخضاع الشعب الفلسطيني الذي يقاوم ويصمد يجوع ويصمد يتهدم بيته ويصمد يقتل أطفاله

ولا يركع شعب هذا شأنه سوف يغير المعادلة والضوء انبثق من النفق ولسوف يزهو وينتشر إلى أن يعم الأرض العربية كلها، ولن يكون أمام إسرائيل وعرّابتها الولايات المتحدة إلا الانسحاب الصهاينة من الأرض العربية المحتلة، كل الأرض العربية المحتلة والقبول بحل يتفق مع الحق والعدالة.

وقد تناول المؤلف تحت عنوان "إسرائيل والعقدة اللبنانية" أن المسألة اللبنانية تبدو قبيل الانتخابات الإسرائيلية عام 1999م وكأنها تفرض نفسها وبقوة على برامج الحملات الانتخابية، ولكافة الأحزاب..."يهود باراك" زعيم حزب العمل، والمنافس الرئيسي "لبنيامين نتنياهو" وعد بإخراج آخر جندي إسرائيلي من الوحل اللبناني، بعد عام من صعوده إلى سدة الرئاسة...أما نتنياهو فيطلق وعوداً غائمة بالانسحاب، وآريل شارون يدعو إلى تأجيل الانتخابات وتشكيل حكومة وحدة بين العمل والليكود لدراسة طرق الانسحاب من لبنان، وحزب المركز بقيادة "شاحاك" هاجم الاثنين واتهمهما بالتلاعب بمصير وحياة الجنود الإسرائيليين، أما حزب "شاس" الديني، يطرح طريقة مختلفة، بكل ما سماه بالعقدة اللبنانية...والصراع أصبح إسرائيلياً – إسرائيلياً، ولو إلى حين.

أما في نيويورك فالعم سام منع مجلس الأمن الدولي من اتخاذ قرار حاسم لطرد الإسرائيليين من بلدة ارنون ولكن شباب لبنان حررها. ويأمل اللبنانيون وكل العرب أن تكون "أرنون" أنموذجاً لتحرير كامل للجنوب.

فهذا الموقف بغاية الخطورة وله أبعاد ودلالات، تلخص الانحدار القيمي في العلاقات الدولية.

وتحت عنوان "باب بيبي يجلد بيريز" تناول المؤلف ما ذكرته صحافة الغرب والتي تحدثت عن اليهود والسوفيت المهاجرين وعن العرب ومغازلة المرشحين لهم.. بأنهم لا يتكلمون العبرية ولا يأكلون "الكوشير"..ولكنهم سيحددون مصير رئيس وزراء إسرائيل القادم فعددهم ستمائة ألف وسيكونون الصوت الفيصل في الانتخابات. و"بيريز" يتعلم الروسية كي يخاطبهم. ولكن لا تغيب عن ذهن هؤلاء النعوت التي توصف بها نسائهم ومنها عاهرات، و"الهيراالدتربيون، وتحدثت عن لقاء "نتنياهو" بمفكريهم، حيث تقف إحدى نسائهم، وتلوح بكتاب نشر في سويسرا عن الفلسطينيين وأوضاعهم السيئة وتسأله لماذا لم ينشر هذا الكتاب بالعبرية؟

وتحت عنوان " الطريق الضيقة" تناول المؤلف اكتشاف حزب العمل الإسرائيلي تزوير الانتخابات وطلب بإعادة النظر في نتائج الانتخابات، كما تناول المؤلف تحت عنوان " الثكنة" وجود فيض من التعليقات في صحافة الغرب للانتخابات الإسرائيلية ونتائجها، والخط المشترك في كل ذلك نسف إسرائيل لعملية السلام.

والقسم الرابع من الكتاب ضم عدة موضوعات بدأها المؤلف بالحديث عن مرحلة "نتنياهو" والصراع داخل المجتمع العنصري لابتزاز سوريا، وأحلام "نتنياهو" ، وهناك ثلاث وجهات نظر حسب توصيف الإعلام الغربي والتي تدور حول "نتنياهو":

أولاها: أنه غير كفء على الإطلاق، وأن قوى سياسية معادية للسلام أوصلته إلى السلطة.

ثانيهما: أنه أيديولوجي خطير، عمل بشكل خبيث على تأزيم عملية السلام.

ثالثهما: أنه سياسي برغماتي، يود أن يعيد 75% من الضفة الغربية.

فتعليق وسائل الإعلام يتحرك جيئة وذهابا بين هذه الصور الثلاث.، وعن سياسته في إسرائيل فقد وُصف أنه يستغل وضع الخوف والهلع، الذي صنعه وأججه بين الإسرائيليين لتجنب اتخاذ قرارات تفصح عن حقيقته... أما إلى أين يريد قيادة الإسرائيليين فلا أحد يعرف...

وقد وصفه نم عرفوه عن قرب، بالرجل غير المفهوم إطلاقاً وقالوا عنه: إنه رجل إسرائيل الخرق.. أما "ليا رابين" فوصفته بالكاذب والقاتل والمخادع.

الأسطورة والإسرائيليات

وجدت الأسطورة وعاشت منذ المراحل الأولى للعقلية البدائية التي اختلطت فيها الحقيقة بالخيال، بحيث يصعب على أي باحث التمييز بين حدود الواقع وحدود الخيال، خاصة في تلك المرحلة الأولى من حياة البشرية التي كانت الأسطورة فيها جزءاً من طقوس العبادة. وفي المراحل الأولى لفجر التاريخ اختلطت الحقيقة بالخيال عند سرد الأحداث أو تسجيلها،

ومن ثم تداخلت الخوارق والمعجزات فيها، وأصبح البطل التاريخي-حينذاك- مزيجاً من الإله والإنسان،وقد تجتمع فيه قدرات خارقة لناموس الطبيعة، يتعدى بها قوانينها أو يغيرها أو يوجهها في خدمة أهدافه، مثل بعض أبطال السير الشعبية.

وعن الأسطورة والإسرائيليات في الأدب العربي صدر حديثا كتاب يحمل عنوان هذا المقال من تأليف الدكتور / لطفي حسين سليمعن سلسلة الدراسات الشعبية التي تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر،برياسة تحرير الروائي الكبير خيري شلبي وقد جاء الكتاب في 147 صفحة من القطع الصغير، وقد قسمه المؤلف إلى أربعة فصول تناول فيها الأسطورة كأصل إلى التمييز بينها وبين العلم ، ثم طبق ذلك على ما تعرض له من أبحاث في التراث العربي القديم.

وقد تعرض المؤلف في مدخل الكتاب إلى أشهر رواة الأساطير والإسرائيليات العربية مثل وهب بن منبه ذلك التابعي الشهير الذي ولد في آخر خلافة عثمان بن عفان ثم تولى منصب القضاء في عهد عمر بن عبد العزيز وكان من أكثر مؤلفي العصر الأموي تصنيفاً، وقد تميز كمؤرخ عن مدرسة المدينة، وكان إخباري صاحب قصص، وعلى معرفة وثيقة بمأثور أهل الكتاب، وإليه ترجع معارفه حول خلق العالم،وتاريخ الأنبياء وبني إسرائيل .

و من رواة الأساطير والإسرائيليات أيضاً عبيد بن شريه الجرهمي وهو من اليهود الذين أسلموا، وكان موطنهم الأصلي اليمن، وقد عاصر عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، ثم معاوية بن أبي سفيان الذي استدعاه من الرقة حيث كان يقضي بقية عمره المعمر مع عائلته ليكون سميراً لمعاوية ، ولعبيد كتاب" أخبار عبيد بن شريه الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها" ويعتبر هذا الكتاب ملحمة من أجمل الملاحم العربية النثرية التي تتناول تاريخ العرب الحنوبيين، يعلب فيها الخيال دوراً كبيراً، ويحليها الشعر والقطع النثرية الأرجوانية، والقصص الإسرائيلية المأخوذة من التوراة وأخبار الإسرائليين.

وثالث رواة الأساطير والإسرائيليات هو كعب الأحبار وهو كعب بن مانع الحميري، كان يهودياً ، عالماً بكتبهم، حتى كان يقال له كعب الأحبار أسلم في خلافة عمر بن الخطاب ،وسكن المدينة، وفي عهد عثمان بن عفان تحول إلى الشام وسكنها إلى أن مات بحمص ، وقد كان عنده علم بكتب أهل الكتاب، والثقافة اليهودية، كما كان له حظ من الثقافة الإسلامية ورواية الأحاديث، قال عنه معاوية :" إنه كان من أصدق هؤلاء الذين يحدثونه عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب". وقد دفع ما كان ينقله كعب من أساطير وإسرائيليات عن أهل الكتاب ؛

دفع كثيراً من الرواة إلى الظن في صدقه أو الثقة في رواياته. فقال ابن عباس (بدل من قبله فوقع في الكذب) وقال الحافظ ابن كثير عنه (. . ولكن الشأن في صحفه أنها من الإسرائيليات التي غالبها مبدل ، مصحف الحرف، مختلق).

في الفصل الأول تناول المؤلف "الأسطورة في الأدب العربي" من خلال الأسطورة في النثر الجاهلي ، حيث تبلورت عبادة الجاهليين في الأصنام والأوثان وغيرها، وقد ارتبطت هذه الأصنام والأوثان بأساطير ذات أصول مروية، منها ما يرتبط بالإنسان كنائلة وإيساف، ومنها ما يرتبط بالحيوان كالغزال الذي عبدته بعض القبائل في مرحلة سحيقة من الجاهلية الأولى، ولم يتبق من هذه العبادات إلا بقايا أساطير تداولتها بعض القبائل.

ويبدو أن الفكر الجاهلي مر بمرحلة من النضج أشارت إليها تلك الأساطير الرمزية التي تروي للحكمة والموعظة في أمثالهم المدونة مثل أسطورة نائلة وإيساف التي تروي أن نائلة وإيساف ارتكبا الفاحشة في الحرم فمسخا حجران ووضعا عند الكعبة يتعظ بهما الناس، فلما طال مكثهما، وعبدت الأصنام، عبدا معها.

ويأخذ المؤلف كتاب الأغاني مثالاً للكتب التي ملئت بالأساطير مثل خبر عن جذيمة الأبرشي ورقاش وعمرو بن عدي والزباد حيث يقول الأصفهاني إن جذيمة الأبرشي - وأصله من الأزد- "كان أول من ملك قضاعة بالحيرة، وأول من جذا النعال، وأدلج من الملوك،ورفع له الشمع، قال يوماً لجلسائه: ذكر لي عن غلام من لخم مقيم في أخواله من إياد له ظرف ولب فلو بعثت إليه ليكون في ندمائي،

ووليته كأسي والقيام بمجلسي كان الرأي ". ووقع الاختيار على عدي الذي عشقته رقاشي ابنة مالك أخت جذيمة فلم تزل تراسله حتى اتصل بينهما. وتحايلت رقاشي وعدي فسقيا جذيمة الخمر وأقنعاه بزواجهما فلما استرد وعيه قتل عدياً بعد أن حملت رقاشي منه، وولدت له عمراً ولما شب وصار غلاماً جميلاً أحبه خاله جذيمة، وقرب من قلبه وحل منه بكل مكان. . ثم إن الجن استطارته، فلم يزل جذيمة يرسل في الآفاق في طلبه فلم يسمع له بخبر، فكف عنه".وشاع اعتقاد – تفسيراً لاختفاء عمرو- أن الجن أخفته، ولكي يؤكد الرواة في الأغاني على هذا الاعتقاد نسجوا بقية القصة الأسطورية برواية رجلين يطمعان في منادمة الملك أحدهما يسمى عقيلاً والآخر مالكاً ، إذ أنهما سافرا ومعهما هدية للملك، فنزلا على ماء، ومعهما قينة يقال لها أم عمرو فنصبت قدراً وأصلحت طعاماً، فبينما هما يأكلان إذا أقبل رجل أشعث أغبر قد طالت أظافره، وساءت حاله، حتى جلس مزمجر الكلب فمد يده فناولته شيئاً فأكله، ثم مد يده ، فقالت: إن يعط العبد كراعاً يبتغ ذراعاً، فأرسلها مثلاً.

ويفاجأ الرجلين والقينة بأن ذلك الأشعث الأغبر ما هو إلا عمرو بن عدي الذي عجز الملك عن العثور عليه ودارت الروايات على أنه نزيل الجن وأنه كان مختفياً عندهم، وقد دلل الرواة على هذا الاعتقاد بمظهر عمرو حين وجوده.

وقام الرجلان " فلثماه وغسلا رأسه، وقلما أظافره وقصرا من لمته، ألبساه من طرائف ثيابهما" ويلتئم شمل الملك وأخته بعمرو بن عدي، ويجعل جذيمة الرجلين نديميه بقية عمرهما، وضربت الشعراء بهما الأمثال.

وفي الفصل الثاني "الأسطورة والإسرائليات في التراث الديني" تناول المؤلف مجموعة من الأساطير والإسرائيليات في التراث الديني وخاصة قصص الأنبياء، وقد أخذ المؤلف نموذجين للإتجاه الأسطوري الذي سيطر على الفكر العربي في بعض مراحله وانتقل إلى كثير من المؤلفات ، وهما كتاب تفسير القرطبي وكتاب قصص الأنبياء للثعالبي. فمنذ أن اتصلت العقلية العربية –في العصرين الأموي ثم العباسي- بشعوب أخرى غير عربية كالفرس واليونان وغيرهم ازدهرت حركة الترجمة والتجميع، وعرف عن العرب أخبارهم وأيامهم، والتصقت بها ما رواه وهب بن منبه وكعب الأحبار ، وغيرهما من رواة الأساطير. وكان نتاج ذلك تسرب موجات من المبالغات تجاوزت حد المعقول في أخبار العربن وقصصهم وتاريخهم وعرفت بالإسرائيليات المليئة بالأساطير.

ومن الأشياء المروية في كتاب الثعالبي ، ما روته الرواة بألفاظ مختلفة معان متفقة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق زبرجدة خضراء أضعاف طباق السموات والأرض ، ثم نظر إليها نظرة هيبة فصارت ماء، ثم نظر إلى الماء فغلى وارتفع منه زبد ودخان وبخار، وأرعد من خشية الله،

فمن ذلك اليوم يرعد إلى يوم القيامة، وخلق الله من ذلك الدخان السماء، فذلك قوله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة البقرة: الآية 29]

أي قصد وعمد إلى خلق السماء وهي بخار، وخلق من ذلك الزبد الأرض.

ويصف الثعالبي طبقات الأرض السبعة دونما استشهاد بآية كريمةأو حديث شريف تؤيد ما أورده من أوصاف طبقاتها، ومثال ذلك ما قاله عن الأرض الخامسة ، ففيها" حيات لكل منها ثمانية عشر ألف ناب، كل ناب منها ثلثمائة وستون فقار، في كل فقار ثلثمائة وستون فرقاً من السم، كل فرق منها ثلثمائة قلة ولو وضعت قلة منه على الأرض لمات أهل الدنيا من نتنه وفيها أيضاً حيات لكل منها ثمانية عشر ألف ناب، كل ناب منها كالنحلة الطويلة وفي أصل كل ناب ثمانية عشر ألف قلة من السم لو أمر الله حية أن تضرب بناب من أنيابها أعظم جبل في الأرض لهدته حتى يعود رميماً، وأنها لتلقى الكافر فتسمه فتقطع مفاصله".

تسللت أساطير كثيرة إلى قصص الأنبياء روى وهب بن منبه بعضها وكعب الأحبار وغيرهما، ويستشهد الثعالبي بآيات قرآنية على ما يرويه هؤلاء حتى ولو لم تتطابق هذه الآيات مع ما يروى. ومن ذلك كيفية خلق آدم وبداية تكوينه وكمال خلقه، إذ بعد أن اكتمل خلق آدم جسداً بلا روح " أراد الله أن ينفخ في آدم الروح، وأمرها أن تدخل فيه، فقالت الروح مدخل بعيد القعر، مظلم المدخل،

فقال للروح ثانية، فقالت مثل ذلك، وكذلك ثالثة، إلى أن قال في الرابعة ادخلي كرهاً واخرجي كرهاً. فلما أمرها الله بذلك دخلت فيه، فأول ما نفخ فيه الروح دخلت من دماغه، فاستدارت فيه مقدار مائتي عام، ثم نزلت في عينيه، ثم نزلت في خياشيمه، فعطس، فحين فرغ من عطاسه نزلت الروح إلى فيه ولسانه، فلقنه الله أن قال الحمد لله رب العالمين، فكان ذلك أول ما جرى على لسانه، فأجابه ربه فقال يرحمك ربك يا آدم، للرحمة خلقتك. قال تعالى : سبقت رحمتي غضبي. ثم نزلت الروح إلى صدره فأخذ يعالج القيام فلم يمكنه، وذلك قوله تعالى وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا [سورة الإسراء: الآية 11] وقوله تعالى خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ [سورة الأنبياء: الآية 37]. . إلخ. ولكي تكتمل الصورة التي تخيلها الرواة فصلوا وبالغوا في تصويرهم لمراسم تكريم آدم عليه السلام بعد خلقه، وتحريك الروح له. . ألبسه الله من لباس الجنة" ثم رفعه على سرير وحمله على أكتاف الملائكة، وقال لهم " طوفوا به في سمواتي ليرى عجائبها وما فيها فيزداد يقيناً، فقالت الملائكة: لبيك ربنا سمعنا وأطعنا فحملته الملائكة على أعناقها، وطافت به السموات مقدار مائة عام حتى وقف على كل شيء معه، ومن آياتها وعجائبها، ثم خلق الله فرسان المسك الأذفر يقال له الميمون له جناحان من الدر والجواهر، فركبه آدم عليه الصلاة والسلام وجبريل آخذ لجامه، وميكائيل عن يمينه، وإسرافيل عن شماله، فطافوا به السموات كلها.

وقد تعرض المؤلف لكتاب تفسير الطبري ، وعن المبالغة في الأعداد وتقديرها يقول تعرض وهب بن منبه لتقدير عدد العالمين عند تفسير قوله

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [سورة الفاتحة: الآية 2]

فقال ". . إن الله عز وجل ثمانية عشر ألف عالم، الدنيا عالم منها" وقال مقاتل " العالمون ثمانون ألف عالم، أربعون ألف عالم في البر، وأربعون ألف عالم في البحر" وفي سلسلة من أسانيد الرواة تنتهي بأبي العالية ، يورد ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [سورة الفاتحة: الآية 2]" الأنس عالم، والجن عالم، وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم- هو يشك- الملائكة على الأرض، وللأرض أربع زوايا، في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم، وخمسمائة عالم خلقهم الله لعبادته".

ومن التفسير الأسطوري للظواهر الطبيعية التي أثبت العلم الحديث الدوافع الحقيقية وراءها كالبرق والرعد والمطر وغيرها، ففي رواية منسوبة للترمذي وابن عباس تقول : سألت اليهود النبي ه عن الرعد ما هو ، قال : ملك من الملائكة بيده مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله"

وفي الفصل الثالث تناول المؤلف " التاريخ بين الحقيقة والخيال" فقد اشتهرت بعض الكتب التراثية بتناولها للأحداث التاريخية وشخصياتها البارزة منذ الخليقة إلى بداية ظهور الإسلام، وإذا دققنا النظر والبحث في هذه الكتب التراثية سيروعنا هذا الخلط والامتزاج بين الحقائق التاريخية والخرافات، وتسرب الخيال الشعبي إليها في سرد بعض الأحداث فمالت إلى الأساطير والمبالغات اللامعقولة.

و من هنا أصبح من الصعب إيجاد وسيلة لترجيح ما هو تاريخي يقيناً على ما هو خرافي. فإذا أضفنا إلى ما سبق صعوبة الوصول والإحاطة بأنواع الكتابة التاريخية فيما قبل الإسلام، وإلى ذلك أشار حسين نصار بقوله: وإذا أجهدنا أنفسنا باحثين عن أي نوع من الكتابة التاريخية في العصر الجاهلي لم نكد نظفر بشيء حتى البلدان المتحضرة التي كنا نظن أنها تحرص على تسجيل حياتها ورقيها مثل اليمن والحيرة، وغسان لم يصل إلينا منها كتب تاريخية أيضاً، وكان تاريخهما نسياً منسياً لدى العرب من سكانها أو غير سكانها، ولذلك دخلت عليهم الأباطيل والخرافات عندما أرادوا الكتابة عنها بعد ظهور الإسلام، وحلق بهم الخيال في الأجواء حتى ما تستطيع أن تركن إلى حقيقة ما يقولون على الرغم من النقوش الموجودة حتى اليوم على الآثار الباقية في اليمن وشمال بلاد الحجاز وجنوب الشام، مما يدل على جهل المؤرخين العرب بالخط الحميري والخطوط الأخرى في بلاد العرب القديمة، والشيء الوحيد الذي نسمع عنه هو تلك المدونات التاريخية المودعة في أديرة الحيرة وكنائسها، والتي أطلع عليها الكلبي فيما بعد وإن كنا لا نعرف عنها شيئاً فيما عدا ذلك.

نقول – والكلام للمؤلف- إذا أضفنا إلى ما سبق صعوبة الوصول والإحاطة بأنواع الكتابة التاريخية فيما قبل الإسلام نتيجة قلة المكتشف من آثار الأمم البائدة وما ذكرته الكتب السماوية عنها كقوم عاد وثمود وطسم وجديس فإننا لن نعدم التوصل إلى ملامح تاريخية نستشفها من خلال كتب التراث المليئة بالخيال الشعبي.

وفي الفصل الرابع والأخير " الجغرافيون والإسرائيليات وتصوراتهم الأسطورية" تناول المؤلف بعضاً من علماء العرب الجغرافيين الذين اعتمد منهجهم على النقل والتسجيل في مبالغات ملموسة مثل سراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي صاحب كتاب (خريدة العجائب وفريدة الغرائب) وما ورد فيه من معالم كثيرة عن بلدان العالم شرقاً وغرباً، وما أورده من عجائب وغرائب المحيطات والبحار والجزر والآبار والجبال وغيرها.

و من علماء العرب الجغرافيين أيضاً الإمام زكريا بن محمد بن محمود القزويني وكتابه (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات). ولا نستطيع – والكلام للمؤلف- أن نلم بكل ما جاء به ابن الوردي والقزويني من هذه العجائب والغرائب التي تكشف عن الجوانب الأسطورية فيها،وقد ركز المؤلف على بعضها كنماذج يتحقق بها هدف الكتابين منها.

ومن الأمثلة التي جاء بها المؤلف ما تصوره الرواة القدماء والجغرافيون لكيفية ثبات الأرض واستقرارها، وما اعتقدوه في ذلك من أساطير تؤيد ما قاله بعض الجغرافيين القدماء،فقد روي:" أن الله تعالى لما خلق الأرض كانت تتكفأ كما تتكفأ السفينة فبعث الله ملكاً فهبط حتى دخل تحت الأرض فوضعها على كاهله ثم أخرج يديه، إحداهما بالمشرق، والأخرى بالمغرب، ثم قبض على الأرضين الشبع فضبطهما فاستقرت، ولم يكن لقدوم الملك قرار،

فأهبط الله ثوراً من الجنة له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة فجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تصل قدماه إلى سنامه، فبعث الله تعالى ياقوتة خضراء من الجنة غلظها مسيرة كذا ألف عام فوضعها على سنام الثور ، فاستقرت عليها قدما الملك وقرون الثور خارجة من أقطار الأرض، ممتدة إلى العرش ومنخر الثور في ثقبين من تلك الياقوتة الخضراء تحت البحر، فيهو يتنفس كل يوم نفسين وإذا تنفس مد البحر، وإذا رد النفس جزر البحر، ولم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله كثيباً من رمل كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت عليه قوائم الثور، ثم لم يكن الكثيب مستقراً فخلق الله حوتاً يقال له (البهموت) فوضع الكثيب على وبر الحوت، والوبر الجناح الذي يكون في وسط ظهره، وذلك الحوت مذموم بسلسلة من القدرة كغلظ السموات والأرض مرارا".

وفي النهاية يوضح المؤلف بعد أن استعرض نماذج أخرى من القصص الأسطورية هدفه من هذا البحث ، وهو تقديم الكنوز التراثية القديمة من خلال ما في بطون الكتب القديمة من أساطير وإسرائيليات كانت تفسيراً منحرفاً لحقائق علمية في الثقافة الإسلامية ثم محاولة من المؤلف للاعتراف أن هذا التراث كان مرحلة فكرية لزمن قديم نأخذه على أنه متعة ذهنية للمطلعين عليه، والمتلقين له دون إيمان به حتى لا يطغى الخيال على مفاهيمنا فينحرف بنا السبيل. ونحن من خلال هذا المقال نرفع راية التحذير وننبه الكتاب والخطباء الشبان إلى أهمية مراجعة ما ينقلونه عن كتب التراث حتى لا يقعوا في براثن الإسرائيليات .

الكتاب من القطع المتوسط وقد جاء في 213 صفحة مشتملاً على ستة فصول بخلاف المقدمة والخاتمة، ومؤلف هذا الكتاب هو الدكتور أحمد سوسة، وقد صدر هذا الكتاب مؤخراً عن دار الأمل في إربد بالأردن.

يعد كتاب التلمود عند اليهود جزءاً من أحكام الديانة اليهودية والتلمود معناه التعاليم أو الشرح أو التفسير، وهو مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلها الأحبار اليهود شرحاً وتفسيراً للتوراة أو استنباطاً عن أصولها، وأصل كلمة تلمود من العبرية "لاماد" أي (يعلم). وقسم التلمود إلى قسمين، "المشنة" وهي النص أو المتن و "الجمارا" وهي التفسير أو الشرح، والتلمود هو الاسم الجامع (للمشنة) والجمارا معاً. والمشنة عبارة عن مجموعة من تقاليد اليهود المختلفة في شتى نواحي الحياة اليهودية مع بعض الآيات من كتاب التوراة. أما (الجمارا) فهي مجموعة من المناظرات والتعاليم والتفاسير التي وضعت في المدارس العالية بعد الانتهاء من وضع المشنة. ويزعم اليهود بأن هذه التقاليد والتعاليم شفاهية ألقاها النبي موسى عليه السلام على شعبه أعطاها حين كان على الجبل ثم تداولها هارون وأليعازر ويشوع وسلموها للأنبياء، ثم انتقلت عن الأنبياء إلى أعضاء المجمع الأعلى، وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد المسيح عليه السلام، ويعتبر أكثر اليهود التلمود كتاباً منزلاً ويضعونه في منزلة التوراة على طور سيناء مدونة، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاهاً.

وهناك تلمودان يعرف أولهما بالتلمود الفلسطيني ويسميه اليهود الأورشليمي، ويعرف الثاني بالتلمود البابلي. ولكل من هذين التلمودين طابعه الخاص وهو طابع البلد الذي وضع فيه، وفي التلمود تأكيد لمبدأ الاستعلاء والتفوق العنصري اليهودي على بقية شعوب الأرض جعل الناس عبيداً لليهود على اعتبار أنهم الشعب المختار وأن الله اصطفاهم دون سواهم من شعوب الأرض، كما تتجسم فيه انعزالية الشعب اليهودي وحقه في جميع خيرات الأرض التي وهبها له إلهه الخاص دون الآخرين من الناس.

وأساس المباحث في التلمود قائم على ستة أبواب هي:

الفلاحة.

الأعياد والمواسم.

النساء وما يتعلق بهن من زواج وطلاق وحضانة ونذور وإرث ووصية.

النواهي والعقوبات.

الذبائح وما يتعلق بالتقدمات والقرابين ومراسيم الهيكل في ذلك.

الطهارة.

وقد ظهر بعد إنجاز كتابة التلمود عدد من الأحبار اليهود، وهؤلاء تأثروا بالآراء الشرقية ودين الفرس وزرادشت، فخرجوا بمجموعة باطنية من الحكم تتعلق بأسرار الكون وبالإله والكائنات كانت في مراحلها الأولى تدعى الحكمة المستورة وصارت تعرف عند اليهود بـ"القبالة"، بمعنى القبول أو تلقي الرواية الشفوية، أما المنابع الرئيسية التي استقت القبالة، وتناول المؤلف عقيدة المسيح المنتظر لدى اليهود.

فيرى البعض أن فكرة المسيح المنتظر برزت في الفكر اليهودي في وقت متأخر ولم تظهر إلا بعد سقوط دويلة اليهود وأسرهم في بابل ثم خضوعهم إلى الفرس، وهذا ما دفع كثيرين من الباحثين إلى الاعتقاد بأن فكرة المنقذ المخلص مستعار من الزرادشتية، وبقيت فكرة مجئ المسيح المنظر مسيطرة على العقل اليهودي وكانت تشتد كلما وقعت حركة اضطهاد ضد اليهود.

وقد تناول المؤلف في الفصل الثاني اللغة العبرية وصلتها باليهودية، أن أكثر الذين كتبوا في تاريخ اليهود من أفرنج وعرب قد اعتادوا على استخدام كلمة عبري على اليهودي، والحقيقة غير ذلك.

وأورد المؤلف في الفصل الثالث رؤية عدد من الباحثين أن اليهودية في جزيرة العربية قد انتشرت بطريق هجرة بعض اليهود من فلسطين إلى الجزيرة العربية في الفترة الواقعة بين خراب الهيكل في 70 للميلاد وإخراج (هدريان) لليهود من فلسطين عام 132م، وبعضهم يقول إن اليهود هاجروا إلى الجزيرة العربية منذ عهد النبي موسى عليه السلام، أي منذ القرن الثلث عشر قبل الميلاد فيروي أهل الأخبار أن النبي موسى عليه السلام أرسل جيشاً إلى الحجاز لمقاتلة العملقة فاستقر ذلك الجيش في يثرب بعد فتكه بالعماليق، وما ورد ذكره أيضاً أن داوود هاجر مع سبط يهودا إلى خيبر وتملك هناك ثم عاد إلى إسرائيل.

و ما هذه الأقوال وأمثالها إلا قصصاً كان يروجها اليهود في جزيرة العرب لإثبات وشائج القربى بين العرب واليهود وترغيب عرب الجزيرة في الأخذ باليهودية، فقد ظهرت اليهودية والمسيحية في الجزيرة العربية في ظروف متشابهة وسط علام يدين بالوثنية، والاثنتان انتشرتا في العالم عن طريق التبشير وخاصة اعتناق رؤساء مجتمعات تلك العصور، وأحسن مثال نورده في هذا الباب اعتناق الإمبراطور "قسطنطين" المسيحية والثاني أجبر شعبه على اعتناق اليهودية، وقد تم ذلك في زمن متقارب تقريباً بحيث قد يصح اعتبار وقوع الحدثين في عصر واحد. وبنفس هذه الطريقة انتشرت اليهودية في الخزر وفي شرقي أوروبا ثم المسيحية في كل العالم.

وقد ذهب أغلب المستشرقين استناداً إلى دراسة أسماء يهود الحجاز عند ظهور الإسلام، إلى أن أولئك اليهود لم يكونوا يهود حقاً، بل كانوا عرباً متهودين تهودوا بتأثير الدعاة اليهود. ويرى "أوليري" احتمال كون بني قينقاع من أصل عربي متهود أو من "بني أدوم".

كما ينكر "اليعقوبي" وجود طوائف أصلية يهودية أي يهود هاجروا من فلسطين في الجزيرة العربية قبل الإسلام، فيؤكد أن القبائل اليهودية هناك كانت من أصل عربي، ويرى بعض المؤرخين أن اليهود الذين عاشوا في الجزيرة العربية كانوا في معزل وانفصال عن بقية أبناء دينهم منعزلين عنهم انعزالاً تاما، لذلك لم يرد عن يهود جزيرة العرب شئ في أخبار المؤلفين اليهود.

ومن يهود الجزيرة العربية يهود خيبر الذين اشتهروا بين سائر اليهود في الحجاز بشجاعتهم، وأقدم إشارة كتابية ورد فيها اسم خيبر هي تلك التي عثر عليها في (حران اللجاة) ترجع إلى سنة 568م للميلاد. ولم يقتصر وجود القبائل العربية المتهودة على الحجاز بل وجدت في اليمن. وقد وجدت أيضاً في الحيرة وكان لها بعض الشأن فيها.

أما عن صلة يهود الجزيرة بفلسطين فيَذكر أن البطون المتهودة التي لم تكن لها عهود خاصة مع الرسول ﷺ لما أجليت من جزيرة لم يعرف أن أحداً من هؤلاء نزح إلى فلسطين ليكونوا بالقرب من هيكل سليمان مندفعين بالحماسة الدينية،

فيقول الدكتور جواد على في كتابه "تاريخ العرب قبل الإسلام" (16:161) ما نصه:" يلاحظ أن اليهود فضلوا الذهاب إلى أذرعات وإلى أماكن أخرى على الذهاب إلى القدس أو طبرية أو قيصرية أو غيرها من بلاد فلسطين، مما يدل على أنهم لم يكونوا يفكرون قط في الإقامة في تلك الأماكن، وأن قلوبهم لم تكن متعلقة بمواطنهم هذه التي كانوا يقيمون بها بالحجاز، وأن اليهود كانوا يفضلون السكنى في المواطن التي نشأوا فيها على الذهاب إلى فلسطين".

وهذا كله لا يلتئم أو يتفق مع ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن يهود الجزيرة قد جاءوا من فلسطين إثر إجلائهم منها في عهد الرومان وذلك بغية تأكيد صلة القربى بين العرب واليهود، الصلة التي انفردت بذكرها التوراة ثم أيدها التلمود. لأن ذلك لا ينسجم مع سنة الطبيعة، فالهجرة لا تتم من البيئة المتمدنة المستقرة إلى البيئة الصحراوية مثل جزيرة العرب، بل والعكس هو الصحيحة والطبيعي. وللمستشرق " وينكلر" رأي في هذا الموضوع خلاصته إن أولئك اليهود لو كانوا يهود حقاً هاجروا من فلسطين إلى الجزيرة العربية لكان حالتهم وأوضاعهم ومستواهم الاجتماعي على خلاف ما كان عليه يهود الجزيرة العربية. إذ كانت حالة يهود فلسطين أرقى وأرفع من الحالة التي كان عليها هؤلاء اليهود، فلا يعقل، على رأيه، بلوغ جماعة إلى ذلك المستوى الاجتماعي الذي كان عليه يهود جزيرة العرب

لو كانوا من بلاد مستواها الثقافي المدني أرقى من مستوى من هو دونهم كثيراً في شئون الحياة. ومستوى الحياة في جميع نواحيها في فلسطين، أرقى وأرفع من مستواها في الأماكن التي وجد فيها اليهود من بلاد العرب، فهم على رأيه عرب متهودون لا يهود مهاجرون.

ويرى المؤلف أن الملجأ الطبيعي الذي كان يمكن ليهود فلسطين أن يلجأوا إليه بعد اضطهاد الرومان لهم هو العراق وليس الجزيرة العربية، إذ كان وآنئذ عدد كبير من اليهود المسبيين في منطقة بابل حيث كانوا يتمتعون بحكم آنئذ وأصبح الكثير منهم أصحاب ثراء ونفوذ، وكان هؤلاء والفرس على وفاق ووئام ضد الرومان في أكثر الأحوال باعتبار الرومان عدوا مشتركاً.

أما عن ظهور الديانة اليهودية في بلاد اليمن وجعلها لتبان أسعد في القرن الخامس الميلادي دين البلاد كان نتيجة لنضال عنيف وقع بين اليهودية والنصرانية تمكنت فيه الأولى من أن تتغلب على الأخرى، ومع أن هذا الفريق يعترف ما للعامل الديني من أثر ظاهر في النضال المذكور، ولكنه يرجح أن الباعث الأصلي إنما هو سياسي قبل كل شئ.

وتناول المؤلف في الفصل الرابع يهود العالم وصلتهم بفلسطين أن اليهودية كدين لم تكن في البداية مقتصرة على قوم موسى فقد انتشر الدين اليهودي بين مختلف الأمم والأجناس، وهذه الأمم اعتنقت الدين اليهودي وهي تعيش في ديارها وأوطانها تتكلم بلغاتها وتمارس عاداتها وتقاليدها التي نشأت في بيئتها، إذ بدأ التبشير بالدين اليهودي منذ تكوين الديانة اليهودية بعد كتابة التوراة، واستمر حتى العصور الوسطى عندما أغلق باب التبشيرية به في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي. فقد قضى اليهود أكثر من عشرين قرناً يعملون بجد ونشاط لنشر ديانتهم بين شعوب وأمم لا تمت إلى قوم موسى بصلة وليست لهم علاقة بفلسطين أو سكان فلسطين وحدهم.

وتناول المؤلف يهود الخزر، فهم أكبر الكتل المتهودة وهم من الأتراك المغول ووطنهم في بلاد الخزر (بحر قزوين)، وقد اعتنق أهلها أكثر الدين اليهودي في العصور الوسطى بعد اعتناق أميرهم اليهودية.

ويرى المؤلف أن كلمة يهودي وإن كانت مقتبسة من يهوذا إلا أنها أصبحت تطلق على كل شخص انتسب إلى الديانة اليهودية وأخذها كدين له، لأن اليهود في مختلف أنحاء العالم هم ن سلالات وأجناس مختلفة، ولا تجمعهم أي رابطة جنسية وراثية أو وشيجة لغة أو ثقافة بل تجمعهم العقيدة الدينية وحدها وهذا كله يسخف الادعاءات الصهيونية ومفاهيمها بأن اليهود يكونون شعباً واحداً من عرق واحد وقومية واحدة

فقد ورد في الكتاب الذي نشره المجلس الأمريكي لليهودية بعنوان " اليهودية دين لا قومية"؛ إن الشعب اليهودي، بالمعنى السياسي والطائفي، ليس له وجود وإنما يرمز بعبارة "الشعب اليهودي وشعب إسرائيل" إلى الناحية الروحانية.

ومن الجدير بالذكر أن اللغة العبرية التي يحاول الصهيونيون اليوم جعلها لغة رسمية باعتبارها لغتهم القومية لم تكن في أي زمن من عصور التاريخ لغة قومية يتخاطب بها اليهود فيما بينهم فالعبرية كانت لغة الأحبار الذين كتبوا بها التوراة في وقت متأخر، وهي مقتبسة من الآرامية وحروفها مقتبسة من الأبجدية الكنعانية القديمة. وقد كانت اللغة الكنعانية لغة سكان فلسطين الأصليين أولى اللغات التي اقتبسها اليهود بعد أن حلو في فلسطين على عهد موسى ؛وعهد الملوك، ثم اقتبسوا الآرامية وصاروا يتكلمون بها، ثم اقتبسوا اللغة الألمانية القديمة (اليديش) وهي لغة الأشكانزيين التي جاءوا بها إلى فلسطين، والسفارديون الذين جاء بلغة اللادينو الأسبانية.

ويتضح مما أورده المؤلف من أدلة في الفصل الخامس على زعم هجرة اليهود من فلسطين إلى جزيرة العرب، وأن القبائل العربية في الجزيرة العربية التي تهودت اعتنقت اليهودية عن طريق التبشير وليس عن مجئ يهود فلسطين إليها. أما القول بأن يهود فلسطين نزحو إلى الجزيرة العربية في أعقاب إجلاء الرومان لهم فليس له أي نصيب من الصحةولا يستند إلى دليل يدعمه، وذلك استناداً إلى الحقائق الثابتة التالية:

أولا: فنحن نعلم أن الإجلاء حدث في سنة 70 للميلاد في زمن "تيطوس" حيث قضى على اليهود في فلسطين بصورة نهائية ولم يعد لهم أي كيان فيها طوال العصور التالية، ونعلم أيضاً أنه كان لليهود في العراق في زمن الفرس نفوذ كبير في بابل وكانت لهم فيها مدن رئيسية كبرى تكاد تكون يهودية بحته، فيرى المؤلف أن الملجأ الطبيعي الذي كان بإمكان اليهود في فلسطين في ضوء ما تقدم أن يلجأوا إليه بعد إجلاء الرومان لهم هو العراق وليس الجزيرة العربية، إذ كان في العراق آنذاك عدد كبير من بقايا اليهود المسبيين في منطقة بابل عدا يهود إمارة (حدياب) في كردساتان فقد كانوا يتمتعون بحكم ذاتي وأصبح الكثير منهم أصحاب ثروة ونفوذ، وكان هؤلاء والفرس على وفاق تام بسبب كون عدوهم واحد وهو الروم.

ثانياُ: أن يهود فلسطين لما أجلاهم الرومان كانوا يتكلمون اللغة الآرامية وكذلك يهود بابل وكردستان بعد سبيهم في زمن الآشوريين والكلدانيين يتكلمون الآرامية ، فهل من المعقول أن يهاجر اليهود إلى الجزيرة العربية التي كان المتهودون بها يتكلمون العربية.

ثالثاً: ويهود الجزيرة العربية كانوا منعزلين تماماً عن يهود فلسطين شأنهم فغي ذلك شأن القبائل العربية في الجزيرة العربية.

ر ابعاً: والبطون العربية والمتهودة لما أجليت عن جزيرة العرب في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ا ، لم يعرف أن أحداً منهم نزح إلى فلسطين ليكون بالقرب من هيكل سليمان مندفعين بالحماس الديني.

خامساً: أن البطون العربية المتهودة في الجزيرة لما أجليت من جزيرة العرب في عهد الخليفة عمر بن الخطاب لم تكن تؤمن بالتلمود ذلك ما جعلهم يشعرون أنهم اقرب إلى السكان العرب الذين لجأوا إليهم منهم إلى يهود التلمود، لذلك نجد أكثرهم أخذوا بالإسلام ليتساووا مع إخوانهم العرب.

من هذا نجد أن ادعاء اليهود بأن تاريخهم يبدأ في هجرتهم من العراق مع إبراهيم الخليل عليه السلام في الألف الرابعة قبل الميلاد ادعاء مزيف لا يستند إلى أي سند تاريخي ولا أساس له من الصحة ، كما أن ادعاءاتهم بأن يهود فلسطين مرتبطون عنصرياً باليهود العرب في جزيرة العرب ولأنهم نزحوا إلى جزيرة العرب في أعقاب إجلائهم من فلسطين في عهد الرومان لربط صلتهم بالعرب ليس له أي نصيب من الصحة أيضاً.

الأصولية اليهودية في إسرائيل

تأليف : إسرائيل شاحال * نورتون متسفينسكس

ترجمة : ناصر عفيفي

أخذت مؤسسة روز اليوسف (مصر) على عاتقها بمشروع نشر مؤلفات من يسمون "بحركة المؤرخين الجدد" في إسرائيل ، وهي حركة أماطت اللثام عن الكثير من الأساطير اليهودية على مر التاريخ وحتى يومنا هذا ، بالإضافة إلى فضحها لعورات العنصرية الصهيونية، وتبرر مؤسسة روز اليوسف نشرها لهذه المؤلفات ،

كون المؤلفين يهوداً أو إسرائيليين استطاعوا أن يحكموا ضمائرهم ولو للحظات ، ويضعوا أيديهم على مثالب الصهيونية التي نشأت عنصرية وستظل كذلك.

ولأن الأصولية الإسلامية كانت دائماً مرادفة للإرهاب العربي فإنها تحصل على نصيب وافر من كراهية العالم غير الإسلامي. ولأن الأصولية المسيحية مصحوبة دائماً بالجهل والخرافة وعدم التسامح والتمييز العنصري فقد أصبحت هدفاً لبغض الصفوة الثقافية والحضارية في الولايات المتحدة، وأدت الزيادة الكبيرة في أعداد معتنقيها مؤخراً، إلى جانب اتساع نفوذها السياسي، إلى تحول الأصولية المسيحية إلى خطر حقيقي على الديمقراطية في الولايات المتحدة. وعلى الرغم من احتوائها على كل السمات العلمية الاجتماعية للأصولية الإسلامية والمسيحية، على وجه التقريب ، فإن الأصولية اليهودية مجهولة خارج إسرائيل وقطاعات معينة من بعض الأماكن الأخرى. وحينما يتم العلم بها، فإن أهميتها يتم التقليل منها إلى أدنى حد أو تقتصر على الممارسات الدينية السرية والزي اليهودي التقليدي الأوربي، وذلك – غالباً – من خلال المعلقين غير الإسرائيليين الذين يرون الشرور الكامنة في أبناء عمومتها الأصولية الإسلامية والأصولية المسيحية.

نتيجة لما سبق ، ظهر هذا الكتاب الذي يتناول الأصولية اليهودية في إسرائيل ، لاثنين من الدارسين للمجتمع المعاصر ويهوديين في ذات الوقت ، أحدهما إسرائيلي والآخر أمريكي. وقد قامت مؤسسة روزاليوسف بنشر هذا الكتاب لما رأت ما يمثله من أهمية الكشف عن أبعاد الأصولية اليهودية، وقد جاء الكتاب في 262 صفحة من القطع المتوسط، وهو يشتمل على بعض البحوث الأصيلة ولكنه يعتمد إلى حد بعيد على بحوث الآخرين، وقد أورد المؤلفان في هذا الكتاب الكثير من الاقتباسات الوفيرة المأخوذة من مقالات جادة نشرت في الصحيفة الإسرائيلية الناطقة بالعبرية .

وقد قاما باقتباس وشرح نصوص مأخوذة من التلمود (على الرغم من أن هناك تلمودين، أحدهما فلسطيني والآخر بابلي ، فإن كلمة تلمود دون تحديد تشير إلى التلمود البابلي، الذي يعتبر أكثر النصوص قداسة لدى اليهود الأرثوذكس) – كما أشار إلى ذلك المؤلفان- وهذه النصوص قد استخدمت وما زالت تستخدم في السياسة الإسرائيلية ويستشهد بها غالباً في الصحافة الإسرائيلية الناطقة بالعبرية.

ويقول المؤلفان تبريراً لتأليف مثل هذا الكتاب الذي يهاجم الأصولية اليهودية في إسرائيل ويميط اللثام عنها "إن هذا الكتاب هو رحلة للفهم – غالباً مؤلمة وموحشة وتبعث على القلق-

بالنسبة لنا كيهود يعلقون الكثير على اليهودية. ومن كل قولبنا وعقولنا نرغب في أن يقوم اليهود إلى جانب الشعوب الأخرى بالكفاح من أجل تحقيق القيم العليا، حتى لو قصرنا عن بلوغها،

ونحن نرى أن هذه القيم تقع من الحضارة الغربية موقع القلب، ويعمل في سبيلها كل العالم المتحضر. إننا نؤمن – والكلام لا يزال على لسان المؤلفين- بأن هذه القيم لا تقف في طريق السلام بأي شكل من الأشكال. وإساءة استخدام هذه القيم باسم الأصولية اليهودية تقف عقبة على طريق السلام وأمام تنمية الديمقراطية الإسرائيلية وحتى على طريق التحضر، مما يسيء إلينا كيهود وكبشر. ومن أجل التعرف على والحد من – وليس التخلص النهائي- من هذه الإساءة، كتبنا هذا الكتاب وشرعنا في هذه الرحلة . . على أمل أن نصل بقرائنا إلى شاطئ الفهم ونحن معهم"

وقد استشهد الكتاب بتحقيقات حالية وسابقة لباحثين إسرائيليين يؤكدون أن اليهود قبل قرون من ظهور الدولة القومية المعاصرة، من خلال اعتقادهم بأنهم يعملون تبعاً لكلمة الرب واستعداداً للجنة الأبدية، قاموا بمعاقبة أو قتل المهرطقين ومرتكبي الآثام. فالأصولية اليهودية المعاصرة محاولة للعودة إلى المجتمع الذي كان موجوداً قبل ظهور الحياة المعاصرة.

ومن أجل فهم الأصولية اليهودية يجب التعرف على الحقب التاريخية التي يؤمن الأصوليون بأنها يجب أن تعود. ومن أجل القيام بذلك ، يحدد الكتاب الفترات المختلفة للتاريخ اليهودي ، فيقسم التاريخ اليهودي عادة إلى أربع فترات رئيسية. الأولى هي الفترة البابلية والتي خلالها كتب معظم الكتاب المقدس اليهودي (العهد القديم حسب التعبير المسيحي) وعلى الرغم من أن بداية هذه الفترة غير معروفة، فإنها استمرت حتى القرن الخامس قبل الميلاد على وجه التقريب.

واليهودية، على الأقل من حيث خصائصها الجوهرية – كما يقول الكتاب- لم تكن موجودة في تلك الفترة الزمنية. والكلمة العبرية "يهوديم"(أي اليهود في عبرية ما بعد الكتاب المقدس) وما يقابلها في الكتاب المقدس اليهودي تشير إلى سكان مملكة يهودا الصغيرة، وتستخدم لتمييز هؤلاء السكان عن كل الشعوب الأخرى الذين يطلق عليهم الإسرائيليون أو "أبناء إسرائيل" أو نادراً " العبرانيون" وعلى كل حال فإن الكتاب المقدس ليس هو الكتاب الذي يحدد بشكل أساسي ممارسات ومذاهب اليهود الأرثوذكس. واليهود الأرثوذكس الأكثر تشدداً يجهلون إلى حد بعيد أجزاء كبيرة من الكتاب المقدس ويلمون ببعض أجزائه فقط من خلال التفسيرات التي تشوه المعنى. بإيجاز لم تكن اليهودية ، كما نعرفها الآن ، موجودة خلال حقبة الكتاب المقدس.

الحقبة الثانية في التاريخ اليهودي، والتي تسمى عادة حقبة الهيكل الثاني، بدأت في القرن الخامس قبل الميلاد واستمرت حتى تدمير الهيكل الثاني بواسطة الرومان في عام 70 بعد الميلاد، وكانت هذه هي الفترة الرسمية لليهود بكل خصائصها اللاحقة. ومصطلح "يهود" الذي يشير إلى الشعب الذي يتبع الديانة اليهودية، وكلمة يهودا التي تشير إلى الأرض التي يعيش فيها اليهود. ظهرا في تلك الحقبة.

وأهم خاصيتين يهوديتين جديدتين تبلورتا في هذه الفترة هما انغلاق المجتمع اليهودي والانفصال اللاحق لليهود عن كل الأمم الأخرى. ولأول مرة يشار إلى أفراد الأمم الأخرى باسم الأغيار (غير اليهود وهو لفظ توراتي) . والخاصية الجديدة الثانية كانت قائمة على افتراض أن اليهود يجب أن يتبعوا شريعة الكتاب المقدس، التي تمثل التفسير الحقيقي للشريعة.

يرجع معظم المؤرخين بداية الحقبة الثالثة إلى عام 70 بعد الميلاد مع تدمير الهيكل الثاني. وهناك مؤرخون آخرون يفضلون إرجاع بداية الفترة الثالثة إلى عام 135 بعد الميلاد، حينما انتهى آخر التمردات اليهودية الكبرى ضد الإمبراطورية الرومانية. وانتهت هذه الحقبة في أزمنة مختلفة في دول مختلفة بظهور المعاصرة ونشوء دول قومية حديثة.

ولقد بدأت المعاصرة حينما منح اليهود حقوقهم كمواطنين على نحو مساو لتلك الممنوحة لغير اليهود، وحينما انتهى استقلالهم الذي كان ينطوي على الخضوع للحاخامات . ومن منظور الأصولية اليهودية ، كانت أهم مكتسبات الحقبة الثالثة هي تنامي التصوف اليهودي، والذي يشار إليه عادة باسم القبالة، وأدى التصوف اليهودي إلى إحداث تحول في المعتقدات اليهودية دون المساس بالشعائر الدينية باستثناء بعض التفاصيل القليلة.

وفيما بين عامي 1550و 1750 اعتنقت الغالبية العظمى من اليهود في غرب أوروبا القبالة وكل المعتقدات المتصلة به، وكان ذلك يمثل نهاية الحقبة الثالثة من التاريخ اليهودي التي سبقت ظهور الدول القومية المعاصرة وبداية التأثيرات الحديثة. ولا يزال التصوف معتنقاً بواسطة الأصولية اليهودية ويشكل جانباً حيوياً من معتقداتها وخاصة بالنسبة لأنصار الاتجاه المسياني (هو الاتجاه الذي يبشر بظهور المسيح أو المخلص اليهودي وقيام مملكة اليهود ويسمى أيضاً المسيحاني) .

والأصوليين اليهود يشيرون دائماً ويصفون الجزء الأخير من هذه الحقبة الثالثة على أنه العصر الذهبي الذي يرغبون في نفخ روح الحياة فيه. ومن الملاحظ الانتشار الواسع للكتابات الدينية في تلك المرحلة الثالثة مما أدى إلى خلق شعور قوي بالوحدة اليهودية، بناء على الديانة المشتركة واللغة العبرية (فكل اليهود المتعلمين، بصرف النظر عن اللغة التي كانوا يتحدثونها، استوعبوا واستخدموا العبرية كلغة مكتوبة لديانتهم).

الحقبة الرابعة والمعاصرة هي تلك التي نعيش فيها ، وقد بدأت أزمنة مختلفة في بلدان مختلفة ، حيث انتقل الكثير من اليهود الإسرائيليين، من عصور ما قبل المعاصرة إلى الأزمنة المعاصرة. ويؤكد الكتاب على أن الأصولية اليهودية نشأت كرد فعل لتأثير المعاصرة على اليهود، ويمكن فهم تأثير الأصولية اليهودية على المجتمع اليهودي الإسرائيلي فقط من خلال سياق المسار الكلي للتاريخ اليهودي.

وعن موضوع الأصولية اليهودية داخل المجتمع اليهودي يحدثنا الكتاب بأن كل يهودي متوسط الثقافة ، على وجه التقريب، يعرف الحقائق الواردة بهذا الكتاب عن المجتمع اليهودي الإسرائيلي. ومع ذلك، فإن هذه الحقائق غير معروفة لمعظم اليهود وغير اليهود خارج إسرائيل الذينلا يعرفون العبرية وبذلك لا يستطيعون قراءة معظم ما يكتبه اليهود الإسرائيليون عن أنفسهم بالعبرية.

والأصولية اليهودية تعرف على نحو موجز على أنها الإيمان بأن الأرثوذكسية اليهودية، القائمة على التلمود البابلي وبقية الكتابات التلمودية ومجمل الشريعة اليهودية (الهالاخاه) ما زالت صالحة وسوف تظل كذلك أبداً. ويؤمن الأصوليون اليهود بأن الكتاب المقدس نفسه لا يعتد به ما لم يفسر على النحو الصحيح من خلال كتابات التلمود. ولا توجد الأصولية اليهودية في إسرائيل فقط، ولكن في كل بلد به مجتمع يهودي كبير العدد، وفي بلاد أخرى غير إسرائيل،

حيث يشكل اليهود أقلية صغيرة بالنسبة لمجمل السكان، فإن الأهمية العامة للأصولية اليهودية تكون مقتصرة بشكل رئيسي على حشد الدعم المالي والسياسي للأصوليين في إسرائيل. أما أهميتها في إسرائيل فإنها أكبر إلى حد بعيد لأن معتنقيها يستطيعون التأثير في الدولة بطرق عديدة ويفعلون.

وتنوع الأصولية اليهودية يثير الدهشة – كما يذكر الكتاب – فالكثير من الأصوليين ، على سبيل المثال ، يرغبون في إعادة بناء الهيكل على "جبل الهيكل" في القدس أو يريدون على الأقل الحفاظ على موقعه، الذي هو الآن مصلى للمسلمين، خالياً من الزائرين، وفي الولايات المتحدة لا يوافق معظم المسيحيين على ذلك، ولكن عدداً كبيراً من اليهود الإسرائيليين داخل إسرائيل والذي لا يعتبرون من الأصوليين يتفقون على ذلك، ويؤيدون هذا المطلب، ومطالب مشابهة، وبعض أنواع الأصولية اليهودية تمثل خطراً يفوق الأنواع الأخرى إلى حد كبير.

والأصولية اليهودية ليست قادرة على التأثير فقط في السياسات الإسرائيلية التقليدية ولكنها قادرة أيضاً على التأثير على السياسات الإسرائيلية النووية.ونفس عواقب الأصولية التي يخشاها الكثير من الأشخاص في بلدان أخرى يمكن أن تحدث في إسرائيل.

وينتقل الكتاب بنا إلى "صعود نجم الحريديم في إسرائيل" فعلى الرغم من اتساعها المستمر منذ أوائل السبعينيات، جذبت الأصولية الدينية اليهودية في إسرائيل القليل من الاهتمام في أوساط المجتمع الإسرائيلي حتى عام 1988، فأعضاء الطوائف الحريدية (هي فرقة دينية يهودية متطرفة وتعني الكلمة بالعبرية " المتشددين") المتنوعة المجتمعون في مناطق معينة معزولة في المدن الإسرائيلية، أفنوا حياتهم في الاهتمام والانشغال بأشياء بدت لمن هم خارج هذه التجمعات، على أحسن الأحوال، غريبة. وعلى الرغم من اصطدام بعض أعضاء هذه الطوائف بسبب بعض القضايا التي تحتوي على جانب علماني من جوانب المجتمع الإسرائيلي والتي اكتسبت في ذلك الوقت بعض الاهتمام الشعبي، فإنها كانت في الغالب يتم تجاهلها. وقد أدى النجاح السياسي الحريدي المدوي في الانتخابات البرلمانية لعام 1988 والذي لم يتوقعه أحد من خبراء استطلاع الرأي إلى إدهاش الكثير من الأشخاص. وبسبب نجاحاتهم السياسية المستمرة بعد الانتخابات وخلال التسعينيات، تبوأ الحريديم مكانة مكنتهم من فرض أنفسهم على الغالبية العلمانية الإسرائيلية.

ولم تؤد النجاحات السياسية الحريدية فقط إلى جعل الكثير من اليهود الإسرائيليين ينظرون للحريديم عن قرب وعلى نحو أكثر اهتماماً، ولكنها أدت أيضاً إلى لفت الانتباه إليهم بدرجة أكبر في الخارج،

وخاصة في الولايات المتحدة، وأدى الاهتمام المتزايد بهم في الولايات المتحدة إلى تشجيع كتابة ونشر الكثير من الكتب الجديدة والمقالات الصادرة بالإنجليزية، التي ركزت على الجوانب الفلكلورية للحريديم ولكنها ولسوء الحظ أغفلت أيديولوجيتهم الجوهرية ونظرتهم إلى العالم.إن الدراسة الموجزة للخلفية التاريخية يمكن أن تقدم لنا قاعد لفهم الفروق بين المجموعتين الحريديتين الأساستين : الأشكناز ، والشرقيين التي كان يطلق عليها في السابق السفارديم، هذا ما يتناوله الكتاب في موضوعه التالي.

وخلال الجانب الأعظم ممن تاريخهما، كان يعيش اليهود متناثرين في بلاد مختلفة ولا عجب أن ظهرت مجتمعات يهودية منفصلة، مؤلفة من مقيمين يهود في بلد واحد أو مجموعة من بلدان مختلفة أو في بعض الأحيان من أجزاء مختلفة من بلد واحد وبحلول عام 1050 ميلادية ، كان هناك مجتمع خاص على هيئة مركز يهودي، تم الاعتراف به كسلطة لها قوانينها الخاصة وتصدر تعليمات ملزمة لكل اليهود في جميع أنحاء العالم. وآخر مركز من هذا النوع كان يتمثل في المجتمع اليهودي بالعراق. وبعد انهيار المركز الأخير في العراق، أصبحت الفروق بين المجتمعات اليهودية أكثر عمقاً، والمجتمعات المختلفة،

على سبيل المثال، على الرغم من مواظبتها واستخدامها بعض الصلوات القديمة الشائعة لدى كل اليهود، ألفت صلوات جديدة تستخدم فقط من خلالها. وحتى ترتيل الصلوات في المجتمعات المختلفة دخل عليه التغيير، كما أن القواعد الدينية للسلوك في كل مجالات الحياة، والتي يلتزم بها اليهود الأتقياء، تغيرت أيضاً إلى حد ما واختلفت من مجتمع لآخر.

أصبح المجتمع الأشكنازي الذي نشأ في شمال فرنسا وغرب ألمانيا فيما بين القرنين العاشر والثاني عشر أكثر حداثة وبدأ في الانحراف عن الأنماط الراسخة السابقة أكثر من أي مجتمع آخر مع بعض الاستثناءات في مجتمعات صغيرة في بلاد بعيدة مثل جورجيا. وأصبحت الانحرافات الأشكنازية أكثر تجسداً وأكثر رسوخاً.

وقام اليهود السفارديم من ناحية أخرى، في القرن الثاني عشر بتكوين مجتمعهم المغلق الخاص بهم، والذي اعتمد على اعتبار أنهم متفوقون على اليهود الآخرين من جوانب عديدة، فاليهود الأسبان والبرتغاليون الذين يمثلون جزءاً من اليهود السفارديم ، كانوا يتيهون فخراً باعتبارهم " ذوي سلالة نقية" (وكلمة سفاردي بالعبرية معناها أسباني).

ويمثل الانشقاق والصراع داخل صفوف الحريديم التحول الديني لليهود الشرقيين. ولمدة ما يزيد على عقدين من الزمان تم تأسيس الكثير من الجماعات الشرقية العلمانية،

والتي فشلت في الحصول على مساندة السكان الذين زعمت أنها تمثلهم، ونتيجة لذلك انهارت على نحو شائن. ويمكن إرجاع هذا الفشل إلى رفضها التام إدارك أن المجتمعات اليهودية الشرقية تعرف نفسها عبر مصطلحات دينية. ومن المتوقع – كما يقول الكتاب – في المستقبل القريب أن يظل حزب شاس الحريدي الحزب السياسي الشرقي الوحيد في إسرائيل.

ويستمر الكتاب في إلقاء الضوء بقوة على الأصولية اليهودية فتناول جماعة جوش أمونيم المتشددة وسياسة الاستيطان وطبيعة مستوطنات جوش أمونيم الأقرب إلى القواعد العسكرية ثم يعرج على الأهمية الحقيقية لباروخ جولدشتاين ذلك اليهودي المتشدد الذي ارتكب مذبحة الرحم الإبراهيمي بالخليل في 25 فبراير 1994والذي يمثل الأصولية اليهودية في أبشع صورها، وكذلك تناول الخلفية التاريخية لمقتل رابين. وبعد ، فهو كتاب يكشف الكثير من الحقائق عن الأصولية اليهودية المجهولة.

الخديعة الكبرى

هل اليهود – حقاً – شعب الله المختار؟

يلقي هذا الكتاب الضوء على التاريخ اليهودي قبل الميلاد، وما هو المقصود من تلك الصبغة الصهيونية التي تسترت باسم الدين وراحت تدعي لأصحابها خصائص تخالف الأديان السماوية جميعاً، كما ورد في هذا الكتاب وصفاً لليهود الذين زوروا التوراة ورد ذكرهم في الإنجيل والقرآن،

كما تجدون أوصافاً أطلقها مفكرون أوروبيون وأمريكيون، و يتضح فيها من العداء الذي يكنه الصهاينة للسيد "المسيح " – ؛- والمسيحيين، وللنبي العربي "محمد "ﻫ وللمسلمين. وتبدو أسباب تلك العداوة واضحة، وهي بمنزلة تمهيد لقرار الصهاينة إنشاء دولة عالمية يعد أصحابها أنفسهم شعب الله المختار، لذلك لا يتوانون عن نشر البغضاء وإبقاء الحروب في العالم للقضاء على المسيحية والإسلام معاً.

والكتاب من القطع الصغير و يشتمل على عدة مباحث وملحقين في نهاية الكتاب الأول عبارة عن حوار أجرته وكالة الأنباء الإيرانية (ارنا) مع مؤلف هذا الكتاب الدكتور محمد جمال طحان بعنوان القدس والانتفاضة والملحق الثاني قصيدة بعنوان مرثية المدن النائمة في 230 صفحة.

ويوجه المؤلف في مقدمة الكتاب ثلاث دعوات للشرفاء: دعوة إلى محبة الأعداء بما يكفي لردعهم عما يفعلون، ودعوة إلى الجنون إمعاناً في مقاطعة كل أشكال التفاوض مع الغاصب المحتل وداعميه(لأن المؤلف يرى أن ما يحدث الآن في أي مكان، لم يعد يحتمل السياسية التي تعتمد على العقل والعقلانية، فإذا كان العقل والعقلانية لم يعودا مجددين، ألا يحق لنا أن نمارس الجنون ، ودعوة إلى اتخاذ القرار الحازم والمبدئي في المؤتمرات الإسلامية، ومؤتمرات القمم العربية.

وقد تناول المؤلف في الفصل الأول تعريف لليهود ولكلمة إسرائيل، والكذبة الكبرى وفرية شعب الله المختار، فاليهود يزعمون كذباً أنهم شعب الله المختار، والمفهوم السائد لدى اليهود عن شعب الله المختار، هو مفهوم سياسي محض ابتكره الحاخامات لحض اليهود على السعي الدءوب للسيطرة على العالم، ويعتبر هذا الشعار أساس الديانة الحاخامية التلمودية، ويأخذ اليهود بتعاليم التلمود كدستور لهم في الحياة. ويزعم اليهود أنهم شعب الله المختار الذي لا خطئ وأن كل أعمالهم التي يقومون بها ضد البشرية التي يسمونها" الجوييم" (أي الحيوانات) ليوقعوهم في الخطيئة هي واجب مفروض عليهم لغمرهم بالخطيئة وإبقائهم فيها لأنهم لا يمكنهم التوبة ولا يمكن أن يكونوا مختارين لأن اليهود هم وحدهم شعب الله المختار، وذكر المؤلف وصفاً لليهود كما ورد في التوراة، وكذلك وصف اليهود في الإنجيل فقد ورد في إنجيل متى " إن اليهود يكلفون البشر أعباءاً ثقيلة تعجز عن حملها أكتافهم الهزيلة، ولا يحركون إصبعاً واحداً من أصابع أيديهم. الويل لكم أيها المراءون المنافقون...." وفي عهد بابا الفاتيكان اتفق على التطبيع مع إسرائيل، وانتقد د/ محمد عمارة تصريحات بابا الفاتيكان، واصفاً إياها بأنها تهويد للمسيحية، وأن عملية تهويد واسعة النطاق تتم ضد المسيحية، وكذلك فرأي البابا شنودة أن تتخذ الكنائس المسيحية موقفاً موحداً ومضاد لعملية التهويد والتي تتم بشكل مكثف للمسيحية، فهي تستطيع الوقوف أما الهجمات اليهودية.

كما تناول المؤلف فكرة تدويل القدس والتي تعني تنازل العرب عنها، ولا تحمل هذه الفكرة غير هذا المعنى، ويمكن أن تكون فكرة تدويل القدس خطوة أولى لحكم اليهود لها حكماً تاماً بعد تنازل العرب عنها، حتى إذا قيل إن التدويل سيكون من ناحية الإشراف الديني وليس الحكم السياسي، فإن ذلك في الأحوال كلها، يعني ضياع القدس ضياعاً كاملاً.

ويرى المؤلف أن الكيان الصهيوني المصطنع لا يمثل للمسيحيين أي معنى ديني ولا يوحي للفكر المسيحي بأي رمز روحي، وإنما هو كيان أقيم لأسباب سياسية وأهداف غربية استراتيجية، وكان من الممكن أن يقوم في جنوب أفريقيا كما فكر مؤسسوه في بداية الأمر.

وقد وصف القرآن الكريم اليهود وذكر رذائلهم وقبائحهم، ومن بين ما حكاه عنهم، قتلهم الأنبياء والرسل بغير الحق، ومجاهرتهم بالعداوة لملائكة الله الكرام، وخاصة أمين الوحي جبريل ؛، وبين الله – تعالى- في أكثر من موضع - سوء أدبهم مع الله ووصفهم له - سبحانه - بما لا يليق به من صفات، وبما هو منزه عنه سبحانه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، قال تعالى: يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22) [سورة المائدة: الآية21-22]

فالحوار القصير السابق بين موسى واليهود، يبين لنا هذه الحقيقة الثابتة. فبعد أن نجاهم الله تعالى من فرعون وجنده، أوحى الله إلى موسى وأمره أن يرسل قومه إلى الأرض المقدسة، فوجدوا فيها قوماً من العمالقة الجبارين قد استحوذوا عليها وتملكوها، فأمرهم موسى عليه السلام بالدخول إليها وبقتال أعدائهم، وبشرهم بالنصر، ولكنها أخلاق اليهود فقد خافوا وعصوا، فهم ليسوا أهل حرب ومواجهة، مباشرة، بل أهل مكر وخداع ودهاء ولكن إن كان لابد من المواجهة والقتال

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ [سورة المائدة: الآية 24] ، فلا يريد اليهود أرض الميعاد أو ملكاً أو أن يعيشوا أحراراً، فإن يخرج منها الجبارون فهم على استعداد لدخولها في سهولة ويسر، وأورد المؤلف الكثير من الآيات التي تصف اليهود وتبين صفاتهم المرذولة مع الحق – جل وعلا – ومع غيرهم منة سائر البشر.

وتطرق المؤلف إلى تفسير كلمة "الجيتو" وأنه تستخدم بشكل خاص إلى إحياء اليهود في أوروبا، وقد أُقيم أول حي يهودي يطلق عليه كلمة ا"الجيتو" في البندقية عام 1516م، وكلمة " الجيتو" غير معروف على وجه الدقة ، فيقال: إن أصلها هو حي اليهود في البندقية الذي نسب إلى "الجيتو"؛ أو "مصنع المدافع" الذي أقيم بجواره.

ويقال: إن الكلمة مشتقة من الكلمة الألمانية "جهكتر" التي تعنى مكاناً محاطاً بالسور، أو عن الكلمة العبرية "جت" بمعنى الانفصال أو الطلاق الواردة في التلمود. ولعل أكثر التفسيرات قرباً من الواقع هو ذلك الذي يعود بالكلمة إلى كلمة "بورجيتو" الإيطالية التي تعني قسماً صغيراً من المدينة؛ أي أن الكلمة "جيتو" و"بورجوازية" مشتقان من كلمة "بورج" أي مدينة.

وقد عاش يهود أوروبا في القرون الوسطى، في ظل قانون استثنائي، عرف باسم " قانون الأجانب"، وهو قانون جعلهم متقوقعين في أحيائهم الضيقة المعروفة باسمك" الجيتو"، حيث كانوا منعزلين فكرياً واقتصادياً عن المجتمعات الأوروبية التي تحيط بهم، وكانوا يمارسون في أحيائهم طقوسهم الغريبة، وكأنهم وحدة اجتماعية مستقلة. لقد استمرت هذه الحالة طوال قرون، حتى اندلاع الثورة الفرنسية عام 1789م، التي رفعت شعارات المساواة والعدالة والحرية"، وغيرها من المبادئ التي هزت العالم حينذاك، وقد تأثر اليهود بهذه المبادئ ، فطالبوا بتحطيم نظام الأحياء اليهودية الذي اشتهر باسم الجيتو، فتم لهم ما أرادوا. بينما بقي يهود أوروبا الشرقية يراوحون في جمودهم، ولم يتم تحررهم إلا في العقد الثاني من القرن العشرين.

كما وصف اليهود أنفسهم، ومن هؤلاء "آرثر شوبنهاور" يقول:" لا وطن لليهودي إلا في وجوده مع الآخرين من بني جنسه، فمهما بلغ الصراع بينهم أوجه من أجل المسكن أو من أجل المعبد إلا أنهم يظلون متماسكين متضامنين أمام الغريب لا يسمحون له بالتغلغل بينهم".

ومجلة "جيرالد ووترد": يمثل (الفاريزون) طائفة المرائين والمنافقين من اليهود، وهم منظمة سرية مشؤومة تهدف إلى محاربة الله وهدم القوانين السماوية والأنظمة الأخلاقية؛ فضمن برنامج هذه المنظمة خرجت وثيقتان؛ هامتان؛ عرفت الأولى باسم "الكابالا"، والثانية باسم" التلمود"، ويحكم كتاب "الكابالا" الحياة الروحية لليهود، بينما ينظم "التلمود" جوانب حياتهم المادية. ويصف "كارل ماركس" أسس اليهودية بأنها عاطفة جشعة لا تشبع للحصول على أكبر المنافع، وتتلخص عبادة اليهود بالاغتصاب والسطو على أموال الناس، وإن رب اليهود الحقيقي هو المال.

ويقول"تيودور هرتزل" نحن اليهود حينما ننحدر نصبح طبقة "بروليتارية" ثورية وضباطاً ملحقين في كل حزب ثوري لتخريبه من الداخل، وحينما نرتفع نستخدم قوتنا الرهيبة في البورصة والمضاربة لتخريب اقتصاد الدول من جذورها".

وتتضح المبادئ اليهودية أيضاً من خلال ما ورد "بمجلة العهد اليهودي" أنه على كل يهودي أن يعلم بأن منظمة أبناء العهد تتحرك بديناميكية كاملة منذ تأسيسها منذ مائة عام وحتى الآن، وبما تم رصده لها من الخبرات والتجارب، فكل عملية تهدف لخدمة مصالح يهود العالم المختلفة، سواء كان الأمر متعلقاً بمذبحة حصلت لهم في بلد ما، أو بإعصار سياسي ألم بهم في بلد من البلدان، أو بكارثة طبيعية أصابتهم في أحد البلدان الاستوائية ولحماية ضحايا اليهود المتضررين من جراء عداء غير اليهود، أو لحماية حقوق اليهود الفكرية والثقافية، وبكلمة أخرى إنها منظمة أسست لدعم اليهود مالياً وبشرياً وسياسياً وعلى جميع المستويات العالمية. وقد ذكر المؤلف آراء الكثير من كبار اليهود أنفسهم التي تؤكد المبادئ الفاسدة والشريرة ضد غيرهم من سائر البر دون استثناء.

كما ورد بالكتاب وصف الأوروبيين لليهود للكاتب الفرنسي" صموئيل ميكائيل"، و"نابليون بونابرت" فيقول:" لا يمكن لأي إنسان أن يعمل على تحسين صفات اليهود مهما بذل من جهد، ولا يمكن إقناعهم بالحجج والبراهين، وتوجب علينا أن نسن لهم قوانين تخصهم وتنحصر فيهم، فمنذ عهد موسى – عليه السلام – كان اليهود طغاة ظالمين أو مرابين حاقدين. فموهبة اليهود وذكاءهم يتركزان على أعمال النهب والسلب والاحتيال،

وهم يعتقدون حسب تعاليم التلمود أن ربهم يبارك سرقاتهم وجرائمهم وخطاياهم، فيجب علينا أن نحظر على اليهود التعامل بالتجارة وأعمال صياغة الذهب لأنهم يشكلون أحط صنف بشري في هذا المجال.

ونمثل لوصف الأمريكيين لليهود بمقولة "جورج واشنطن" :" إن اليهود يعملون ضدنا بسلاح أمضى من سلاح جيوش الأعداء، إنهم أكثر خطراً من هذه الجيوش مائة مرة على حريتنا وعلى قضيتنا الكبرى التي ندافع عنها جميعاً، ومن المؤسف جداً أن ولايتنا لم تطردهم منذ زمن بعيد كما تطرد وتكافح أوبئة المجتمع الفتاكة، ذلك لأنهم ألد أعداء السعادة والحياة الدين عرفتهم أمريكا.

ويعتبر التلمود منجماً لا ينضب من الدسائس والمناقشات الجدلية التافهة غير الصحيحة والتي تفتقر إلى المنطق السليم والسياق الحكيم، وقد وصفه الأب" إسحاق دوكوستا" فقال:" إن التلمود كومة قذرة من النجاسات مزينة من ظاهرها بالجواهر. وقد أجمع العالم على وصف اليهود بأنهم أحقر وأقذر من في الأرض من البشر، وأكثرهم خبثاً ومكراً، وكما لعنهم الناس في الأرض فقد لعنهم الله في القرآن الكريم خمس عشرة مرة فقد سبق اليهود إبليس بمكرهم فلا تجد فساداً في الأرض إلا ووراءه يهودي.

كما أن عداوة اليهود للسيد المسيح – ؛- واضحة فقد ألف اليهودي الأسباني "موشى دو ليون" كتاباً فند فيه معجزة السيد المسيح، واصفاً إياه بالكلب الميت راقداً فوق مزبلة أو أنه المولود الجديد الذي له شكل ميت، وقد سبب هذا الكتاب فضيحة لليهود، وكشف حقيقة ما يضمرونه للسيد المسيح.

فهذه هي حالة اليهود وانحطاطهم الفكري والأخلاقي، فهم بمثابة المذيب للمسيحية، وزارع للفوضى والشغب والفساد؛ ودخول اليهودي في أي مجتمع إنساني فذلك يؤدي حتماً إلى تدمير هذا المجتمع وزوال دولته.

ولا يقتصر العداء اليهودي على المسيحية وحدها وإنما يشمل الإسلام ويشمل سيدنا محمد ﻫ خاصة فقد ورد في الجزء الثاني من سفر (حازوحار) من التلمود المطبوع باللغة الفرنسية عام 1907م، النداء الموجه من الحاخام الأكبر لليهود في العالم بالنص التالي:" يا أبناءنا اليهود، اعلموا أننا لن نفي محمداً حقه من العقوبة التي يستحقها حتى لو سلقناه في قدر طافح بالأقذار، وألقينا عظامه النخرة إلى الكلاب المسعورة لتعود كما كانت نفايات كلاب لأنه أهاننا، وأرغم خيرة أبناءنا على اعتناق بدعته الكاذبة، وقضى على أعز آمالنا في الوجود، لذا يجب عليكم أن تلعنونه في صلواتكم المباركة، وليكن مقره في جهنم وبئس المصير".

فهل يمكن لعدو مهما بلغت به شدة العداوة أن يصل به الحقد الدفين والكره الشديد إلى هذا الوصف الملعون إلا أن يكون يهودياً يعبر عن أشد العداوة لرسول الإنسانية والمسلمين محمد ﻫ ، ويستشيط اليهود غضباً عند سماعهم وغيظاً عند سماعهم القرآن الذي يعتقدون بأن محمداً ﻫ هو الذي كتبه، وليس كتاباً من عند الله، ويعتبرون الآيات الوارد ذكرها في هذا الكتاب إهانة لهم، وأن محمداً ﻫ قد أرغم برسالته خيرة أبناء اليهود وأنصارهم على اعتناق الإسلام، وقضى بذلك على أعز آمال اليهود في الوجود وهي مجئ الرسول من نسل إسحاق لا من نسل "إسماعيل"، ولهذا فإن اليهود يبغضون سيدنا عيسى عليه السلام ويحقدون عليه، واتخذوا قراراً بقتله.

وقد دلت الأحداث التاريخية أن اليهود هم أشد الناس عداوة للمؤمنين، وأن أقربهم مودة للمؤمنين هم النصارى. وهكذا أعلن اليهود الحرب على محمد ﻫ وعلى المؤمنين برسالته، وأظهر اليهود وأضمروا العداوة الشديدة للمؤمنين، وبدؤوا يعملون سراً للقضاء على دولة الإسلام، ونظراً لأن المجتمع الإسلامي يحارب بشدة أسلحة اليهود الرهيبة الخمسة: الربا و الزنا والرشوة والخمور والقتل، لذلك لم يستطع اليهود تدمير المجتمع الإسلامي من الداخل، وإنما تمكنوا عن طريق قوتهم التي استطاعوا الحصول عليها في مجتمع أوروبا أن يلفوا عن طريقها، ويقضوا على الدولة الإسلامية،

ويخربوا المجتمع الإسلامي باستيلائهم على الحكم منافقين يهود بصفة مسلمين ظاهراً، و يهود كافرين باطناً، وأعلنوا الحرية في كل البلاد الإسلامية التي كانت في الحقيقة حرية لهم لإفساد المجتمع الإسلامي بدءا من اسطنبول عاصمة الدولة الإسلامية، ورويداً رويداً نشروا أسلحتهم الرهيبة التي بدأت بتمزيق المجتمع الإسلامي وتخريبه من الداخل، فلنبحث في الطريقة الرهيبة التي اتبعها اليهود في ذلك.

ومن يقرأ بروتوكولات حاخامات اليهود يتضح له عظم المؤامرات العالمية ضد الأمم الأخرى غير اليهودية فقد هيمن اليهود على الصحافة والإعلام، وبهذه القوة الرهيبة انتقلوا على أمريكا، ثم استطاعوا التغلغل في جسم الدولة، الإسلامية، وعزلوا السلطان عبد الحميد، وبعد أن استتب الحكم لليهود في تركيا قرروا هدم دولة روسيا القيصرية وإيقاد نار الحرب العالمية الأولى، فهم موقدوا الحروب في كل مكان فيقول عنهم "أدولف هتلر":" كان اليهود هم القوة الخفية التي جرت إنجلترا إلى الحرب العالمية الأولى ، وقد اعتاد الناس تسمية البلشفية بدكتاتورية (الروليتاريا)، ولكنها في الحقيقة هي دكتاتورية اليهود، وإن تحالف الرأسمالية في الغرب مع النظام البلشفي لا يمكن فهمه إلا اجتماع سلطة هذين النظامين أثناء الحرب العالمية الثانية بأيدي اليهود في وقت واحد،

فالنظام المحيط بالرئيس "روزفلت" بما فيه الصحافة هو برمته يهودي، وكذلك الإذاعة وسائر أجهزة الإعلام الغربية في الحرب كلها لا تختلف عن مثيلاتها في الاتحاد السوفيتي، مما يؤكد أن اليهود وراء هذه الحروب الضروس يشعلونها ويزيدونها اشتعالا.

وتناول المؤلف الحديث عن اليهود والشيوعية وقضاء اليهود على الدولة الروسية الشيوعية هذه الدولة والتي اتهمت إسرائيل في فلسطين بالعنصرية ، وتمكنوا من السيطرة على الحكومات التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي بشكل مباشر وتم إلغاء قرار الأمم المتحدة الذي وصفها بالعنصرية.

ويستخدم اليهود وسائل لتحقيق مآربهم الدنيئة، وهى أسلحتهم الرهيبة وهي الربا و الزنا والرشوة والخمور والمخدرات والقتل وهو السلاح الأكثر مكراً التي يستعمله اليهود في إثارة الفتن وإيقاد نار الحروب والثورات التي يشعلونها ويتلذذون بمنظرها الرهيب عن بعد شديد، فيحرقون غيرهم، وتنظيم اليهود العسكري يتألف من جيشين، الأول: الجيش النظامي؛ ويضم كل يهودي في الدولة اليهودية في فلسطين. والثاني الجيش غير النظامي ويضم كل خدام اليهود في العالم من المتعاملين بالربا أخذاً وعطاءَ، ومن الزناة نساءَ ورجالاً، والمتاجرين بها، ومن القتلة سفاكي الدماء.

ويحذر المؤلف من وهم التطبيع مع اليهود لأنه يجر ورائه المهانة والذل للمسيحيين والمسلمين، فلا يسعى اليهود إلا لمصالحهم فقط، ويرى المؤلف أن طريق الخلاص لا تكون إلا باتحاد المسلمين بجوار المسيحيين للقضاء على اليهود وتحجيم شرورهم.

الصراع الفلسطيني الإسرائيلي . .

إلى أين ؟ منظور ثقافي

أصدرت دار ابن رشد للطباعة النشر ببيروت في نهاية 1998 الطبعة الأولى من كتاب " الصراع الفلسطيني الإسرائيلي إلى أين منظور ثقافي " للدكتور كمال الخالدي ، وهذا الكتاب هو رسالة الدكتوراه المقدمة من الدكتور الخالدي وهو سليل عائلة الخالدي الشهيرة من كبريات عائلات القدس المناضلة ، ويتكون هذا الكتاب من 186 صفحة من القطع المتوسط ، وقد قدم له الأستاذ الدكتور صادق جلال العظم بجامعة دمشق بمقدمة مهّد فيها للأسباب والدوافع التي دفعت الدكتور كمال الخالدي إلى إجراء هذا البحث القيم ، فحين يقوم الدكتور كمال الخالدي بمراجعة تاريخ فكرة الدولة الثنائية القومية في فلسطين ومناقشتها واستخلاص دروسها وعبرها ، أعرف – والكلام على لسان الدكتور صادق – فإنه يأمل ضمناً – مهما بدا هذا الأمل عبثياً في اللحظة الحاضرة – في أن يساعد إسهامه هذا في تذكير الوعي الفلسطيني عموماً ، ووعي المسئولين عن المصير الفلسطيني وشؤونه الكبرى تحديداً ، بأنه يبقى محكوماً عليهم جميعاً تكرار التاريخ إياه إن هم أصروا على ألا يتعلموا منه شيئاً .

وإن هم كرروا هذا التاريخ مثنى وثلاث ورباع ؛ فإن الإعادة لابد أن تأخذ في كل مرة شكل المهزلة الهابطة على التوالي شأناً وابتذالاً ومستوى بالقياس إلى المأساة الأولى ، في الواقع يكمن أمل العائد إلى التاريخ على طريقة الدكتور كمال الخالدي في أن تأتي لحظة يجد العربي الفلسطيني نفسه فيها وقد تعلم من التاريخ بحيث لا يعود محكوماً عليه بأن يكرره ، من ناحية أولى ، وبحيث لا يضطر إلى استعادة مأساته الأولى بصورة هازلة لاحقة ، من الناحية الثانية .

والدكتور كمال الخالدي يعي تماماً أن الشعب صارع التنين الصهيوني بما فيه الكفاية لظهور آثار التنينيّة إياها على محيّا قياداته (وسيماهم في وجوههم من أثر الخضوع) ، ولا أبالغ – وما زال الكلام للدكتور صادق – إن أطلقتُ على هذه الآثار المنتعشة اليوم اسم " الصهيونية الفلسطينية " .

أعرف أيضاً أنه يعي تماماً أن الشعب الفلسطيني حدّق بما فيه الكفاية في الهاوية الاستيطانية – الإجلائية التي كان يقف دوماً على حافتها حتى ظهرت علامات تحديق الهاوية ذاتها به على وجوه قادة منظمته الشهيرة ، وعلى محيا أقطاب ممثلته الشرعية الوحيدة .

مع ذلك ، كثيراً ما تجري رياح التاريخ بما لا تشتهي سفن العديد من الخصوم المتصارعين فيه وعلى أرضيته ، أي بما لا تشتهي سفن التنين وبما لا تشتهي تماماً سفن مصارع التنين أيضاً . بعبارة أخرى لقد فَتَحَ تَفَرّدُ " الصهيونية الفلسطينية " بخيار غزة / أريحا أولاً الاحتمالات كلها وليس أقلها ترجيحاً احتمال تطور الحكم الذاتي المحدود باتجاه تعميق الوضع الجنوب أفريقي الأبارتيدي الذي أخذ يتبلور بالنسبة لعلاقة الأراضي الفلسطينية المحتلة وسكانها بالمركز الإسرائيلي المسيطر والمهيمن بالمطلق ، لا تختلف غزة الملتهبة كثيراً ، في سماتها العامة ، عن تاونشيب سوويتو المنتفضة منذ زمن طويل أيضاً ، والضفة الغربية التي فصّلتها المصادرات والمستوطنات والأوتوسترادات الإسرائيلية تفصيلاً احتلالياً ملائماً جديداً قد تكون في طريقها لأن تصبح لا أكثر من مجمعات من البانتوستانات والهوم لاندز والتاونشيبات والحارات والأحياء الحاكمة لذاتها والمديرة لشؤونها الذاتية .

وإذا ذكرنا أن 40 % من سكان فلسطين اليوم _ بحدودها الانتدابية – هم من العرب الفلسطينيين ، لا غرابة إن أدى الانتفاض لاحقاً على الوضع الجنوب أفريقي المتجذّر والمستشري والتمرد المستقبلي عليه إلى حركة عربية فلسطينية قوية تأخذ إسرائيل من الداخل هذه المرة بالكفاح لتحويلها هي ملحقاتها البانتوستانية إلى دولة علمانية ديمقراطية ثنائية القومية ، يعيش في ظل قوانينها وأحاكمها اليهودي والمسلم والمسيحي واللاديني بسلامٍ نسبي معقول ومقبول .

عندئذٍ يكون مكر التاريخ قد جرّد دولة إسرائيل ومنع ، في الوقت ذاته ، الفلسطينيين من القبول بتقسيم بلادهم مجدداً وإقامة دولة هي لهم لكنها تابعة لغيرهم في كل شيء مهم تقريباً .

بعبارة أخرى ، إن خيار نلسون مانديلا التوحيدي اللا انفصالي المساواتي مطروح على جدول أعمال مكر التاريخ في منطقتنا أيضاً .

وربما جاءت دراسة الدكتور كمال الخالدي في هذا الوقت بالذات مؤشراً على هذا الطرح . وإن حدث أن تحقق خيار مانديلا عندنا يكون قد تحقق عبر طرائق لم يقصدها أحد من الفرقاء المتصارعين في البداية وبمحتوى لم يخطر تماماً ، في يوم من الأيام ، ببال أصحاب فكرة الدولة الثنائية القومية الأوائل ، أو ببال شعار الديمقراطية العلمانية الأصليين .

وقد بدأت فكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين في الجانب الصهيوني منذ وقت مبكر ، بين عامي 1925 ، 1948 م. إلا أنها نامت قرابة عشرين عاماً ؛ حيث استيقظ الاهتمام بها ، من جديد ، بما سمي (المسألة العربية في المناطق) . وكان تفاقم المشكلة الديموغرافية العربية بعد حرب عام 1967 دافعاً للكتّاب الإسرائيليين والغربيين ، بشكل عام ، لإعادة طرح فكرة دولة ثنائية القومية . ومن أولئك الكتّاب الباحثة الإسرائيلية " سوزان هاتيس روليف "

ا التي قدمت بحثاً لنيل درجة الدكتوراه إلى " معهد الدراسات الدولية العليا " في جنيف بعنوان : " فكرة الدولة الثنائية القومية في فلسطين خلال عهد الانتداب " عام 1948 . وكانت تلك الدراسة أول محاولة جامعة لعرض الفكرة من الوجهة التاريخية والتعرف على ردود الفعل الصهيونية واليهودية عليها عام 1948 .ومن تطور أساليب المقاومة في الأراضي المحتلة وانتقالها إلى عمليات داخلية في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة الإسرائيلية ، تجدد الاهتمام بفكرة دولة ثنائية القومية والبحث عن صيغ توازن علمياً بين تأمين المصالح الإسرائيلية ومواجهة الانتفاضة . وقد حاول عدد من الباحثين الإسرائيليين والأمريكيين استقصاء الجوانب المختلفة منطلقين من أن دولة ثنائية القومية قد فرضت واقعها على إسرائيل كمجتمع وكدولة . وقد نشرت تلك الأبحاث عام 1989 في كتاب بعنوان : " ظهور إسرائيل ثنائية القومية " .

أما المفكرون والكتّاب العرب ، فإنّ اهتمامهم بدراسة فكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين ومتابعتها يبدو ضعيفاً ، إن لم يكن منعدماً . يضاف إلى ذلك أنّ بحث خيار الفكرة من الوجهة العربية والفلسطينية وإمكانية تطبيقها على ضوء تطور العلاقات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية على المدى البعيد لا يزال غائباً . وفي مقابل ذلك كان اتجاه العرب نحو التعايش مع اليهود في فلسطين واقعياً ومتسامحاً . وركز اتجاه العرب على ضرورة قيام تعاون وتفاهم لإدارة حكم فلسطين .

وكانت مسائل الهجرة اليهودية وقيام الوطن القومي اليهودي ، من أعقد المعضلات التي رفضها العرب واعتبروها مساً بكيانهم القومي . وقد أسيء فهم موقف العرب ونزوعهم نحو التعايش والاتفاق ومبادراتهم المستمرة واقتراحاتهم للوصول إلى اتفاق بوسائل سلمية وعقلانية بعيداً عن استخدام وسائل العنف والقوة .

وعلى الرغم من أن تيار المثقفين في الحركة الصهيونية لم يكتب له النجاح تاريخياً ، إلا أنه أثّر في السياسة الصهيونية . ومع ذلك فإن التيار الثقافي في الفكر الصهيوني قد لحقه الإهمال والظلم بسبب الطريقة التي تناوله بها الدارسون ، لأنهم ركزوا عليه كتيار مبشر ولم يعطوه حقه بعد قيام إسرائيل .

وكان من بعض أهم رموز التيار الثقافي شخصيات يهودية احتلت مكانة وشهرة علمية مرموقة ؛ من أمثال العالم " ألبرت آينشتين " ، والفيلسوف " مارتن بوبر " والمؤرخ " هانز كوهين " . وتتعلق فكرة ثنائية القومية في فلسطين ، إلى حد كبير ، باتجاه التيار الثقافي نحو الوجود العربي وضرورة تعايش القوميتين على الأرض نفسها .

ويعالج كتانا هذا الذي بين أيدينا أربعة أبعاد تتعلق بفكرة ثنائية القومية في فلسطين :

أولاً : المنظور العربي للفكرة .

ثانياً : المنظور اليهودي للفكرة .

ثالثاً : السجل التاريخي للفكرة .

ر ابعاً: الفكرة بعد اتفاقية (أوسلو) .

ويبدأ المؤلف في أن يصب التحليل على تتبع أهم الملامح التي تشير إلى رغبة العرب في التسامح مع اليهود ، رغم المواقف السلبية التي اتخذتها المنظمة الصهيونية والسلطات البريطانية نحو العرب.

ويقصد المؤلف من هذا التحليل التأكيد على نزوع المجتمع العربي في فلسطين نحو التفاهم مع اليهود المحليين ؛ وذلك من خلال مواقف بعض القادة والمفكرين الفلسطينيين والعرب ، ويتناول التحليل أيضاً في هذا الفصل أهم المؤشرات على تزعزع العلاقات بين العرب واليهود إثر نكبة 1948م. والاحتلال الإسرائيلي عام 1967م. وانتفاضة الأراضي المحتلة عام 1987م.

ويتتبع اهتمام مفكري تيار الصهيونية الثقافية بفكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين من خلال تطور الفكر الصهيوني في القرن التاسع عشر ؛ حيث انصب هدف معظم المفكرين الصهيونيين على إبراز استمرارية التاريخ اليهودي وإسقاط تعاليم حركة التنوير (الهسكالا) .

ومن المعروف أن حركة التنوير كانت تدعو إلى اندماج اليهود في مجتمعاتهم التي يقيمون فيها . اعتقد أولئك المفكرون أن عملية التحرر التي جاءت كثمرة للثورة الفرنسية قد أدت إلى بروز فروق أيديولوجية حول مكانة اليهود في المجتمعات الأوربية . وطرح بعض المفكرين اليهود تصورات واضحة لمعالجة المكانة اليهودية في أوربا على أساس سياسي ، وقد قفز أولئك المفكرون على الإصلاحات القانونية الصادرة عام 1791م. في فرنسا ، التي اعترفت لليهود بحقوقهم كمواطنين . وقام عدد من المفكرين بالبحث عن مقومات لأيدلوجية يهودية قومية خارج فكرة (المسيحانية) والاجتهادات التلمودية . وقد شهد القرن التاسع عشر في مجال الكتابات اليهودية ، قبل قيام الحركة الصهيونية المنظمة ، عدة اتجاهات فكرية دارت حول خدمة الفكرة الصهيونية . وعبرت عن عدة تيارات فكرية تركزت حول مسألة الهجرة والاستيطان وقيام المؤسسة الصهيونية في فلسطين وتبدت تلك التيارات في ثلاثة هي :

التيار السياسي والعملي .

التيار الاشتراكي .

التيار الثقافي .

في أعقاب قيام الحركة الصهيونية المنظمة عام 1897م. اتسم التيار الثقافي الصهيوني بالضعف تجاه التيارات الآخرين : السياسي والاشتراكي . هذا على الرغم من أن التيار الثقافي قد مثله نخبة من أبرز المفكرين الصهيونيين .

وقد تحلقت حول أولئك المفكرين مجموعات من أكثر المثقفين الصهيونيين دراية ودراسة أكاديمية ، ومن الملاحظات الجديرة بالتحليل أن بعضاً من رواد التيار الثقافي ابتعدوا عن القيام بجهود تنظيمية وحزبية ، عكس ما فعل رواد التيارين السياسي والاشتراكي في الصهيونية . وإذا استثنيا المفكر الصهيوني (ديفيد جوردون) الذي كان لأفكاره تأثير في تنظيم العامل الفني (هابوعيل هاتسعير) ، لا نكاد نجد أي رائد من أتباع الصهيونية الثقافية مشاركاً في تأسيس أو تنظيم أي حزب سياسي من أحزاب (اليشوف) ، أي المجتمع اليهودي قبل عام 1948 ، أو أحزاب الصهيونية العالمية .

ولقد دفعت الحركة الصهيونية بموجات متتابعة من المهاجرين اليهود إلى فلسطين لاستعمارها قبل الحرب العالمية الأولى . وقد وجد هؤلاء المهاجرون الواقع على غير ما صورته الداعية الصهيونية في أدبياتها ، ففيها يوجد شعب متأصل يملك امتداداً قومياً على رقعة جغرافية شاسعة ، كما أن هذا الشعب يزيد عن اليهود من حيث الكم بعشرات الأضعاف ، لذا كان على المجتمع المحلي اليهودي أن يوجد وسيلة للتعامل مع العرب . ولما كان معظمهم يحمل ثقافة الفكر الغربي وأفكاره ، فقد لجئوا إلى ذلك الفكر للبحث عن وسيلة مرجوة للتعامل مع العرب ومواجهة الأغلبية السكانية العربية .

وتعتبر السياسات الصهيونية تجاه الوجود العربي في فلسطين ذات أهمية ودلالة في الفترة التي أعقبت تصريح (بلفور) ، وتأخذ تلك الأهمية امتدادها في الفترات المتعاقبة بين نهاية الحرب العالمية الأولى وبداية الحرب العالمية الثانية . ففي هذه الفترة اتخذت السياسات الصهيونية مواقف متعددة تجاه العرب في فلسطين .

وقد عبرت فكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين خلال عهد الانتداب عن سياسة صهيونية نحو الوجود العربي في فلسطين ، ولم تك تلك السياسة موحدة الغرض ، منسجمة في كل الفترات الزمنية التي مرت على تطور تلك الفكرة ؛ فقد نادت بها اتجاهات في الفكر الصهيوني ، وبقي تيار الصهيونية الثقافية وحده ملتزماً بها . ومن المعروف أن فكرة دولة ثنائية القومية قد نبتت بين الجماعات اليهودية في فلسطين على أسس غير واقعية ولكنها أثرت ، على الغالب ، في تحديد العلاقات العربية اليهودية

أما الفصل الخامس وعنوانه " فكرة الدولة ثنائية القومية في فلسطين بعد عام 1948م. " فهو يحتل موقعاً هاماً في الكتاب ، لأنه يتناول الفترة التي أعقبت أفول نجم فكرة (القومية الثنائية) في الأربعينات خلال الحرب العالمية الثانية وأثناء السنوات سبقت نكبة عام 1948. وفي الفترة التي يتناولها البحث حدثت إرهاصات وإحباطات كثيرة على الأرض والواقع الفلسطيني كان لها أبلغ الأثر في انكفاء الفكر العربي وتقوقعه حلو ذاته ، ودورانه حول محاور سلبية لن تطرح خلال المرحلة التي أعقبت الهزيمة عام 1948 ووقف الكتّاب عند حد وصف آثار الهزيمة ،

وما نتج عن ذلك من مآس وتراجعات أو تخبطات . وكان لحرب 1967 وما نتج عنها من هزيمة ، واحتلال إسرائيلي أبلغ التأثير في إيقاظ الوعي الثوري بين الفلسطينيين بشكل خاص ، وتحريك الطاقات القيادية لتسلم العمل في منظمة التحرير الفلسطينية ، بعد أن فرغت الساحة وسقطت ورقة الحلول السياسية .و في هذا الفصل يتناول المؤلف بعض الآراء التي طرحها مفكرون يهود وإسرائيليون حول تطبيق ، أو عدم تطبيق فكرة (القومية الثنائية) بعد هزيمة 1948 ثم حربي 1967 و 1973 وحتى الوقت الحاضر .

وقد ختم المؤلف بحثه القيم بملحوظة يقول فيها :

" وأخيراً نود أن نشير إلى أن خيار دولة ثنائية القومية ، الذي نعالجه في مؤلفنا هذا ، لا علاقة له البتة بما يجري تحت عنوان التطبيع الذي تتم ضمنه محاولات بين أوساط ثقافية عربية وفلسطينية ، وإسرائيلية ويهودية ، ذلك لأن هذا التطبيع يعني إذعاناً وخضوعاً للشروط التي يفرضها الطرف الإسرائيلي بقوة الأمر الواقع " .

وفي نهاية رحلتنا بين دفتي هذا البحث القيم ، لا يسعنا إلا أن نشكر الباحث على جهده الذي بذله في إخراج هذا البحث القيم ، ولا يزال الحديث عن الفكرة في حاجة إلى مزيد من البحث والاستقصاء والمتابعة .

الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات

تأليف :عبد المجيد همو

مراجعة :إسماعيل الكردي

ويقع الكتاب في (207) صفحة ويتألف من مقدمة وأربعة أبوب :

الباب الأول: فرق ما قبل الإسلام: ويحتوي على أربعة فصول:

تناول المؤلف في الفصل الأول:

نشوء اليهودية وانقسامها: يدعى علماء اليهود بالإجماع أنهم يتبعون ديانة موسى عليه السلام، ولكنهم - مع ذلك - يرون في موسى وأخيه هارون أنهما خانا الرب، وخالفا معلوماته وأوامره، ولهذا ، لم يدخلا فلسطين ضمن من دخلوها.

ولقد اتهم كثير من الناس والباحثين أن بني إسرائيل قد قتلوا موسى، وتخلصوا منه، وبنوا ديانتهم - بعد ذلك - حسبما رواه مناسباً لهم.

ولكن المؤلف لا يرى ذلك للأسباب التالية:

مال فرويد ومن معه أن إلى وجود شخصيتين اسمهما موسى، الأولى موسى المصري الذي كان قائداً عند اخناتون في الحبشة، والثانية موسى المديني من بني إسرائيل

و قد التقيا في سينا وكونوا معاً جيشاً كبيراً، وفي قادش برينع، كما يقول فرويد قتل موسى المصري، واستلم موسى المديني الذي سار على ديانة موسى واخناتون وألف الديانة اليهودية.

العلماء المسلمون الذين ساروا وراء التوراة – وخاصة وراء تفسير الإسرائيليات – رأوا في الديانة اليهودية ديانة سماوية نزلت على موسى عليه السلام.

يحاول اليهود أن يتخطوا موسى ؛إلى إبراهيم ؛، بل أنهم يصلون في دعوتهم إلى نوح وآدم، ويرون أنهم أصحاب أول رسالة سماوية نزلت في الأرض.

كيف يسيرون وراء شخصية أدعوا انخا خانت الرب، ومنعته من دخول فلسطين مع من دخلوا، حتى أنهم فضلوا يشوع بن نون عليه ؟

الديانة اليهودية ليست ديانة سماوية، لأنها ليست ديانة موسى عليه السلام وإنما هي ديانة العزيز بدلالة القرآن الكريم " وقالت اليهود عزير ابن الله " ولو كان موسي ؛هو صاحب الرسالة لقالوا موسى بن الله ، لا تؤمن اليهودية بالكتب السماوية السابقة لها ، ولا تؤمن اليهودية بيوم البعث، سمات الإله الذي تؤمن به اليهودية تختلف عن سمات الله سبحانه وتعالى.

هل وجدت اليهودية في فلسطين؟ وهل قامت دولة إسرائيل في فلسطين ؟

وجدت إسرائيل في نهاية العصر البرونزي وبداية العصر الحديدي ، وهذا يقابل 1200 ق.م ، ولكن الآثار التي وجدت في فلسطين كلها لم تتغير عن الآثار التي كانت موجودة في العصر البرونزي مما يدل على أن لا وجود لغزو واستيطان إسرائيليين في تلك الفترة.

إن لوحة مرنفتاح – التي وجدت في مصر – ورد فيها إسرائيل والنص: لقد دمرت إسرائيل ولم أبق لها بذارا.

ولقد حاول الكثير من الكتاب استخلاص أن إسرائيل هذه غير إسرائيل التي وردت في التوراة ، ورغم أن الكتاب قد شرقوا في النص وغربوا ورأوا فيه إثباتا لوجود إسرائيل الآن أن المؤلف يرى في هذا النص أنه قد حرف كما حرفت النصوص الأخرى للأسباب الآتية:

إن ورد كلمة إسرائيل في مسلة مرنفتاح تدل دلالة واضحة على أن الكلمة لا تعني قوماً أو شعباً على الإطلاق وإنما تدل على اسم مدينة.

لا يمكن أن يكون مرنفتاح فرعون الخروج – حسب رأي المؤرخين – وهو الذي غرق في البحر – حسب الرأي التوراتي – ومن ثم يكون هو المنتصر على إسرائيل.

لا يمكن أن يكون 1220 ق.م وهي السنة التي مات فيها مرنفتاح نصر على إسرائيل نصراً كاملاً.

تحريف جماعة الآثار لهذه القراءة.

في الفصل الثاني: انقسام اليهودية وفرقها في زمن عزرا وبعده بقليل: وتناول المؤلف: اليهودية ومتى ظهرت ؟ لقد اسر بنو إسرائيل – حسب ادعاء توراتهم – على يدي الملك البابلي نبوخذ نصر .

السامرية: هذه أول فرقة ثارت ضد اليهودية التي خالفت موسى عليه السلام، وقد كان لها توراة تختلف عن التوراة التي بين أيدينا.

متى نشأت السامرية ؟ : أجاب عن هذا التوراة بذاتها في سفر تحميا: في تلك الأيام رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات ومؤابيات، ونصف كلام بينهم باللسان الأشدودي، ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي .

التأثر بالفكر اليوناني : الفرقة الصدوقية: يحاول الصدوقيون أن ينسبوا إلى أيام سليمان ، ويقولون بوجود كاهن في عهد سليمان صادوق ولقد نشأت هذه الفرقة في القرن الثالث قبل الميلاد ، وهذه الطائفة لعبت دوراً هاما في حياة اليهودية، ويقوم مذهبهم على النقاط التالية:

لا يرون في التوراة أنها كتاب مقدس قداسة مطلقة.

لا يؤمنون بالتعاليم الشفوية كالتلمود.

لا يؤمنون بيوم القيامة.

الفصل الثالث: ارتداد إلى اليهودية: وفيه يتناول المؤلف:

الحسيديون: وهم الأتقياء الذين أرادوا من زمن عزرا أن يعيدوا بناء اليهودية على قيم روحية وعن الحسيدين نشأت الفريسية.

الفريسيون: تمثل هذه أفرقة القاعدة الصلبة لليهودية، وعليها يعتمد جمهور اليهود، وهم متعصبون أشد التعصب، يقاومون كل تطور، ويتمسكون بحرفية النص ما استطاعوا.

الأسنيون: لم تكن تعرف قبل اكتشاف مخطوطات قمران ، وهي منشقة عن اليهودية ، هجرت الثورة المكابية واعتزلت في الجبال، وكانت تحتفظ إلى جانب نصوصها الخاصة بنصوص توراتية تنتمي إلى تقاليد متعددة دون أن تلزم نفسها بتقليد معين.

الفصل الرابع: الإيمان بالنص التوراتي والشفوي: ويتناول:

الكتبة: هذه الفئة التي تؤمن بان التوراة أنزلت على موسى وهي كتاب موحي به إلى موسى وهو الرسول الخاص ببني إسرائيل.

المسورون: هذه الفرقة كان الأحرى أن نضمها إلى الكتبة ولكنهم يختلفون عنهم في أنهم قاموا بتشكيل التوراة ، ورغم ذلك ففي العصر الحديث ارتفعت الأصوات لإدانتهم واتهمتهم بتحريف الكتاب لجهلهم.

المتعصبون: لا يمكن القول هناك يهود متعصبون ويهود غير متعصبين إذا كانوا ممن يؤمنون بالتلمود بالإضافة إلى كتاب التوراة.

الربانيون: ورد ذكر الربانيين في القرآن الكريم :

إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [سورة المائدة: الآية 44]

التلموديون : وهم المتكلمون أو المفسرون أو الشراح للتلمود ، يقول رحمه الله بن خليل الهندي العثماني في نقل هذه المعلومات

الشفهية: فوض موسى يوشع ، وبعد يوشع فوض هذه الروايات إلى المشايخ، وهم فوضوا إلى الأنبياء.

الناموسيون: هم مقررو الناموس، والناموس كما يعرفونه شريعة موسى (الأسفار الخمسة) وهؤلاء هم المعلمون في المدارس والمجامع اليهودية، ويختلفون في كثير من الأحيان بالكتبة.

الباب الثاني: فرق اليهود في عهد الإسلام:

الفصل الأول: وتناول فيه المؤلف:

اليهود في الجزيرة العربية:

اختلف الباحثون حول وجود اليهود في الجزيرة العربية، وذهبوا في اتجاهات عديدة أهمها:

إن اليهود من سكان الجزيرة العربية: وقد انقسم هذا التيار إلى فريقين: الأول: قالوا: إن إبراهيم الخليل – ؛- هو جد إسرائيل (يعقوب) وهو قد سكن الجزيرة العربية، وإسماعيل هو العم الوحيد ليعقوب ومن البديهي أن تكون هناك زيارات وسكنى بين بني العمومة وحسن جوار لهذا أينما سكن العرب سيسكن اليهود، والفريق الثاني قالوا: إن بلاد إسرائيل التي صورتها التوراة ليست إلا في الجزيرة العربية.

اليهود طارئون على الجزيرة العربية: ولا يمتون بصلة إلى الأمة العربية، والدليل على ذلك قلة الناس الذين يدينون باليهودية، فهم كالمجوسية وفدوا من خارج الجزيرة العربية إلى قلبها، فآمن بها بعض الناس كما صار في قبيلة حمير. إذن وجدت الديانة اليهودية في الجزيرة العربية من أناس قد حلوا فيها ضيوفاً.

موقفهم من الرسول العربي:

كانت التوراة اليهودية – التي بين اليهود في الجزيرة العربية – تحمل الدلائل والبشرى بمجيء رسول في المدينة المنورة، وكان اليهود يعدونه فاتحة نصر لهم، وانهم بواسطته سيقتلون العرب أي قتل، ويبيدونهم أي ابادة ، شانهم في ذلك شأن كل الشعوب التي يسكنون بينهم، وكانوا يتوقعونه منهم ، ولما ظهر الرسول العربي محمد – عليه السلام – عرفوا انه المبعوث المبشر به في التوراة.

اليهود وفرقهم تحت ظل الإسلام:

القرائون: لا يعرف متى بدأت هذه الفرقة في الظهور، إلا أنها شهرت على يد الحبر عنان بن داود، وقد نسبها الكتاب العرب إليه فسموها الهنانية، وهذه الفرقة شهرت في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور، وهو يمثلون فئة قليلة من اليهود وهم لا يؤمنون إلا بالكتاب المقدس فقط بما فيه من أسفار تاريخية وأسفار أنبياء، لا يؤمنون بالروايات الشفهية التي تسمى بالتلمود.

موسى بن ميمون وفرقته: موسى بن ميمون الرئيس، أبو عمران القرطبي اليهودي المفنن في العلوم، كان رئيساً على اليهود بمصر، وكان أوحد زمانه في الطب، رحل من الأندلس إلى المغرب وأسلم ثم بعد ذلك أرتد إلى اليهودية.

الغائون: يعد الغائون امتداداً لجماعة التلموديين.

القبالة: مذهب جديد قام بين القرنين العاشر والحادي عشر، وتطور حتى القرن السادس عشر، وهي مجموعة باطنية من الحكم التي لها علاقة بأسرار الكون والإله والكائنات الأخرى، وظهرت على يد عدد من أحبار اليهود الذين تأثروا بالآراء الشرقية ودين ذراداشت.

الباب الثالث:

أوربا واليهود في عصر النهضة والعصر الوسيط:

الفصل الأول: اليهود وأوربا: وتناول فيه المؤلف:

يهود الخزر: إن اليهود أصابهم شتات وعلمنا أن التاريخ العربي لبلاد الخزر قد مر فيه الوثني والمسيحي واليهودي ودخلها الإسلام في من دخل هذه البلاد، طلب ملك الخزر في القرن الثامن الميلادي من الأديان الثلاثة أصحاب الكتب - اليهودية والمسيحية والإسلام - أن يشرح كل وفد دينه وأيهما وافقه آمن به، فرفض الدين الإسلامي وقبل إقامتهم ببلاده وكذلك الدين المسيحي ودخل الدين اليهودي وأعلن اليهود أن شعب الخزر هو السبط الثالث عشر.

الأشكنازيم: وردت كلمة اشكناز في سفر التكوين فهم ينتمون إلى جومر، وجومر ينتمي إلى يافث ، فلاشكناز إذن لا يمتون إلى السامية بصلة.

السفرديم: عبارة السفرديم تقابل عبارة الاشكنازيم ، غير انه قد عثر على كلمة في التوراة قد تكون هي الأصل لكلمة سفار " هؤلاء بنو يقطان، وكان مسكنهم حينما تجيء نحو سفار جبل المشرق " التكوين 30/10 والسفرديم تشمل اليهود الشرقيين ويهود الأندلس، وعاش اليهود السفرديم بين المجتمعات التي انتشرت بينها وكانت تسكن في أحياء خاصة بها تعرف بالأحياء اليهودية، يؤلف اليهود السفرديم أقل من نصف يهود العالم بكثير إذ تبلغ نسبتهم 23%.

موقف أوربا من اليهود: يتجلى موقف أوربا من اليهود من خلال موقفهم في الذات، فإذن ، كان اليهود يهدون أنهم العنصر المختار ، وهو الذين خلقهم يهوه اله الجنود ورب النقمات، وهو الذي يقاتل عنهم،

ويدافع، وينصرهم، وينتقم لهم، ويتآمرون على المجتمع الذي يؤويهم وهم يقتلون أبناءه، وينتهكون أعراضه ، ويعدونه دون البهيمة وضعاً، ولهذا كانوا عرضة للانتقام والثورة العامة كلما اكتشف جريمة من جرائم اليهود، وأمام هذه الحياة المضطربة كان لابد لليهود من اتخاذ أحد موقفين: أن يتخلوا عن عنصريتهم وتميزهم فيحيوا كبقية الناس، أو أن يزيدوا من عدوانهم ويبثوا سمومهم في المجتمعات.

الملوك والكنيسة: ويتحدث المؤلف فيها عن موقف الأباطرة والكنيسة الرومانية من اليهود وكتبهم.

ثم تناول المؤلف في الفصل الثاني عن موقف اليهود من المسيحية وتمثل ذلك في :

اضطهاد المسيح من الأناجيل الأربعة.

محاكمة المسيح ومحاولاتهم صلبه ومسؤوليتهم عن دمه، من الأناجيل.

اضطهاد أتباعه.

موقف التلمودين من المسيح والمسيحية:

موقف اليهود التلموديين من الأمميين.

موقف اليهود التلموديين من المسيح عليه السلام.

موقف اليهود التلموديين من أم المسيح عليه السلام.

موقف اليهود التلموديين من المسيحية.

ثم تناول المؤلف ارتداد مسيحي إلى اليهودية وتحدث عن اللوثرية وفروعها والمسيحية اليهودية أو المسيحية الصهيونية وشهود يهوه.

وفي الباب الرابع: الفرق اليهودية الحديثة تناول المؤلف الفرق اليهودية في الغرب وهي:

بناي بريت: وهي منظمة صهيونية أسست 1843 في نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، وأول رئيس لها هو اسحق ديتنهوفر، ومنشئها الفعلي الصهيوني هنري جويس، ويعني اسمها أبناء العهد.

التنوير والاندماج اليهودي (الهاسكلاه): تسمى هذه الحركة بالعبرية هسكلاه وهي حركة ظهرت بين يهود أوربا في منتصف القرن الثامن عشر حتى 1880، دعت هذه الحركة إلى اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها في سبيل الحصول على حقوقهم المدنية والكاملة.

الأليانس: الأليانس كلمة فرنسية تعني التحالف، والاسم الكامل لجمعية الأليانس هو التحالف الإسرائيلي العالمي، وبالعبرية كل يسرائيل حفريم أي جميع اليهود أخوة، تأسست هذه الجمعية في باريز عام 1986، بمبادرة بعض اليهود في فرنسا، سعت الأليانس إلى تكوين اتحاد عالمياً لليهود يهدف إلى تقديم المساعدة السياسية والثقافية لليهود أينما كانوا.

الصهيونية: كلمة أخذها المفكر الصهيوني ناتان برنباوم من كلمة صهيون المكان الذي أقام عليه داود برجه – على حسب ادعاء التوراة – لتدل على الحركة الهادفة إلى تجميع الشعب اليهودي في أرض فلسطين، ويعتقد اليهود أن المسيح المخلص سيأتي في آخر الأيام ليعود بشعبه إلى ارض الميعاد، ويحكم العالم من جبل صهيون وقد حول الصهيونيون هذا المعتقد الديني إلى برنامج سياسي.

أحباء صهيون: وهو اسم يطلق على جمعيات صهيونية نشأت في روسيا عام 1881، بعد صدور قوانين أيار التي فرضت قيوداً على الأقلية اليهودية هناك بين 1881 – 1883 ، وكان هدف حركة أحباء صهيون محاربة اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها والعودة إلى صهيون.

ثم تناول المؤلف ارتداد إسلامي إلى اليهودية وتمثل في:

البابية.

البهائية.

اللوبي اليهودي. .

يحكم البيت الأبيض

في هذا الكتاب الخطير والهام حقائق ووثائق وشواهد مذهلة تنشر لأول مرة على ألسنة عضوين بارزين من أعضاء الكونجرس الأمريكي الأسبق وهما "بولي فندلي" و "ديفيد ديوك" في كتابيهما (من يجرؤ على الكلام) و كتاب (الصحوة)، وكذلك كتاب (عرب تحدثوا عن النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة، وقصة الإخطبوط الصهيوني "آيباك" (اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة **American Israel Public Relation)** **Committee,** والتي تأسست عام 1954م بهدف التأثير في السياسة الأمريكية لصالح اليهود، وتجاوز المؤلفان جرأة غير مسبوقة بفضح الدور الإسرائيلي في السياسة الأمريكية التي نجحت الصهيونية العالمية في فرضها على العالم، وجاء إعداد وتوثيق هذا الكتاب جامعاً لكل آراء وتصريحات هؤلاء الكتاب والمفكرين الأمريكيين، دفعة واحدة لكشف حقيقة الإرهاب المنظم، لكم الأفواه، وإسكات الألسنة حيث لم تعد تجرؤ قناة إعلامية على عرض مشاهد القتل والاغتيال والتدمير الذي تمارسه الصهيونية في فلسطين، والأمريكية في العراق، لذلك يعد هذا الكتاب الجرئ والموثق صرخة أمام حق الضمير العالمي.

يشتمل هذا البحث الخطير الذي عرضه ووثقه "هشام آل قطيط" على العديد من أهم الكتب المنشورة في العالم ولأهم المؤلفين والكتاب الذين قاموا بفضح الدور اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية، وفضح قصة الإخطبوط الصهيوني في أمريكا، ووصولهم إلى سدة الحكم، وباتوا الآن من يحكم أمريكا، ويتحكم بسياستها الخارجية الداخلية والسيطرة على الإعلام، ووضع برامج ومخططات للكونجرس ومجلس الشيوخ، ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع، وقصة "آيباك" - كما ذكرنا – ، والكتاب يضم ثمانية فصول في حوالي575 صفحة تنتهي بثلاثة ملاحق تليها العديد من الصور الأرشيفية للشخصيات السياسية الأمريكية، والكتاب من الإصدارات الحديثة لدار المحجة البيضاء في بيروت، لبنان .

ومن أهم هذه البحوث:

الأول: "الدين في القرار الأمريكي" للدكتور"محمد السماك"، (دار النفائس بيروت – لبنان) الطبعة الأولى(1424هـ - 2004م)، تناول المؤلف علاقة الرئيس "بوش" بالصهيونية المسيحية"، فلم يكد يمر عام على تسلم الرئيس "جورج بوش" – الابن – مقاليد الرئاسة في البيت الأبيض حتى تجمعت لديه، وفيه العوامل التالية:

العامل الأول: هو إيمانه والتزامه بعقيدة حركة الصهيونية المسيحية، الأمر الذي تجسد في تقرب قادة هذه الحركة منه، والتأثير عليه كرئيس للولايات المتحدة.

العامل الثاني: هو نجاح المنظمات والمؤسسات الجمعيات، التابعة لحركة الصهيونية المسيحية، في تعزيز حضورها السياسي والإعلامي والديني على حد سواء، وتحولها إلى قوة انتخابية وإلى قوة ضغط شديدة الفاعلية والتأثير. العامل الثالث: هو وقوع مأساة 11 أيلول – سبتمبر 2001م في نيويورك وواشنطون، والتي ألهبت المشاعر ضد المسلمين والعرب.

وقد تكاملت هذه العوامل الثلاث في دفع الحركة الصهيونية المسيحية نحو مزيد من التطرف، وكان تطرفها هذه المرة مجلبباً بشرعية الرئيس الأمريكي نفسه. وقد وجدت ثقافة كراهية الإسلام، المغروسة في تعاليم الصهيونية المسيحية، في هذه المأساة مرتعاً رحباً للتعبير عن هذه الكراهية، ولتعميق وتوسيع انتشارها، ومن ثم لبناء القرار الأمريكي عليها.

و عن الموقف من الرأي العام العالمي استخفافاً وتجاهلاً يرى المؤلف أن القاسم المشترك العمق بين بوش الابن وشارون وبالتالي بين سياستي الولايات المتحدة وإسرائيل، يحدده اليمين المتطرف المتمثل بالحركة الصهيونية، الذي يلعب دوراً أساسياً في صياغة القرارات السياسية في الولايات المتحدة وفي إسرائيل في الوقت نفسهن ذلك أن معظم أعضاء فريق العمل في البيت الأبيض وفي وزارة الدفاع، يتألف من يهود وأمريكيين عمل بعهم مستشارين لحكومات إسرائيلية سابقة، وبسبب يهوديتهم

فإنهم إسرائيليون أيضاً أي أنهم يحملون الجنسية الإسرائيلية وهم أعضاء في حزب "الليكود" الذي يترأسه الجنرال شارون، وهؤلاء هم الذين اقترحوا على نتنياهو، في عام 1996م العمل على الإدارة الأمريكية على إسقاط النظام في العراق، وعلى تفتيت وحدة العراق الوطنية من خلال ضرب الشيعة بالسنة، والأكراد بالعرب، والمسلمين بالمسيحيين، وهم أيضاً الذين اقترحوا على الليكود التخلي عن اتفاق أوسلو 1993م، مع الفلسطينيين، وفرض أمر واقع على الأرض الفلسطينية يتجاوز الالتزامات الإسرائيلية التي ينص عليها الاتفاق، وهم أيضاً من عمل على تعطيل اتفاق باراك/ عرفات الذي حاول الرئيس الأمريكي "بيل كلينتون" تمريره، في الأسابيع الأخيرة من ولايته، والتي توجت بفضيحة مونيكا لوينسكي!.

وتعتقد إسرائيل أن الحرب على العراق تكرس أولاً مقولتها بأن التوتر في الشرق الأوسط يعود إلى خلافات عربية/ عربية، وليس إلى الصراع العربي الإسرائيلي، وهي تأمل الآن أن تؤدي هذه الحرب إلى فرض أمر واقع جديد في المنطقة بحيث تكون آخر حروب الشرق الوسط، وفي اعتقاد إسرائيل أيضاً أنها سوف تنعم بالسلام والاستقرار، ليس بسبب كسر شوكة العراق الوطنية، وإدخال شعوب المنطقة في حروب لا نهاية لها م التصفيات والانتقامات، على قاعدة التباينات الطائفية والمذهبية والعنصرية، وبذلك تكون إسرائيل قد استخدمت الأيدي الأمريكية – والبريطانية كذلك – من أجل نزع كل الأشواك التي تمكنها من ابتلاع ثمرة (الصبير) الشرق أوسطية باطمئنانه.

ويقرر المؤلف أن الفكرة الرئيسية التي انطلق منها مؤسس (آيباك) (كنن) كانت تأسيس لوبي صهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية، يحقق لليهود في هذه البلد القوة والنفوذ، ويقوم بممارسة الضغط السياسي من أجل قضية واحدة هي قضية إسرائيل التي تشكل الحم بالنسبة لليهود في العالم، وليس في الولايات المتحدة وحدها، وقد اخذ (كنن) بعين الاعتبار التقاء هذه القضية مع ما تدعو إليه الطائفة البروتستانتية التي تشكل قسماً كبيراً من سكان أمريكا تجاه عودة اليهود على فلسطين لقيام ولتهم هناك التي تسبق عودة المسيح الثانية، كما يعتقدون.

كما اعتبرت آيباك منذ السنوات الأولى لظهورها اللجنة اليهودية الأكثر أهمية في الولايات المتحدة الأمريكية، نظراً للدور المهم الحساس الذي تقوم به، لذلك كانت الجمعيات واللجان والمنظمات اليهودية الأخرى بالأغلب التي تدور في فلكها وليس العكس، وهي غالباً ما تقوم بتوزيع مهام اللجان والمنظمات اليهودية الأخرى عندما يبكون الأمر مصيرياً بالنسبة لليهود في أمريكا أو بالنسبة لإسرائيل، ويساعد آيباك في تنفيذ عملها هذا اتساع عملها على كاف الأراضي الأمريكية أولاً، وتماسك إدارتها أو اختيار الإداريين من الشخصيات الكوفء في مختلف المجالات ثانياً، وبراعتها في إصدار المنشورات الإعلامية الدعائية والتشويشية الدورية والملحقة عند الحاجة ثالثاً، إضافة إلى مميزاتها الضخمة ومقدراتها على تغطية الحملات الانتخابية بمبالغ كبيرة عبر الممولين اليهود الذين يدورون في فلكها.

وتميزت آيباك منذ نشأتها باعتمادها على النخبة والنوعية في اختيار قادتاها وأعضائها، الأمر الذي فسح المجال أمامها لأن تكون من خلالها مرجعاً لبعض الأمور السياسية الأمريكية، وقادرة على إدارة اللبعة السياسية مع كل من الإدارة والكونجرس الأمريكيين بذكاء ونضوج، مكنها من كسب جولات عديدة، وإقناع غالبية الأمريكيين من سياسيين وغير سياسيين بان لأمريكا مصلحة إستراتيجية في دعم إسرائيل ووجودها.

وصحيح أن آيباك وزعماؤها ما كانوا ليحققوا هذه المكاسب لولا التقاء إستراتيجيتها مع إستراتيجية الإدارة الأمريكية تجاه فلسطين المحتلة، ولكن على الرغم من ذلك فإننا لا يمكننا أن ننفي الدور البارز لآيباك في العديد من الجولات والمجالات التي خاضتها داخل الولايات المتحدة، وآيباك لا تأخذ في عين الاعتبار وجود إدارة أمريكية معادية لها أو غير منسجمة مع مطالبها وتطلعاتها تجاه إسرائيل.

ومن الاستنتاجات العامة التي يراها المؤلف بالنسبة لآيباك:

تسوق آيباك باستمرار كافة أشكال العلاقة المريبة الإسرائيلية، وتركز على المصالح الأمريكية الناجمة عن هذه العلاقة، كما تعتمد آيباك على جملة من الإدعاءات والمغالطات والإشاعات لتحريك الرأي العام الأمريكي تجاه دعم المصالح الاستراتيجية الأمريكية لإسرائيل باعتبارها مصالح استراتيجية أمريكية في القوت عينه.

إن عملية التسوية في الشرق الوسط والسلام العربي – الإسرائيليين تعتبر بالنسبة لآيباك إحدى ركائز تثبيت في وجود إسرائيل وعدم أمنها واستقرارها لذلك دعت إلى دعم هذه العملية سياسياً واقتصادياً وإن كانت آيباك تبدي أحياناً تطرفاً تجاه هذه المفوضات فإن ذلك ليس معارض للمبدأ غنما من أجل ضمان عدم التنازلات الإسرائيلية، وتأمين الدعم الأمريكي لإسرائيل لعدم التنازل.

وأخيراً إن آيباك تعتمد في خطابها إلى اليهود الأمريكيين أو على الأمريكيين من غير اليهود على جملة مغالطات وذلك من بابا سعيها لتأجيج الشعور القومي لدى اليهود، والعداء للعرب لدى سائر الشعب الأميركي.

ويمكن الإشارة إلى بعض المغالطات من خلال بيانها الوارد في الملحق الثالث على الشكل التالي:

تحاول آيباك الإيحاء للشعب الأمريكي أن إسرائيل هي أفضل الحلفاء الاستراتيجيين للولايات المتحدة من كافة النواحي الاقتصادية والسياسية و...الخ، علماً أن علاقة الولايات المتحدة بإسرائيل تعود عليها بالعديد من العواقب السيئة لجهة دعم إسرائيل مادياً وعسكرياً وسياسياً واقتصادياً على حساب خزينة الولايات المتحدة، إضافة إلى العداء للولايات المتحدة من قبل العديد من الأنظمة والشعوب لموقفها المنحاز إلى جانب إسرائيل.

يذهب عبد الوهاب المسيري إلى أن سر النجاح اللوبي الصهيوني هو أنه يدور في المصالح الاستراتيجية الغربية وانه يعرض دولته الصهيونية باعتبارها أداة، أي أن مصدر نجاحه لا يعود لقوته الذاتية أو لعناصر كامن ة فيه، وإنما سبب اتفاق مصلحته مع مصلحة الغرب الاستراتيجية. والنموذج السائد في الخطاب التحليلي العربي (الرسمي والشعبي) هو عكس هذا، فه يفترض أن نجاح الصهاينة يعود النفوذ اليهودي والصهيوني، فإن زاد الثاني زاد الأول.

ثم جاءت حرب الخليج فأثبتت بما لا يقبل أن أي شك أن الدولة الصهيونية تتحرك داخل إطار المصالح الاستراتيجية الغربية وليس داخل إطار المصالح اليهودية أو الصهيونية الوهمية، فالدولة الصهيونية قد أعدت عبر التاريخ للاطلاع بدور الإدارة العسكرية الكفء، وقد مولها الغرب لهذا السبب، وهذا السبب وحده. ولكن تبين للغرب أن اشتراكها في القتال سيسبب خسارة للمصالح الغربية، فاسم إسرائيل لا يزال كريها لدى الجماهير العربية التي تدرك بفطرتها السليمة طبيعة هذه الدولة الاستعمارية، ووقوف أي دولة عربية في القتال جنباً إلى جنب مع إسرائيل (حتى ولو كان ضد العراق) كان سيؤدي إلى غضب هذه الجماهير وثورتها، ولذا طليت الولايات المتحدة من الدولة الصهيونية أن تنتحي عن دورها التقليدي

وان تلزم القوات الإسرائيلية ثكناتها وأن تتلقى الصواريخ العراقية دون أن تحرك ساكناً. وقد امتثلت الدولة الصهيونية لهذه الأوامر، وسمى هذا ضبط النفس، وسلوك الدولة الصهيونية يبين مدى ذكاء أهل الحكم فيها ومعرفتهم تماماً بقوانين اللعبة.

فتوافق المصالح، وتوافق الإدراك الغرب والصهيوني، هو سر نجاح إسرائيل الإعلامي ومصدر قوة اللوبي الصهيوني وليس العكس، وهي العوامل التي تحدد في نهاية الأمر السلوك الغرب.

فالإعلام واللوبي الصهيوني لا يستمدان قوتهما من كفاءة الصهاينة وإنما من أن إسرائيل وجدت لنفسها مكاناً اخل الاستراتيجية الغربية، ولأنها جعلت نفسها أداة طيعة رخيصة كفئاً لتحقيق هذه الاستراتيجية، وتحيدي القضية على هذا النحو يعني أنا لا نقلل من أهمية اللوبي الصهيوني أو من مقدرته على تعبئة الرأي العام الأمريكي لصالح إسرائيل أو من فعاليته في التأثير على صانع القرار الأمريكي وبخاصة في أمور الشرق الأوسط والصراع العربي الإسرائيلي، ولكننا مع هذا لا نفسر كل سلوك الغرب على أساسه، إذ تظل الأولويات الاستراتيجية التي حددها صانع القرار الغربي هي التي تفسر سلوكه.

ويرى المؤلف عبد الوهاب المسيري أن إدراكنا لهذه الحقيقة سيعمق إدراكنا للواقع وحركياته ويزيد مقدرتنا على التنبؤ والتصدي، وأنه أمر أساسي في تحديد استراتيجية لتصدي لإسرائي، وفي تحديد الأولويات.

أمريكا بلا قناع النفوذ السياسي لليهود

كان لليهود في أمريكا نفوذ على الدوام، لكنه وبعد إقرار مشروع لانج فيش من قبل الكونجرس الأمريكي في عام 1922م وأيضاً يعد المؤتمر اليهودي الذي عقد في مايو عام 1942م في فندق "بالتيمور" بمدينة نيويورك للتحالف مع أمريكا، ازداد ها النفوذ واشتد مع قيام الدولة الصهيونية في فلسطين المحتلة عام 1948م.

فالرؤساء الأمريكيون، منذ عهد توماس ودور ويلسون حتى عهد كلينتون أي منذ الحرب العالمية الأولى وحتى وقتنا الحاضر هم ألعوبة بيد الصهاينة، وسوف نتحدث عن ذلك في هذا القسم والأقسام القادمة، وعندما يأتي الحديث عن إسرائيل.

يسعى الصهاينة إلى احتلال المناصب الحساسة والأساسية في أمريكا بمختلف الطرق والأساليب. ومن تلك المناصب والمواقع مجلسا النواب والشيوخ، فعلى سبيل المثال نجد أن السيناتور "دايون فاينستن"، وهو صهيوني من ولاية كاليفورنيا، يصرف مبلغ 15 مليون دولار لانتخابه، أو الصهيوني الآخر من الولاية نفسها ويدعى " هوفيغتون" " يصرف مبلغ 30 مليون دولار من أمواله للانتخابات التي لم يفز بها!. ومن خلال نظرة إلى قائمة أعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ الأمريكيين، سنجد العديد من الصهاينة ضمن قائمتي النواب والشيوخ.

ولا تغفل الصهيونية الدور الإعلامي من أجل الوصول إلى أهدافهم، فهم يستفيدون من أساليب ومنافذ كثيرة إعلامياً، سواء وسائل الإعلام أو الشركات المنتجة للأفلام، فقد سيطرت الصهيونية على القنوات التلفزيونية المهمة والمحطات الإذاعية، مثل آي بي سي "**ABC**" وسي بي إس "**CBS**" والصحف والمجلات الواسعة الانتشار كصحف نيويورك تايمز"**N.Y Times**" وواشنطون بوست "**Washington Post**" وول ستريت جورنال "**Wall Street Journal**" ونيوز ويك "**Newsweek**" ومجلات تايم "**Time**" ويواس نيوزاند ورلد ريبورت "**U.S News Warld Report**" وشركات طباعة الكتب مثل شركة برنيتك هال "**Prentic Hall**" وسايمن اندشوستر "**Simon Schuster**" وغيرها - هي في الواقع خاضعة لسيطرة الصهاينة.

المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات

المرأة – بالنسبة لليهود- في وضع تبعية كاملة بالنسبة للرجل: تبعية فيزيائية، إذ إنها قد أُخذت منه، وتبعية روحية، بما أنها أقرب للطبيعة، فبواسطة الرجل يمكن للمرأة أن تصل للإله، أما هذه التبعية فلا يمكن للمرأة إلا أن تتمناها، فهي شرط خلاصها. ألم يقل بولس إن الرجل هو مخلص المرأة. والمواقع الاجتماعي للمرأة هو الانعكاس الدقيق لموقعها الديني، فالمرأة قاصر أبدي، معزولة عن الحياة العامة، وقضائياً؛ هي ثروة ملك الرجل. والرجل هو الذي سمى المرأة ، وهذا يشير إلى أنه امتلكها.

وعن المرأة اليهودية ووضعها التوراتي، أصدرت مؤسسة الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية بسوريا كتاب " المرأة اليهودية" لمؤلفه ديب علي حسن، وقد جاء الكتاب في 350 صفحة من القطع المتوسط، وقد قسمه المؤلف لمجموعة من المقالات الصغيرة ، دون أي تبويب، وعلى الرغم من أن الكتاب يتناول المرأة اليهودية – تحديداً- من خلال ما ورد في التوراة المحرفة ، ومن خلال تحكم وسيطرة الحاخامات، إلا أننا نجد أن المؤلف قد خصص الخمسين صفحة الأولى لموضوعات بعيدة تماماً عن موضوع الكتاب مثل أنبياء بني إسرائيل في التوراة والقرآن وهو عبارة عن دراسة مقارنة بين ما ورد في التوراة عن أنبياء بني إسرائيل وما ورد عنهم في القرآن الكريم، ثن تناول المؤلف مكانة المرأة في الحضارات القديمة وأيضاً هو دراسة مقارنة عن وضع المرأة من خلال المقارنة بين وضعها في عصر الجاهلية قبل الإسلام، ووضعها في مصر القديمة، وفي الحضارة الرومانية، وغيرها، ثم انتقل المؤلف بعد ذلك إلى موضوع آخر وهو ملف استراتيجية إسرائيل المستقبلية تجاه الوطن العربي، وحلم إسرائيل الكبرى وقد حاول فيه توضيح حلم إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات وما تفعله إسرائيل لتحقيق هذا الحلم .

بعد هذه التقدمة الطويلة ينتقل المؤلف إلى الموضوع الرئيس للكتاب وهو المرأة ، فيبدأ بوضع المرأة في التوراة، لأنها –أي التوراة- كما يدعون مصدر أحكامهم وهي كتاب الله الذي أنزله على نبيه موسى، ولكن وكما أكدت الدراسات التاريخية ليست التوراة الحالية إلا كتاباً تاريخياً وضعه الحاخامات اليهود بعد أن أخفوا التوراة الحقيقية، ولهذا فهي مليئة بتناقضاتهم ومشحونة بروحهم العدوانية، وسجل حافل لمخازيهم. ووصف المرأة في التوراة يكفي لأن يؤكد هذه الحقيقة.

فتتحدث التوراة عن إبرام وساراي (إبراهيم وسارة) فتجعل من إبراهيم رجل يبيع زوجته، من أجل مصالحه المالية والاجتماعية ، فقد جاء في سفر التكوين " وحدث جوع في الأرض فانحدر (إبرام) إلى مصر ليتغرب هناك، لأن الجوع في الأرض كان شديداً، وحدث لما أن قارب أن يدخل مصر أنه قال لساراي : إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذ رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته فيقتلوني ويستبقونك، قولي إنك أختي ليكون لي خيرٌ بسببك أن تحيا نفسي من أجلك، ورآها رؤساء فرعون فأخذوها إليه وصار لدى (إبرام) غنم وبقر وحمير وعبدان" ما الذي يمكن أن يقال؟ رجل يتزوج امرأة جميلة ويذهب بها إلى مصر يوعرف أن فرعون لن يتركها سالمة؟ لماذا لم يذهب إلى غير مصر؟ لماذا لم يتصرف تصرف الرجال الأحرار؟

إن الإلحاح الذي يبدو من النص يؤكد على أن (إبرام) لم يكن خائفاً على زوجته، بل كان يتاجر بها "ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي". وهكذا يملك إبرام العنم والحمير والعبدان وتحيا نفسه بعد أن يكون قد ضحى بزوجته وأباحها من أجل معبودة المال. ويكرر إبرام فعلته مع أبيمالك ، وتستمر العملية الاحتيالية ثانية ، والرب يتدخل ثانية لينقذ شرف سارة زوجة إبراهيم، هذا النبي الذي يقدمها بأبخس الأثمان، ومع ذلك فإن الرب راض عنه، ومستمر في إكرامه، ودائم العقاب لمن يريدون الزواج من سارة بعد أن تُقَدّم لهم على أنها فتاة ليست متزوجة وأنها أخت إبراهيم.

ا لغريب والعجيب في أنبياء التوراة أنهم دائماً مرتبطون بأحداثلا تمت إلى الواقع الإنساني بصلة، فنساؤهم دائماً من المقدسات، وهن اللائي يؤيدهن الرب كما أيد سارة، إن زواج الأنبياء في التوراة خيالي وعنصري وتلفيقي، ومع ذلك يقدمون هذه الحوادث والوقائع على أنها أمر سماوي. ومن ذلك قصة زواج إسحاق بن إبراهيم فقد جاء في سفر التكوين [إن إبراهيم لما شاخ وتقدم بالسن وباركه الرب وبعد ذلك طلب إبراهيم من خادمه وقال له ضع يدك تحت فخذي فأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض ألا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم بل إلى أرضي وعشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني إسحاق فقال له العبد: ربما لا تشاء المرأة أن تتبعني إلى هذه الأرض، هل أرجع بابنك إلى الأرض التي خرجت منها؟ فقال به إبراهيم احترز من أن ترجع بابني إلى هناك].

ويذهب العبد ويلتقي بفتاة عذراء اسمها رفقة ويخطبها إسحاق بأمر الرب وتزوجها إسحاق، والغريب أن التوراة تذكر قصة لإسحاق ورفقة مع أبيمالك مثل تلك التي حدثت مع أبيه إبراهيم وأمه سارة ، فقد خدع أبيمالك بإدعاءه أن رفقة أخته، إلى أن اكتشف أبيمالك بالصدفة أنها زوجته. والمتابع لقصة إبراهيم وسارة وإسحاق ورفقة من خلال نصوص التوراة سيجد أن الأحداث غريبة، وغير عقلانية، بل وشهوانية وعلى الرغم من ذلك فهي مباركة من السماء، ففي رحلة إبراهيم وسارة إلى فرعون ، وإلى أبيمالك عوملا بالطيب من فرعون وأبيمالك، أكرما وأخذا مالاً وغنماً ، ورعيا في الأرض التي تعجبهما، أكلا من خيرها، عاشا بين الشعب المصري، ومع ذلك كان إبراهيم ناكراً للجميل، كان على نقيض الكرم العربي، رفض أن يزوج ابنه إسحاق من امرأة كنعانية علماً أنه يعيش تحت ظلالهم، طرد هاجر الجارية المصرية بعد أن طلبت منه سارة فعل ذلك وقد أيدها الرب بهذا الطلب كما يزعمون.

من هذا السيناريو تبدأ الحكاية الأولى، حكاية تقديم النساء لاصطياد ولحبك المؤامرات ومعرفة الأسرار والتمكن من الدخول في عوالم الآخرين وتخريبها والاستيلاء على أراضيهم وتحقيق أطماع اليهود في السيطرة والربح، إنها المصلحة والأنانية والحقد على كل ما هو إنساني، وهذا ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون .

وفي نص غريب في سفر صموئيل الثاني يقول : كانت لأمنون بن داود أخت جملية جداً فأحبها ومرض من أجلها، وكان صديقه يوناداب رجلاً حكيماً فسأله لماذا أنت بهذه الحالة فقص عليه أمره، وقال به يوناداب : إذا جاءك أبوك فقل له: دع ثامار أختي تأتي وتطعمني خبزاً وتعمل أمامي الطعام لأرى فآكل من يدها، فاضطجع أمنون وتمارض، وجاء الملك ليراه، وقال له أمنون ما سمعه من صديقه الحكيم فأرسل داود إلى ابنته ثامار قائلاً: اذهبي إلى بيت أمنون أخيك واعملي له طعاماً، فذهبت ثامار إلى بيت أمنون أخيها وهو مضطجع وأخذت العجين وعجنت وعملت كعكاً أمامه وخبزت الكعك وأخذت المقلاة وسكبت أمامه فأبى أن يأكل، وقال أمنون أخرجوا كل إنسان عني، فخرج كل إنسان عنه، ثم قال أمنون لثامار: أتي بالطعام إلى المخدع فآكل من يدك فأخذت ثامار الكعك الذي عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع وقدمت له ليأكل فأمسكها وقال لها تعالي اضطجعي معي يا أختي، فقالت له: لا يا أخي لا تذلني وقالت : كلم الملك لأنه لا يمنعني عنك، فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها، ثم أبغضها بغضة شديدة جداً حتى إن البغضة التي أبغضها إياها كانت أشد من المحبة التي أحبها إياها، وقال لها أمنون قومي انطلقي، فقالت له : لا سبب، هذا الشر بطردك إياي هو أعظم من الآخر الذي عملته بي.

يقف المرء مذهولاً أمام هذه الواقعة، إمرأة لا تجد إلا الغدر والخيانة من أقرب المقربين إليها أهلها، لقد أصبحت المرأة اليهودية بنظر أهلها مجرد نزوة وغريزة، الأخ يغتصب أخته، والحمو يزني بكنته، ويدعي أنها زانية ولم يعرفها، وتلك تبكي لأنها ستموت عذراء وذاك يدخل على نساء أبيه ويتخذهن نساء له.

إن مثل هذه الوقائع إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الرذيلة كانت وما زالت متفشية ومنتشرة بشكل كبير بين اليهود وامتدت إلى أقدس العلاقات الاجتماعية فأصبحت المرأة لا تأمن أن تُباع لقاء دراهم قليلة والأخت أصبحت تخاف أن تظل وحيدة مع أخيها والأم تخشى ابنها، إنه تاريخ حافل بالعهر والخيانة، صفحات تسجل غدر وخيانة وفحش اليهودي القذر أبد الدهر.

وبعد أن تناول المؤلف مخازي أمنون بن داود انتقل إلى مخازي أبيه، وجل النبي داود أن يكون هو المقصود بهذا على الرغم من أن التوراة تشير إليه والحادثة تنسب إليه، لكن من المؤكد أن اليهود أساؤوا للأنبياء جميعهم بمحاولتهم إلصاق التهم بهم، وتشويه أفعالهم ، لا شك أن اليهود حاولوا أن يسوغوا جرائمهم وفضائحهم فكان أن نسبوها للأنبياء، وكأنهم يريدون أن يقولوا : إذا كان أنبياؤنا هكذا، فما بالنا نحن ؟!!

فداود كما تحكي التوراة يتخلص من رجل من رعيته ليأخذ زوجته ويضطجع معها وتحبل منه، إنها مهزلة تاريخية، فداود التوارة وابنه وجهان لعملة واحدة ولا يمكن أن يكونا غير ذلك، لقد عرف داود بما فعله ابنه مع أخته ثامار وتجاهل الأمر وكأن الأمر عادي وطبيعي ومن ثم جاء دور داود ولعله تذكر فعلة ابنه فأشاح بوجهه وصمت.

دائرة السوء والفساد تتسع والأخلاق اليهودية، أخلاق من يدعون أنهم شعب الله المختار تبدو واضحة جلية، نساؤهم يقدمن أنفسهن لرجال غير أزواجهن، ملوك يقتلون رعاياهم ليتزوجوا نساءهم بعد أن يكونوا قد فتكوا بهن ويقولوا بعد ذلك إنهم أنبياء ؟!!

قد تساوم المرأة اليهودية في البداية وربما كانت مساومتها من أجل الأجر وزيادة المكسب، إنهن النساء المقدسات نساء التوراة اللائي تفوح منهن رائحة القذارة والزنا، ومع ذلك فإنهن وحسب معتقدات اليهود مقدسات ومؤيدات من الرب، رب بني إسرائيل الذي فصّلوه على هواهم وحسب تاريخهم الأسود.

وعن كون التوراة قاموس الفسوق والعصيان والزانيات يقول المؤلف إن التوراة تحفل بآلاف الصور المخزية للمرأة مثل تلك التي سبق وذكرناها وما هو إلا جزءاً يسيراً مما هو مبثوث في ثنايا التوراة فعلي سبيل المثال : تتردد كلمة زنا في التوراة بشكل كبير، فكل مقطع من أسفارها يروي حكاية مدينة دُمرت فهو يحفل بمثل هذه الرموز.

وعن المرأة واليهودية وتضحية الغيرة يقتبس المؤلف كلام د. حسن ظاظا الذي قول فيه :" من هنا انبثق في نفوسهم الخوف من المرأة وأعبروها (نجسة) دينياً، وكان نتيجة الخوف من المرأة فقدان الثقة بها وباستقامتها، وانقلب عدم الثقة بها إلى نوع من الهاجس والوسواس، وتمكن اتهام المرأة في عفتها في نفوس اليهود، حتى خُصص لها تشريع في التوراة التي بين أيديهم طقوس خاصة تسمى طقوس الغيرة.

الفكر الديني اليهودي يصنف المرأة في الواجبات الدينية في غمار العبيد والأطفال فلا تقبل شهادتها أمام القضاء ولا يسمح لها بدراسة التوراة وكانت تعزل في مكان خاص في المعبد المركزي للحج، والمعابد الأخرى للصلاة، باختصار كانت النظرة إليها تحمل الرزاية والاحتقار والاستعاذة من شرها.

ومن الوصايا الفضائحية يقول التلمود " من يحلم أنه ارتكب الفاحشة مع أمه يمكنه أن يصير حكيماً لأنه جاء في سفر الأمثال دُعيت الحكمة أماً، ومن يحلم أنه ارتكب الفاحشة مع خطيبته له أمل كبير بإنارة نفسه، ومن يحلم أنه ارتكب الفاحشة مع امرأة قريبه يحصل على السعادة الخالدة".

و من مهازل التلمود أيضاً :" إن البنت لها من العمر 3 سنوات ويوم واحد تكون خطبتها بالمضاجعة، ولكن إذا كان عمرها أقل من 3 سنوات يلتزم خطيبها بإزالة بكارتها" ويشرح التلمود في محل آخر جمهوراً من الحكماء الأولين كانوا ينادون جهاراً في كل مدينة ينزلون فيها ولا يجدون لهم امرأة : من النساء تريد أن تكون لهم امرأة بضعة أيام.

و تناول المؤلف بعد ذلك وضع المرأة اليهودية حالياً خلال دولة إسرائيل ، ويبدو أنها لم تكن أفضل حالاً من المرأة خلال التوراة ، ويمكن رسم الخطوط الأساسية لصورة المرأة اليهودية في التوراة وفي المعتقدات الدينية اليهودية وفي وضعها الاجتماعي داخل دولة إسرائيل وقد أوجزها المؤلف بما يلي:

أُستخدمت المرأة في التجسس وكانت وسيلة دنيئة لغاية أسوأ وأدنأ.

كانت راضية وراغبة في كل الأدوار التي قامت بها.

كانت عبارة عن سلعة تباع وتشترى، وعلى زوجها أن يخدم مدة طويلة عند أهلها من أجل أن يتزوجها.

إذا مات زوجها تبقى تنتظر أخوة زوجها حتى يكبروا ليتزوجها واحد منهم.

شاركت في الغدر وتنفيذ مخططات القتل والتدمير.

كانت عاهرة، ومع ذلك، فإنها مؤيدة من رب اليهود.

قُدست بعض النساء لأنهن شاركن في الغدر والقتل والدمار.

نشر اليهود الرذيلة والفضيحة من خلال تجمعاتهم وحاولوا نشرها بين الشعوب التي استقبلتهم وقدمت لهم يد العون والمساعدة.

كثرت الزانيات والساقطات اليهوديات.

أصبح الزنا مهنة شبه رسمية تحترفها النساء اليهوديات، وكن يقفن على قارعات الطرق يولبسن الخمار دلالة على المهنة.

زنا اليهودي يجب أن يتم مع يهودية، ويجب إبعاد غير اليهود.

لم تتقيد النساء اليهوديات بالزنا مع اليهود، بل تجاوزن اليهود إلى غيرهم من الشعوب المحيطة بهم، وهذا ما أثار حنق وغضب الحاخامات اليهود.

على الرغم من أن اليهودي كان يعتبر الزنا عاراً لكنه كان يسكت عليه.

تُعيّر المرأة الزانية التي لا تأخذ أجراً، وتوصف بأبشع الأوصاف.

العلاقات الأسرية والزوجية لم تكن على ما يرام، فالأب يدعو أبناءه للثورة على أمهم لأنها زانية، والأخ يغتصب أخته، والحمو يفتك بكنته.

ازدادت الرذيلة وانتشرت بشكل كبير بين اليهود لذا شعر حاخاماتهم بضرورة إيقاف الانهيار الأخلاقي، وعلى الرغم من ذلك لم تكن محاولاتهم جادة، لأنهم بواسطة الدعارة يستغلون النساء ويحصلون على ما يشاؤون، فلذلك لم تكن عقوبة الزانيات كبيرة حتى في الوقت الذي حارب الحاخامات الزنا.

يمنع على اليهودية الزواج من غير اليهودي، إلا إذا كانت تخدم مصلحة يهودية، وكذلك اليهودي يحرم عليه الزواج من غير اليهودية إلا إذا كان يريد المتعة من هذا الزواج.

و صفت التوراة المرأة بأنها كانت تدفع أجراً في بعض الأحيان لمن يزني بها.

صبغت صبغة الزنا كل معالم الحياة اليهودية، فالتوراة تصف أشياء كثيرة بصفات الزنا والرذيلة.

كل النساء غير اليهوديات حلال لليهودي.

المرأة اليهودية نجسة لمدة أسبوع إذا كانت حائضاً ويصبح نجساً من يأكل معها أو يلمسها أو . . .

لم تورد التوراة قصة حب حقيقية أو تضحية شريفة.

قوانين التوراة تسفه المرأة وتجعلها كائناً حيوانياً.

القوانين التي تحرم الزنا وتحث على القيم الأخلاقية تتناقض مع واقع المرأة اليهودية.

أساطير الصهيونية

عن سلسلة الأساطير التي قامت عليها الصهيونية أصدرت مكتبة الشروق الدولية الترجمة العربية لكتاب"أساطير صهيونية" لجون روز، وقد قام بالترجمة العربية الدكتور قاسم عبده قاسم، ويفند هذا الكتاب، فصلاً فصلاً، أساطير الصهيونية، أسطورة بعد أسطورة.

وقد جاء الكتاب في283 صفحة من القطع المتوسط،ويتكون من عشرة فصول تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة.

الفصل الأول من الكتاب تناول استخدام بن جوريون الفاحش جداً للأساطير الدينية، وديفيد بن جوريون أعظم صناع الأساطير الصهيونية، وهو أول رئيس وزراء إسرائيلي أكثر زعماء الصهيونية نجاحاً في القرن العشرين. وقد استخدم بن جوريون بحذق ومهارة، خفة اليد الثقافية، لكي يتلاعب -باحتراف- بقصص الكتاب المقدس، بحيث تناسب المزاعم السياسية الصهيونية على الأرض الفلسطينية.

ويفند الفصل الأول هذا الاستخدام للأساطير الدينية، وبالتحديد أسطورة أن الكتاب المقدس "فوضه أمر" إعلان دولة يهودية في فلسطين. لقد كان ديفيد بن جوريون، المولود في بلونسك، بولندا، سنة 1886م، جزءاً من جيل من الشباب اليهودي في الإمبراطورية الروسية الذين صدمتهم تجاوزات المذابح، وأعمال الشغب المعادية لليهود، والهجمات القاتلة على الجماعات اليهودية. وقد صار بعض هؤلاء الشباب اليهود أعضاء في الحركة الصهيونية، وقليل منهم، كان بن جوريون من بينهم، ذهبوا للعيش في فلسطين. وكانت هناك بالفعل مستوطنات زراعية يهودية قليلة في فلسطين التي كانت ي ذلك الوقت تجزءاً من الإمبراطورية العثمانية. وسرعان ما اكتشف بن جوريون أنه على الرغم من أن هذه المستوطنات تم بناؤها على أرض تم شراؤها من ملاك الأرض العرب الغائبين، فإن الفلاحين الغاضبين لأسباب منطقية والذين تم طردهم من الأرض قد عادوا لشن غارات مسلحة. وفي وقت باكر منذ سنة 1909م نجد بن جوريون، وبيده البندقية، مستعداً للدفاع عن مستوطنة زراعية في الجليل.

وقد ترك بن جوريون بصمته على السياسات الصهيونية في فلسطين مباشرة. فقد كان في المؤتمر التأسيسي لبوال زيون (أي حزب العمال العبرانيين الديمقراطي الاشتراكي في فلسطين) ولقد كان السياسي الصهيوني الأشهر في القرن العشرين -بن جوريون- يقدم تعبيراً حديثاً عن أسطورة أصولية تماماً من الكتاب المقدس ، وهي أسطورة تمثل قلب الصهيونية. فكما جاء في العهد القديم، كانت مملكة إسرائيل اليهودية القديمة والتي تُدعى أحياناً إسرائيل القديمة وتسمى أحياناً مملكة داود وسليمان المتحدة، كانت موجودة من حوالي سنة 1000 حتى سنة 922 ق.م. ويزعم أنها كانت أقوى دولة والأكثر رخاءَ بين دول شرق المتوسط في ذلك الوقت، وتبسط سيادتها من نهر الفرات في بلاد الشام حتى تخوم مصر (وادي العريش) شمال سيناء.

وتتطابق هذه الحدود مع الوعد الذي يقال إن الرب قد أعطاه إبراهيم أبي الأنبياء ومسجل في سفر التكوين، الذي هو الفصل الافتتاحي في الكتاب المقدس:" وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً. وأكون إلههم". هذا هو الأساس الذي يقوم عليه المفهوم الجغرافي السيئ للرؤية الصهيونية. وهي خليط قوي من اليهودية القديمة والقومية الحديثة، التي تحتفي بالوعد الذي أعطي لإبراهيم، وتزعم أن مملكة داود هي تعبيرها السياسي ونموذجها الحديث للشرعية في حد ذاته.

وينبه المؤلف القارئ إلى خاصية مفزعة بشأن بن جوريون وهي خاصية يشترك فيها مع غيره من زعماء الحركة الصهيونية. ذلك أن بن جوريون لا يؤمن بشكل خاص بهذه القصة الواردة في الكتاب المقدس،أو بأية قصة أخرى بهذا الشأن ولكن ما كان يهمه –كما قال- هو أن يهوداً كثيرين يصدقونها بالفعل. وكان هذا كافياً. فلا يهم ما إذا كان الاعتقاد صحيحاً أم لا. إعطاء معنى لهذا النظام العقائدي الغريب، هو من الأعراض العامة المتأصلة للأيديولوجية الصهيونية.

ويخلص الفصل إلى النظر في كيفية أن علماء الآثار يتوافقون مع ما يعتبر ثورة عقلية في التفكير حول فلسطين القديمة، وكيف أنهم وجدوا أنفسهم –دونما قصد- يتحدون الأسطورة الصهيونية التي هي جوهر الهوية الإسرائيلية الحديثة.

ويتحدى الفصلان الثاني والثالث أساطير "النفي" و "المعاناة" ففي الفصل الثاني نرى كيف أنه في وقت سقوط المعبد بالقدس، منذ حوالي 2000 سنة، كان معظم اليهود يعيشون خارج فلسطين، مبعثرين في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية وما وراءها، ولم تكن بابل استثناء في ذلك.

أما الفصل الثالث فيواجه طبقة التجار اليهودية، في أوربا العصور الوسطى إلى أسطورة "المعاناة". ولا يوجد شك في أن الدور الاقتصادي اليهودي في أوربا العصور الوسطى كان يمكن أن يفاقم، بل ويحفز نزعة عداء السامية التقليدية في المسيحية. ولكن الصهيونية تحكي جانباً واحداً فقط من القصة. إذ كان الحكام المسيحيون على استعداد دائم لحماية رعاياهم اليهود الذين كانوا ناشطين اقتصادياً وفي غاية النجاح أحياناً. وعلى أية حال، فإن الصهيونية تتخلص من المناقشة الجادة، دعك من التحليل للدور الاقتصادي اليهودي في التاريخ الأوربي الباكر.

هذا محض نفاق، إذ كان على الصهيونية أن تواجه الصورة غير المتوافقة زمنياً "للتاجر والمالي اليهودي" التي عاشت إلى ما بعد حركة التنوير الأوربية بنفس الروح التي عمرت بها الحركات اليهودية الأخرى الأهم كثيراً والتي خرجت من رحم التنوير والاندماجيين والاشتراكيين. و"شيلوك" الشخصية اليهودية المثيرة للجدل التي ابتدعها شكسبير، ينتمي بجذوره إلى هذا التاريخ اليهودي الأوربي الباكر. لا يمكنك أن تتجاهل "شيلوك"، إنما عليك أن تشرحه. ويحاول الفصل الثالث أن يقدم مثل هذا الشرح.

وفي الفصل الرابع يفحص المؤلف العلاقات العربية-اليهودية في ذروة الحضارة الإسلامية، فيما بين القرن العاشر والقرن الثالث عشر تقريباً، ويتحدى هذا الفصل بالإضافة إلى الفصل العاشر -الذي يدرس العلاقات العربية-اليهودية في الفترة الحديثة، باعتبارها الخلفية لفهم الكيفية التي يمكن بها تحقيق المصالحة العربية اليهودية- يتحدى الفصلان الأسطورة الصهيونية الأصولية القائلة بأن العرب واليهود مختلفون (بما يعني ضمناً في العادة أن العرب هم الأدنى) بالقدر الذي لا يجعل من الممكن أن يتعايشوا سوياً.

ويفند الفصل الخامس النصف الأول من الأسطورة الصهيونية الشهيرة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" ويتناول هذا الفصل الفلاحين الفلسطينيين الذين عاشوا على مدى القرون في هذه الأرض الخاوية. فهل يمكن أن يكون هذا صحيحاً؟ هل كان الصهاينة يذبون ببساطة؟ هل كان الناس موجودين وغير موجودين في الوقت نفسه على نحو ما؟ هذا ما يقوله رئيس وزراء إسرائيل شمعون بيريز زعيم حزب العمل سنة 1986م." إن الأرض التي جاء إليها المستوطنون اليهود، وهي فعلاً الأرض المقدسة، كانت جرداء وغير جاذبة؛ أرض كانت قد تركت خراباً مليئة بالمستنقعات والملاريا، تفتقر إلى الموارد الطبيعية. وفي الأرض نفسها عاش قوم آخرون، قوم أهملوا الأرض ولكنهم عاشوا عليها. والواقع أن العودة إلى صهيون كانت مصحوبة بعنف لا يتوقف في صدام مع السكان العرب القليلين".

وفي الكونجرس الصهيوني الثاني، الذي عقد سنة 1898م، في مدينة بازل في سويسرا، قصة أخرى مختلفة مؤداها أنه كان هناك 650 ألف عربي يعيشون على الأجزاء الأكثر خصوبة من "أرضنا".

ويحاول الفصل الخامس أن يعيد الحياة للجماعات الفلاحية العربية في الأرض الخاوية بفلسطين قبل وصول الصهاينة في القرن التاسع عشر.

أما الفصل السادس فيفند النصف الثاني من الأسطورة ذاتها " لشعب بلا أرض" فبحلول سنة 1880م، كانت غالبية يهود العالم البالغ عددهم ثمانية ملايين تقريباً تعيش في شرق أوربا، وكان هناك حوالي أربعة ملايين يعيشون في الأراضي التي حازتها الإمبراطورية القيصرية الروسية في غمرة توسعها غرباً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. هذه المنطقة التي امتدت من ليتوانيا في الشمال إلى البحر الأسود في الجنوب، ومن بولندا في الغرب إلى روسيا البيضاء وأوكرانيا في الشرق، صارت معروفة بأنها نطاق الاستيطان.

أدت السياسات المعادية التي انتهجها القياصرة المتعاقبون إلى تركيز اليهود في هذه المنطقة. وحسب الأسطورة الصهونية، كان أولئك اليهود يشكلون "شعباً بلا أرض".

ويكشف الفصل السابع أسطورة مزاعم الصهيونية بشأن الاستقلال الوطني اليهودي والتحرير، يمكن مقارنتها بنضال الشعوب المقهورة في أماكن أخرى بالعالم في القرن العشرين. فالحقيقة أن الصهيونية مثلت حركة في الاتجاه المضاد. وبعد الحرب العالمية الأولى، ساعدت على تقوية الحكم الاستعماري البريطاني على العالم العربي. وبعد الحرب العالمية الثانية، لم تكن الدولة اليهودية المختلقة حديثاً سوى رصيد استراتيجي لمخططات الولايات المتحدة الإمبريالية الجديدة للمنطقة العربية. وفي كل من الحالين، كانت الصهيونية معتمدة على القوى الإمبريالية الغربية تماماً.

فيكشف الفصل السابع كيف إن إعلان بلفور سنة 1917م، الذي مهد الطريق أمام الدولة اليهودية، له جزور أعمق مما يدرك معظم الناس. ذلك أن آرثر بلفور، الوزير البريطاني المحافظ الذي ارتبط الإعلان باسمه، كانت تحركه معتقدات معادية للسامية. ولم تنتقل عدوى معاداة السامية المنسوبة إليه إلى بقية وزارة ديفيد لويد الحربية فقط؛ وإنما ذعن إليها بسعادة الزعماء الصهاينة من أمثال جاييم وايزمان.

و يكشف هذا عن جانب من الصهيونية مزعج تماماً، وعادة مخيفاً، وهو الاستعداد لدعم الآراء الأوربية المعادية للسامية عن اليهود. فالزعماء الصهاينة كانوا على استعداد تام لأن يقولوا للسياسيين الأوربيين الذين يتصرفون من منطلق رد الفعل" في بلادكم يهود أكثر مما ينبغي؟ ساعدونا على التخلص منهم في فلسطين".

كذلك يناقش الفصل السابع زعماً غير عادي، بأن الدافع الأساسي وراء إعلان بلفور كان اعتقاد وزارة الحرب البريطانية، بأن القوة اليهودية في أمريكا وروسيا سوف تساعد على تقوية مركز الحلفاء في الحرب ضد ألمانيا.

ويتحدى الفصل الثامن أسطورة أن الهولوكوست أو ما يسمى مذابح النازية ضد اليهود يقدم حالة لا يمكن الرد عليها في الدفاع عن الصهيونية. فبينما لا يوجد شك في أن الهولوكوست يشكل إحدى أخطر الجرائم في التاريخ الإنساني –كما يقول المؤلف- فإن ذلك لا يبرر اختلاق دولة يهودية قائمة على أساس الإقصاء العنيف لشعب آخر من أرضه، وهو ما حدث بالضبط سنة 1948م. لقد كانت تلك لحظة فاصلة بالنسبة لكل من الصهيونية والفلسطينيين الذين يذكرونها باعتبارها نكبة. وبالإضافة إلى أن ما حدث هو أبعد ما يكون عن كونه رد فعل مشروع للهولوكست، فإن الهولوكوست إذا ما تذكرناه بشكل صحيح هو نفسه يدين الأفعال التي تسحب الأساس الأخلاقي من أولئك الذين يستغلونه على هذا النحو.

ويجادل الفصل الثامن من خلال استخدام كتابات وتحليلات حول الهولوكوست، بأن الرفض الأيديولوجي الأعمى لفهم الحقائق السياسية للشعب الفلسطيني، له قدرة في حد ذاته على جعل الصهيونية حركة راديكالية، مما يغريها بتصرفات عنيفة أشد من ذي قبل ضد الشعب الفلسطيني.

والجميع يعلم من تاريخها القصير والدموي كيف يمكن أن يتحول هذا العنف إلى تطهير عرقي. وهناك دلائل تاريخية صادمة من قرية دير ياسين الفلسطينية سنة 1948م وفي معسكرات اللاجئين الفلسطينيين في صابرا وشاتيلا ببيروت سنة 1982م. وقد صك كاتب إسرائيلي راديكالي مصطلحاً جديداً لهذه العملية هو **Politicide** ، بمعنى إيجاد نهاية للوجود "الفلسطيني" التي ترمز إليها سياسات الزعيم الإسرائيلي آرييل شارون.

وتتسم الدولة اليهودية بعجز فطري عن الاعتراف بمسئوليتها عن النكبة، وفي الحقيقة فإن ظل اللاجئ الفلسطيني قدر سيطاردها إلى الأبد، مادياً، وسياسياً، وأخلاقياً، ونفسياً، ثم عسكرياً في نهاية الأمر. إذ إن حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة التي كان يقودها ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية، تضرب بجذورها العميقة في معسكرات اللاجئين المنتشرة في معظم أنحاء العالم العربي. وعلى الرغم من أن الأمر استغرق عشرين سنة لكي تظهر منظمة التحرير الفلسطينية، فإنها كانت بالنسبة للدولة اليهودية الوجه الآخر السالب. لقد كان للمنظمة الحلق السياسي والأخلاقي في أن تطالب باعتراف على أسس عادلة واعتراف بطلبها العادل للعودة لأرض فلسطين. ويجسد الاستشهادي الذي يفجر نفسه بالقنابل في مطلع القرن الحادي والعشرين إخفاق الدولة اليهودية في فهم هذا. ففي بعض الأحيان يكون الاستشهادي هو اللاجئ الذي لم يسمح له بالعودة إلى وطنه.

وفي النهاية فإن هذا الكتاب يقترح الحاجة الملحة لتاريخ يهودي بديل، سواء القديم أو الحديث، بدلاً من التاريخ الذي أقحمه الصهاينة علينا في القرن العشرين، فإن هذا يكون إضافة جيدة -على حد تعبير المؤلف- وقد كان الكتاب من البداية إلى النهاية منصباً فقط على هدم التاريخ الأسطوري الذي اصطنعته الصهيونية.

الموساد الإسرائيلي وحرب الجواسيس مع مصر

تأليف: فؤاد درويش معمر

جاء هذا الكتاب في 93 صفحة وتألف من مقدمه وعدة موضوعات كما يلي:

جاء في المقدمة أن هذا الكتاب هو الجزء الثاني من سلسة (مدافع بني صهيون) وأنه يسرد قصة الموساد الإسرائيلي وحرب الجواسيس مع مصر، ولم يكن الهدف من إصداره إثارة المزيد من الأحقاد أو الدعوة لتجديد الصراع وإنما هو دعوة من اجل بيان الأسباب التي إذا لم تتوقف فلن ينعم أحد في المنطقة بالأمن والسلام.

الموضوع الأول (البدايات) وتناول فيه المؤلف أنه كانت المنظمات الإسرائيلية المقاتلة من أجل طرد الفلسطينيين من وطنهم قبل عام 1948، تتلقى تقاريرها الاستخبارية من جهاز أطلق عليه اسم (شاي) اتخذ من المبنى رقم (85 9 في شارع بن يهودا بمدينة تل أبيب مقراً له، تحت اسم(خدمات استشارية) ضم مجموعة ممن يطلق عليهم الآباء المؤسسون للوكالات السرية.

ثم أعيد بناء الأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية لتتكون من أربعة أجهزة هي:

جهاز (أمان) برئاسة أيسر بيري، وجاء بعده العقيد حاييم هيرتروغ الذي أصبح رئيساً لدولة إسرائيل عام 1938.

جهاز (شين بيت) وهو اختصار لعبارة (شيروت هابيتانون) بمعنى جهاز الأمن العام، وكان برئاسة أيسر هاريل، وابرز من خدموا في هذا الجهاز رئيس الوزراء الأسبق اسحق شامير.

جهاز الأمن الخارجي ، واتبع لوزارة الخارجية برئاسة (بوريس غوريل).

جهاز الموساد (هاموساد لي آليه بيت) وكان يعرف آنذاك باسم معهد (آليه بيت) برئاسة شاؤول افيغور.

بالإضافة إلى هذه الأجهزة كان (روفن شيلوه) المستشار الخاص لديفيد بن غوريون يقود جهاز خاص ، مهمته متابعة الشئون الخارجية الاستراتيجية.

ثم يتناول المؤلف في الموضوع الثاني (الموساد): تأسس الموساد رسميا في 1951/3/2 بأمر من رئيس الوزراء آنذاك ديفيد بن غوريون لإقامة هيئة لجمع المعلومات باسم (موساد ليئوم) أو هيئة التنسيق، ويتراوح عدد مستخدمي الموساد حسب تقدير صحيفة (عل همشمار) الإسرائيلية بين 1500 – 2000 عنصر، بينهم 550 ضابطاً

ويتمتع جميع المستخدمون بالعديد من الامتيازات منها إضافة 30% على الراتب بدل خطر وإدخال بضائع من الخارج بدون جمارك، بالإضافة إلى إمكانية الحصول على سكن بسرعة ، وخدمات كثيرة بأسعار منخفضة ، ويبقى الموساد بعيداً عن المراقبة في ميزانيته غير المحدودة، وقد تصل الأمور إلى أن لجنة الخارجية والأمن في الكنيست لا تعرف عن هذا الجهاز أو ما يجري فيه إلا القليل.

وحسب ما جاء في الوثائق التي كشفتها إيران عقب السيطرة على السفارة الأمريكية في طهران فان الموساد يضم تسع دوائر هي:

دائرة تنسيق وتخطيط العمليات.

دائرة تجميع المعلومات السرية والمهمة.

دائرة العمليات السياسية والعلاقات التبعية والودية.

دائرة شئون الكادر الوظيفي والمالية والأمن.

دائرة شئون التدريبات والتنظيم.

دائرة التحقيقات.

دائرة العمليات التكتيكية.

دائرة الشؤون التكنولوجية.

المديرية العامة للمصادر والتجهيزات.

ثم يتناول المؤلف في الموضوع الثالث (العلاقة مع المخابرات الدولية) ويتحدث عن ارتباط الموساد بعلاقات حميمة مع المخابرات المركزية الأمريكية (سي ، آي ، ايه) ولتنظيم هذه العلاقة أنشأت المخابرات المركزية القسم اليهودي ضمن جهازها عام 1953.

بالإضافة إلى علاقة الموساد مع مخابرات الحلف الأطلسي فهو يشارك بشكل دائم في التحقيق مع الموقوفين العرب في الدول الأوروبية الغربية ويستغل ذلك لكسب عملاء له.

كما أنه كانت هناك علاقة في مجال الأمن والجاسوسية بين الموساد والسافاك الإيراني عهد الشاه ومركز الأمن القومي التركي، وتقوم علاقات بين الموساد والمخابرات في بعض الدول الأفريقية (زائير – ليبيريا – كينيا – غانا – جنوب إفريقيا) علاقات أمنية قويه جداً.

ولا يخفى أن هناك علاقة بين الموساد ومخابرات أمريكا اللاتينية (البرازيل – الأرجنتين – الاوراغوي – المكسيك – كوستاريكا – بنما – الدومينيكان – كولومبيا – الأكوادر – بيرو – والسلفادور)، كما توجد علاقة بين الموساد ومخابرات كوريا الجنوبية وتايوان وتايلاند واندونيسيا، كما قيمت علاقة بين الموساد والمخابرات المصرية بعد اتفاقية كامب ديفيد.

ثم يتناول المؤلف أساليب الموساد في العمليات الاستخبارية تحت عنوان (أساليب مخابراتية) وهي تتلخص في:

العميل المزدوج.

تجنيد يهود من الدول العربية.

شبكات التخريب.

عمليات السرقة.

عمليات الاغتيال.

ثم يبين المؤلف دور المخابرات العسكرية (أمان) ، تحظى المخابرات العسكرية الإسرائيلية (أمان) بمكانة السيطرة على كافة النشاطات الاستخباراتية الإسرائيلية داخل إسرائيل وخارجها، وهي الأكبر من ناحية الكم، وتضم قرابة (7000) عنصر منهم حوالي (500) ضابط.

ويقع على عاتق (أمان) مهمة جمع المعلومات عن القوات العسكرية العربية ، وقياداتها، وتكليف دائرة المخابرات التكتيكية بتعقب الوحدات القتالية، وتشرف (أمان) على متابعة الوضع الأمني داخل وحدات الجيش النظامية وشبه النظامية.

ثم تناول المؤلف أقسام المخابرات العسكرية: تضم الاستخبارات العسكرية الأقسام التالية:

قسم المعلومات.

المقر العام.

شعبة التعليم.

شعبة البحوث وإعداد التقارير.

شعبة الأمن وقسم المعلومات الخارجية.

وتناول الأمن العام (الشين بيت)، وتأسست الشين بيت عام 1948، ومهمتها الأساسية فقط، الأمن ومكافحة التجسس داخل إسرائيل، وجمع المعلومات السرية عن التنظيمات السياسية، ويتركز جزء كبير من نشاطها على مراقبة العرب في الجليل والمثلث والنقب والضفة الغربية وقطاع غزه.

ثم يتناول حرب الجواسيس في مصر ويتحدث عن عملية سوزانه:

في العشرين من أيلول (سبتمبر) 1952، قدم روفن شيلوه استقالته لرئيس الوزراء ديفيد بين غوريون ، الذي عين (أيسر هارتيل) بدلاً منه في رئاسة الموساد.

وبعد أن أصبح هاريل مسؤول عن كافة الأجهزة السرية في إسرائيل وطلب من أمان تصعيد العمليات في مصر فأرسلت أبراهام سبينورغ والذي أطلق على نفسه اسم افري ألعاد حيث وصل القاهرة في كانون الأول عام 1953 وكان هو المكلف بعملية سوزانه التي تهدف إلى تفجير مؤسسات أمريكية وبريطانية لإثارة غضب الدولتين ضد عبد الناصر، والتي باءت بالفشل الذريع وكانت السبب فيما يسمى (فضيحة نافون).

ثم يتحدث المؤلف عن قصة التخطيط لاغتيال د. بطرس غالي قبل أن يصبح أميناً عاماً للأمم المتحدة التي كان مكلف بها الجاسوس فارس مصراتي الذي وفد إلى مصر هو وأسرته بحجة البحث عن جدهم شاكر مصراتى.

ثم يأتي الحديث عن دور الموساد في تزويد الجماعات بالسلاح في مصر كما روى عميل المخابرات الإسرائيلية فيكتور أو سترفسكى الذي يعيش وأسرته متخفياً في كندا منذ هروبه من إسرائيل بعد إقصائه من جهاز الموساد عام 1986، حيث يبين دور الموساد في تزويد تلك الجماعات بالسلاح الأمريكي الصنع الذي يرسل عبر سناء بواسطة عملاء من البدو.

ويبين المؤلف استخدام الموساد الجنس كوسيلة لتجنيد العملاء حيث يروي قصة الجاسوس المصري عماد الدين عبد الحميد إسماعيل الذي قبض عليه في عام 1996.

ثم يتناول الكتاب قصة الجاسوس الإسرائيلي عزام مصعب عزام الذي كان يعمل ضابط في سلاح الأقليات بالجيش الإسرائيلي وهو عربي درزي ووفد إلى مصر للعمل في مصنع (كفرون) للنسيج مع شقيقه رمزي والقي القبض عليه ليلة الأربعاء 1997/11/6 في فندق البارون بمصر الجديدة.

ويتحدث الكتاب عن استخدام الموساد الإغراءات المالية كوسيلة لتجنيد عناصر للعمل معه وتجسد ذلك في محاولة تجنيد (سحر سيد عمر) المقيمة بالدرب الأحمر ، والتي كانت في زيارة إلى رفح الحدودية عن طريق عوض موسى ثابت زعرب و صباح عراضه حيث تم القبض عليهما.

وكذلك استخدما الموساد للمخدرات كوسيلة للإيقاع بالجواسيس وتمثل ذلك في قصة الجاسوس عامر سليمان ارميلات عام 1977 عندما اتهم بسرقة ثلاجتين من مستعمرة (ياميت) أبان الاحتلال الإسرائيلي لسيناء فألقت السلطات الإسرائيلية القبض عليه وبدلا من وضعه في السجن استخدمه ضابط الموساد (أبو شريف) في العمل معه بعد نقله للتدريب في معسكر تل أبيب وكلفه الموساد باستخدام المخدرات كوسيلة لتجنيد العملاء.

ثم يأتي الحديث عن الجاسوس عبد الملك عبد المنعم حامد أحد أبناء محافظة الدقهلية، الذي عمل رقيباً في البحرية المصرية وشارك في حرب أكتوبر 1973، ثم بعد ذلك أحيل على المعاش وعمل تاجراً وتحت الضغوط المالية سافر إلى إسرائيل عام 1995، حيث عمل في إيلات وهناك عرف الموساد طريقه وتم تجنيده وطلب منه تقديم معلومات عن قاعدة عسكرية في المنصورة

ولسوء حظه قام بإرسال رسالة إلى أهله مع احد أبناء قريته الذين يعملون معه في إسرائيل وقد اكتشف هذا المواطن أن الرسالة مكتوبة باللغة العبرية بطريقة مشفرة وابلغ الجهات الأمنية المصرية وتم القبض على عبد الملك عند عودته.

وقد تناول الكتاب موضوعاً بعنوان كاميرا الموساد في غرفة الرئيس السادات، حيث اعتراف رئيس الموساد السابق (اسحق حوفي) مؤخراً أن رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن ووزير الدفاع موشيه ديان طلبا منه الاستعداد لعمل تقرير عن تصرفات الرئيس المصري أنور السادات أثناء خلوته الشخصية في حالة ما إذا جاء إلى القدس وبعد رضوخه لأمرهما قام بوضع عدد (45) ميكروفاً حديثاً للتصنت السمعي عاونه في ذلك المخابرات الأمريكية ولكن رجال الأمن المصريين المسئولين عن تامين الرئيس المصري استطاعت أن تكشف هذه الأجهزة ونزعها جميعاً.

ثم يأتي الحديث قيام مؤسسات تابعة لوزارة العمل والرفاه الإسرائيلية بسرقة أطفال من مصر والأردن وبيعها إلى اسر لا تنجب داخل إسرائيل وخارجها بعد تبديل بيانات هؤلاء الأطفال لليهودية.

وكذلك سرقة الأسماك والآثار من الجيزة ويتحدث الكتاب عن خطابات الموساد إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، ومحاولة اغتيال الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر على يد شبكة جاسوسية إسرائيلية في نيسان عام 1960. وكذلك اتصالات المشير عامر بالموساد.

اليهودية والغيرية

غير اليهود في منظار اليهودية

تأليف: ألبيرتو دانزول

ترجمة:د. ماري شهرستان

ألبيرتو دانزول كاتب فرنسي ذو خلفية ثقافية علمانية، رمى في هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على هيكلية خفايا التفاسير والتلمود ودوره الآثم في بناء شخصية اليهودي، حتى أصبح أشد المخلوقات عداوة لبني البشر، منا أنه وضح البنى الذهنية للأحبار والحاخامات ودأبهم المستمر لتكريس انعزال وانغلاق اليهودي وتكبره وتغطرسه، والذي كانت نتيجته عدم تفاعله في المجتمعات الإنسانية قاطبة، وذلك كله مسند إلى شريعة إلهية. فالكنيس والتوراة المنحولة والتلمود هم وطن اليهودي وقضاء يهوه وأوامره على الأرض؛ فبما فيها أوامر القتل والإبادة الجماعية؛ بدءاً من إبادة الكنعانيين- تاريخياً- إلى مذبحة دير ياسين؛ وصولاً إلى مذبحة صبرا وشاتيلا، ولا تزال هذه الجرائم والمجازر النفسية العدوانية في حالة حرب مستمرة على أرضنا فلسطين، إذ إن أي حالة سلم أو تفاعل بشري طبيعي متكافئ لا يمكن أن تظهر في أدبياتهم، ولا في تفاسير وتربية مرشديهم.

بهذه الكلمات عرفت دار الأوائل للنشر والتوزيع بسورية مؤلف أحدث مطبوعاتها كتاب " اليهود والغيرية " والذي قامت على ترجمته د. ماري شهرستان. الكتاب يتكون من ستة فصول تسبقها مقدمة ومدخل وتنتهي بخاتمة، في المقدمة عرف المؤلف معتقد اليهود بأن اليهودي مصنفاً في الأعلى دائماً ، وهو مجهز بدماغ وروح إلهية قادرة أن تربطه بواسطة المعرفة بالخالق. وفي درجة أدنى يكون غير اليهودي مجهزاً بدماغ لكنه لا يملك روحاً إلهية. وفي أقصى الأسفل؛ أي في حدود الحيوانية يوجد الزنحي، وهو كائن غير عاقل، وبالتالي؛ تحركه -فقط- رغبات جسده. وهذه ظاهرة تخرج من ميدان الإيمان، وهي معرفة جيداً من قبل الذين يهتمون بمسألة العنصرية: وجود تيار من عقدة الآخر **Alterophope** في العالم الماضي والحاضر، وقد يبدو – في البدء- وكأنه متناقض.

وهناك عدة أعمال حديثة بينت أن اليهود المتدينين أو الأرثوذكس هم أكثر حساسية للموضوع العنصري من اليهود الملحدين. هذه الظاهرة هي واضحة جداً في إسرائيل على سبيل المثال. فبحسب سيمون إيبشتاين وهو دكتور في العلوم السياسية وباحث إسرائيلي متفرغ لدراسة العنصرية: إن دعم العنصرية في إسرائيل منتشر-بشكل واسع- عند جميع الشباب، لكنه أقوى-بشكل واضح- عند الشباب المتدين أكثر منه عند العلمانيين. ويشير إيبشتاين-أيضاً- أن مدرسي المدارس الدينية حساسون بجزء على الأقل من المواضيع العنصرية أكثر من طلاب المدارس العلمانية الذين يفضلون الصمت.

وفي المدخل أعطى المؤلف لمحة سريعة عن المجتمع اليهودي في القرن الأول من وجهة نظر علاقاته الغيرية (مع الآخرين) وقد فعل ذلك أولاً انطلاقاً من مصادر يهودية وغير يهودية. الواحدة تؤكد (الثانية) والعكس صحيح. وبحث كذلك في مكانة التوراة في هذا المجتمع بالرجوع – كمصادر- إلى الميشنا ، وقد درس في المدخل كذلك الغيرية في معناها الأوسع، ليس –فقط- الآخر الأجنبي، بل أيضاً المختلف: المرأة، المنحرف،العاجز،والذي حُط من مقامه. المصادر اليهودية والمصادر غير اليهودية تبدو مؤكدة رفض اليهود للغيرية، أي للآخرين. هذا الموقف الغَيْري المَرَضي هو ظاهرة تاريخية حددت –بشكل كبير- حياة اليهود وعلاقاتهم مع الآخرين.

في الفصل الأول "مجتمع منفصل أو منعزل" يتناول المؤلف مجتمع اليهود المنفصل المنعزل حيث تبدو كتابات العهد القديم وكأنها تقدم عالماً تحتل في السلالة مكاناً بارزاً وسائداً ومقرراً لمصير الأفراد والشعوب. فإذا كانت فكرة النشوء الآدمي الواحد لمجموع البشرية قد ثبت، فإن نصوص سفْر التكوين تعرض نوعاً بشرياً جذرياً بدأ تشكله اعتباراً من نوح. هذا التنوع يبدو وكأنه محرك لتاريخ اليهود والعالم؛ فإسرائيل –بمقاومتها للآخر- سوف تتعلق إلى الأبد بالموقف الرحيم ليهوه، أما الآخر؛ فبخضوعه لإسرائيل عندئذ لن يُقتل، ولن يُباد.

وقد بحث المؤلف في هذا الفصل هوس اليهود السلالي، إن مفهوم الشعب الذي يعود إلى فكرة الانتقاء يستند على معتقد السلالة الواحدة والمشتركة الذي يعود -بدوره- إلى إبراهيم وإلى أبناء يعقوب الاثنى عشر أجداداً، أسباط إسرائيل الاثنى عشر.

الأمور كلها تبدأ من النبي إبراهيم الذي هو ابن تارح. وهو من لد اسمها أور الكلدانيين في الرافدين – السفلي، تزوج من ساراي؛ وهي نفسها ابنة تارح (تكوين20-21) وهي تؤمن بذلك صفاء السلالة. مهما كان الأمر، فهو بهذا الاختيار للقرابة الدموية التي يحترمها بالغريزة والفطرة، يحترم القانون المحرَم للاختلاطات والذي لن يُعبّر عنه إلا لاحقاً. للأسف كانت ساراي عقيمة: وبدا صفاء الدم العائلي مهدداً، لكن؛ على طلب ساراي (تكوين 16-2) أقام إبراهيم علاقة مع هاجر جاريتهم المصرية. ومنها وُلد له ولد أسماه إسماعيل. طُرِد هذا الولد ووالدته إلى صحراء برسابه، وذلك حتى لا يرث إبراهيم. وقد أعطوهما -بكرم- قربة ماء وخبزاً (تكوين21-14) ولولا التدخل الإلهي لكن حُكم عليهما بالموت، تكوين(19-15-21) عاش إسماعيل رغم كل ذلك وأصبح جد أمة كبيرة؛ لأن يهوه قد أكد أنه من نسل إبراهيم: أما بالنسبة لابن الجارية؛ فأصنع منه أمة كبيرة؛ لأنه من نسلك (تكوين21-13) وبذلك يبدو أنه ارتسمت هنا نظرية ومعتقد يحاول إخضاع التاريخ لقرابة الأسلاف، ويقيم رابطاً بين المنشأ الإثني والمجد القومي. وإبراهيم -أيضاً- كان له أولاد من قيطورة،

وهي أجنبية طُردت بدورها، (مديان جد المديانيين) هو أن النبأ الجديد الجيد الذي بشر الله به إبراهيم قد تحقق أخيراً: سارة ولدت إسحق، فعلى عكس إسماعيل أو مديان فإن إسحق ليس ثمرة خليط. هو وحدخ سوف يرث إبراهيم (لقد أعطى إبراهيم كل ما يملك لإسحق)(تكوين25-5) هو وحده فقط لن يطرد.

ويبدو أن العهد القديم قد طور نظرية العالم المبني على غير الخليط، مبني على الفصل. مزج المتنافر ، ويبدو أنه ينظر إليه وكأنه وصمة لنظام الخلق، وكأنه إعادة نظر في المخطط الإلهي وتهديد لتوازن العالم. وقد أمر سفر الأحبار بألا يُمارس مزيج الأنواع. "لا تزوج في ماشيتك حيوانات من نوعين (جنسين)، لا تبذر في حقلك حبوباً من نوعين، نسيج ممزوج. وهذا القانون الذي يمنع اختلاط النباتات والحيوانات، يتوجه -أيضاً- للبشر، أو تحديداً للعبرانيين. فلأن يهوه قد ميز شعب إسرائيل عن باقي الشعوب فوجب - بحسب المبدأ التسلسلي نفسه- تمييز الحيوانات الطاهرة من الحيوانات النجسة: هذا انا يهوه، إلهك الذي ميزك بين الشعوب. فتُميزون -إذاً- بين حيوانات طاهرة ونجسة . . (أحبار20-24-25).

الفرق بين إسرائيل والآخرين هو -إذاً-في مرتبة : طاهر ونجس، مقدس ودنيوي. فمنذ ذلك الحين أصبح الاختلاط والمزج والاحتكاك مستحيلاً، إذ إنه في مرتبة الدنيوي غير الطاهر. ومن جهة أخرى؛ عندما يصبح الإسرائيلي نجساً لاحتكاكه بالأجنبي فهو يجازف -بدوره- بتدنيس الهيكل.

و في الفصل الثاني " مجتمع مُحوجب (مُحوجز) يتناول المؤلف آلية الرفض، وأحياناً قتل الإنسان داخلياً ، والاختلاف الذي هو ليس – فقط- موقفاً مرتبطاً برفض الوثنية. ففي الوقاع تقوم في المتحد الإسرائيلي نفسه عملية نبذ، تُهمش أو تُلغي بعض أعضائها – مع أنهم إسرائيليون- بمجرد أن يظهر اختلاف في منشئهم، أو تصرفهم ، أو مظهرهم الفيزيائي . . . هنا مثل هناك، هو كلام يهوه طبعاً، هو الذي يقدس النبذ، ويعطيه شرعيته التي لا تناقش.

وفي هذا الفصل ذكر المؤلف عدة مجموعات بشرية تبتعد عن النموذج المثالي، مع أنها داخلة في تركيبة المجتمع اليهودي ، وهم المرأة، والعاجز، والجذامى، والشاذ جنسياً، والخادم.

وجدت المرأة في وضع تبعية كاملة بالنسبة للرجل: تبعية فيزيائية، إذ إنها قد أُخذت منه، وتبعية روحية، بما أنها أقرب للطبيعة، فبواسطة الرجل يمكن للمرأة أن تصل للإله، أما هذه التبعية فلا يمكن للمرأة إلا أن تتمناها، فهي شرط خلاصها. ألم يقل بولس إن الرجل هو مخلص المرأة. والمواقع الاجتماعي للمرأة هو الانعكاس الدقيق لموقعها الديني، فالمرأة قاصر أبدي، معزولة عن الحياة العامة، وقضائياً؛ هي ثروة ملك الرجل. والرجل هو الذي سمى المرأة ، وهذا يشير إلى أنه امتلكها.

أما العاجز فهو في المنظور العبراني لا يستجيب للفكرة التي شكلوها عن الإنسان الطاهر، فالعاجز –حتى لو كان من عائلة كهنوتية- فهو لا يستطيع أن يصل ويدخل إلى الكهنوتية، فهم يعتبرون العاهة هي ثمرة جزاء إلهي عادل. فالله أراد أن يُحقِّر ، يلعن، يقلب الذي هو قبل ولادته، فاسد. ومن الضحايا الأخرى : الجذامى ، فالجزاميون يتعرضون – فعلياً- للتحقير والخضوع فيزيائياً ونفسياً لوضع المطرود. فإذا كان الله لا يفعل شيئاً بدون سبب، فالجذامى يصبح-بسرعة- مشبوهاً، كما أن الجذام في التوراة هو إشارة واضحة للعنة الإلهية.

والصنف الآخر هو العبيد فنجد هناك مقاطع عديدة في التوراة تُظهر خضوع شعوب بأكملها بالقوة لخدمة أبناء إسرائيل، والأمور بالنسبة للعبد تسير مثل كل الأمور الآخرى ، فاختلاف المنشأ يحدد اختلاف المعاملة. إذ إن العبراني –حتى لو كان عبداً- فهو كائن مقدس ومنذور لخدمة الله، وذلك على عكس الأجنبي، الذي يمكن أن يكون في خدمة اليهودي، وذلك في بعض الحالات، وعندما لا يكون نجساً كثيراً.

وفي الفصل الثالث "نور الأمم " يوضح المؤلف أنه يوجد في التوراة ميل عالمي وتمثُلي ، لكنه هامشي في النصوص التوراتية القديمة، ورافضة للفُرَوقات بشكل واضح جداً. ويأتي هذا الميل من الرفض الراسخ والشديد "للغيرية .تستند عملية النبذ في العهد القديم إلى فكرة أن الاختلاف بحمل الدنس. ومنذئذ يُهمش –اجتماعياً- كل من أبدى اختلافاً مثل المرأة، أو ينبذ خارج المُتحد مثل الجذاميين.

الأممية أو العالمية اليهودية هي محدودة ومسلسلة، وذلك على عكس العالمية البولسية. فهناك أمم يجب أن تباد مثل الحثيين والأوريين والكنعانيين واليبوسيين . . وهناك أمم لن تستطيع -أبداً- أن تدخل في المتحد المقدس؛ مثل الأمونيين والمؤابيين والسامريين، وأمم لا تستطيع الدخول إلا في الجيل الثالث؛ مثل الأدوميين والمصريين.

ومن جهة أخرى، يوجد في التوراة مفهوم يجعل من الأمم الأجنبية المتاخمة للعبرانيين أدوات بسيطة يستعملها يهوه لتجربة إسرائيل ، وهي ليست أراض للرسالات. وعملياً فإن عالمية اليهود- إن كانت اليهو/مسيحيين أو عالمية أشعيا- تفترض نفسها كإمبريالية ثقافية، غايتها تقوية إسرائيل (حقوقها) وإلهها وعاصمتها وأبطالها. . واستبدال كل أنماط الحياة بنمط حياتها المحاط بوصايا، كما أن غايتها اجتثاث الفروق والاختلافات وإنقاص قدرة الآخر. فلا يوجد تعارض بين القومية والعالمية :يُنقذ العالم ويُخلص بتقوية الأمة اليهودية ، وتثبيتها على الكرة الأرضية. فبذلك تكون الرسالة العالمية مشروعاً قومياً، كذلك الأمر؛ لم يعد هناك تعارض بين عملية الانتقاء والنبذ وعملية العالمية. ووجب ولزم على إسرائيل أن تحافظ على الشريعة بمنع وتحريم الاختلاط والتأثيرات الخارجية قبل أن تفرض شريعتها هذه على الآخرين. وقبل أن تفرض نظام الطاهر والنجس وجب عليها أن تمارسه.

وفي الفصول الثلاثة الأخيرة تناول المؤلف المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزف وهو مثال للأزالية في الشريعة اليهودية، لهذا الخولد في الأوامر والنواهي المرضية. يُعتبر مثل قديم أن المرأة كائن أدنى، ويجب أن تطيع الرجل، وأن المخصي هو مسخ يجب أن ينبذ، وأن اللواطي هو وقح، ويجب إبادته، وأن الزواج المختلط هو "سُم" وخليط مريع يجب أن يمنع، وأن الجذامى قذر، يجب لإجراءات وتدابير تمييزية، وأن العاجز هو مشوه معيب ، يجب أن يتحمل شريعة صنعت على حسابه، وأن العبد هو فرد غير شريف . . فهو لا يستنكر القتل الجماعي للشعوب الكنعانية، ولا إبادة المديانيين ولا الأماليسيين. على العكس من ذلك فهو يعتقد أن إبقاء هذه الشعوب قد يكون جريمة وخطيئة، بما أن الله هو الذي أمر بإبادتهم.

و هكذا يُلاحظ عبر أعمال جوزف كلها أن الشريعة غير قابلة للتطور. إنها متحجرة ، إن ضحية فوبيا الآخر هو –دوماً- مذنب. ومُذنب لا يحاول أحد تبرئته ولا رد اعتباره.

وكما يقول المؤلف في خاتمة الختام فإن هذه الجولة في فوبيا الآخر وقد انتهت ، يبدو أنها تظهر – بوضوح- في أهم النصوص اليهودية، حتى الأناجيل: نصوص العهد القديم، ما بين العهود، العهد الجديد. ونكتشفها أيضاً في التلمود، وحيث بدأ العمل بالميشنا بعد خراب المعبد.

وتعبر عن نفسها –أيضاً- بأوجه متعددة في مؤلفت جوزف.وتظهر – أخيراً- في أعمال الكتاب الوثنيين الذي كانوا يستنكرون بعض مظاهرها.

وبدون أدنى شك؛ هناك مسألة الآخر التي تطرح نفسها في العالم اليهودي، وإن هذه المسألة ذات صبغة دينية، هذا أمر أكيد، ولا يُعارض: لأنه -هو- يهوه الذي يأمر ويفرض قوانين فوبيا الآخر (الغيرية المرضية) ، فهو الذي يأمر بالنفي والإبادات. هذا التبرير الديني للتمييز العنصري -لا يبرئ- أبداً الذين يطبقونه، أو الذين يضعونه في أولويات هذا البعد الديني، حتى يُقبل بشكل أفضل في يومنا هذا.

التوراة كتاب مقدس - والكلام على لسان المؤلف- حيث مرجعيته الدينية تُقدس الاضطهاد، وتجعل منه مثالاً أعلى للحياة، بل واجباً, ومنذ ذلك الحين؛ أصبح النبذ والإقصاء الفيزيائي للآخر، أو "الآخر (أكثر جداً) " خارج حدود الضمير، ودخلوا في الصنف الذي قرره الله في حكمته اللامتناهية أنه أمر صالح. ومع التوراة؛ أصبح الضمير الإنساني مُهاناً والحس النقدس مُلغىَ.

لو أن أحداً يود إلغاء التمييز العنصري التوراتي بإبراز وتطوير مظهره الديني والضرورة لشعب بأن يحفظ معتقداته، هذه الضرورة محمودة في حد ذاتها، لكن؛ لا يمكن لها – بأي حال- شرعنة الإبادة الجماعية أو التمييز العنصري.

فاليهودي – بحسبهم- وُجد على هذه الأرض ليكون المستفيد الوحيد والمُسيطر والمُذل لباقي البشر.

عقيدة محرفة، منحرفة، جامدة، مبنية على اقتباس فاشل من ثقافة الرافدين والهلال الخصيب بمجمله، إنما تلك الثقافة كانت رهن زمنها وبيئتها، لكن اليهود حنطوا تلك المفاهيم الثقافية المتجلية بالدساتير والمنتجات الأدبية من ملاحم وقصائد وكتابات نثرية فلسفية واجتماعية وبنوا منها نظاماً اجتماعياً قاسياً، ظالماً، مهتزاً ، أساسه وقوامه التمييز على كافة الأصعدة والمستويات، للرجال فيه الأفضلية والقوامة والسيطرة، والانتقاص والذل للمرأة والفقير والرق والمريض والمعاق، الأهم من هذا كله الأجنبي.

أمريكا وإسرائيل

و 11 أيلول 2001

تأليف: ديفيد بوك

ترجمة: سعد رستم

السبب الحقيقي لهجمات 11 سبتمبر:

الحرب على الإرهاب ليست هي الحل فقبل التفكير في معاقبة بن لادن كان من الضروري معرفة السبب الحقيقي الذي جعل بن لادن وملايين آخرين في العالم يكرهون أمريكا.

إن السبب الحقيقي وراء كراهية أمريكا ليس كراهية الحرية الأمريكية كما ادعى الرئيس بوش في خطابه، ولكنه الدعم الأمريكي العسكري والمالي الضخم لإسرائيل وإرهابها ضد العرب.

إسرائيل دولة إرهابية:

إسرائيل دولة إرهابية قامت بأعمال وحشية قاتلة خلال 50 عاماً وقد امتدت يدها الآثمة لتؤذي أمريكا وعلى الرغم من ذلك فإن معظم الأمريكيين على جهل بسجل إسرائيل الإرهابي وذلك للأسباب التالية:

انحياز وسائل الإعلام نحو إسرائيل، فاليهود يملكون وسائل الإعلام ويسيطرون على صحف نيويورك تايمز-واشنطن بوست- وول ستريت جورنال. ويملك اليهود مجلة التايم-نيوز وييك- يو إس نيوز ورلد ريبورت ، ويسيطرون على الشبكات الخبرية الرئيسية (**CBS-ABC-NBC**).

إسرائيل تتحكم في بعض الساسة الأمريكيين الخونة واليهود يسيطرون على مجلس الشيوخ ولهم اليد العليا في وزارة الخارجية والدفاع ووكالة المخابرات الأمريكية.

اللوبي اليهودي والسيطرة على البنوك والتأثير في الاقتصاد الأمريكي.

أدلة على إرهاب إسرائيل:

إن الحقيقة التي يجب أن يعرفها كل الأمريكيين هي أن إسرائيل أساس الإرهاب في العالم وهذا للأدلة التالية:

انتخاب أريل شارون رئيساً للحكومة الإسرائيلية وهو مطلوب للمحاكمة من قبل محكمة العدل الدولية لارتكابه أعمالاً إرهابية أهمها مذبحة قرية " قيبية" عام 1953 التي قتل فيها 70 فلسطيني ومذبحة صبرا وشتيلا في بيروت وراح ضحيتها 1500 لاجئ فلسطيني.

إسرائيل دولة تأسست بواسطة الإرهاب ضد البريطانيين للسيطرة على فلسطين حيث تم تفجير فندق الملك داود الذي أودى بحياة 93 شخص وتم اغتيال وسيط الأمم المتحدة الكونت فولكة برنادوتة **Count Folke Bernadotte** الذي أوضح الإرهاب الصهيوني للعالم كما قامت عصابات الإيرجون **Irgun** والستيرن **Stern** باختطاف الجنود والضباط البريطانيين و تعذيبهم حتى الموت.

منذ عام 1948 يواجه الشعب الفلسطيني القتل والسجن والتعذيب حيث تم قتل الأطفال والشيوخ والنساء من المدنيين وتم طرد 800.000 فلسطيني من ديارهم واستشهد 254 فلسطيني في مذبحة دير ياسين عام 1972 وتم اغتيال الكاتب الفلسطيني كمال عدوان في بيروت وتم تعذيب 150.000 معتقل فلسطيني في السجون الإسرائيلية من عام 1948 وقد تم استخدام بعض المعتقلين كفئران للتجارب العلمية لإثبات فاعيلة الأسلحة الكيميائية والجرثومية.

مارست إسرائيل الإرهاب ضد لبنان أيضاً حيث قتل 1500 لبناني مدني ما بين 1978 إلى 2000 ولا ننسى مذبحة قانا التي قصف فيه المركز الدولي للأمم المتحدة فمات 107 لاجئ لبناني احتمى بمبنى الأمم المتحدة.

ما رست إسرائيل الإرهاب ضد الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً لخدمة مصالحها الخاصة ففي عام 1954 وعلى أرض مصر شنت إسرائيل عملية إرهابية ضد أمريكا أطلقت عليها اسم "سوزانا" **Suzannah** وكان الهدف دفع أمريكا لمحاربة مصر وبالفعل نجح العملاء اليهود في نسف بعض مراكز البريد والمكتبات الأمريكية في القاهرة والإسكندرية ولكن الذي كشف تورط إسرائيل هو انفجار قنبلة عميل إسرائيلي قبل أوانها وتم القبض عليه. وفي 8 يوينو 1967 تم مهاجمة البارجة الأمريكية "ليبرتي" **Liberty** وقد أوقع هذا الهجوم 34 قتيلاً و171 جريحاً في صفوف الجنود الأمريكيين وفشلت إسرائيل مرة أخرى في توريط مصر مع أمريكا.

إسرائيل تتجسس على أمريكا وتبيع أسرارها للدول الأخرى ففي الثمانينيات جندت إسرائيل يهودياً أمريكياً يسمى "جوناثان بولارد" قدم لهم معلومات أفادت الاتحاد السوفيتي في قتل أفضل عملاء أمريكا هناك كما أعطى جاسوسين يهوديين أسرار القنبلة الذرية للسوفيت وقبل أحداث 11 سبتمبر 2001 تم القبض على عدد من 120 إلى 140 جاسوساً إسرائيلياً في أمريكا و 60 آخرين بعد الأحداث.

إسرائيل لها دور في هجمات 11 سبتمبر 2001:

هذه الهجمات أدت إلى فقد 5000 أمريكي وإلى تصدع الاقتصاد الأمريكي وإلى تطبيق أسوأ التقييدات ضد الحريات الدستورية في تاريخ الولايات المتحدة.

وفي نفس الوقت أفادت هذه الهجمات إسرائيل حيث غطى هول الهجوم على الإرهاب الإسرائيلي على مر خمسين عاماً من القتل والوحشية حيث قامت وسائل الإعلام التي يسيطر عليها اليهود بعرض متكرر لبضعة فلسطينيين عانوا طويلاً يبتهجون بالهجمات في محاولة لتوريط فلسطين وتشويه صورتها أمام الأمريكيين ولصق الإرهاب بالعرب مما يؤدي إلى خلق حالة من التعاطف بين أمريكا وإسرائيل لمحاربة عدو مشترك "الإرهاب العربي الإسلامي".

ودور إسرائيل في هذه الهجمات هو عدم تحذير أمريكا بالرغم من العلم المسبق بالهجمات خاصة وأن الموساد له عملاء داخل تنظيم القاعدة، وقد يكون الموساد قام بالتحريض والمساعدة على وقوع هذه الهجمات بشكل خفي، وهناك أدلة على تورط إسرائيل أهمها ما يلي:

هذه الهجمات غيرت مزاج العالم لصالح إسرائيل مرة ثانية بعد أن تنامى رفض إسرائيل واستهجانها دولياً خاصة بعد انتخاب أريل شارون رئيساً للوزراء، كما أطلق مؤتمر الأمم المتحدة حول العنصرية على إسرائيل لقب "دولة تمييز عنصري" أبارتيد **Apartheid State** .

إسرائيل كانت على علم مسبق بالهجمات حيث أكد "أليس ديمانديس **Ales Diamandis** نائب رئيس قسم التسويق والمبيعات أن موظفين في شركة **Odigo** (شركة إرسال رسائل فورية في إسرائيل) استلموا رسائل تحذير عن الهجوم من مستخدم آخر قبل ساعتين من الهجوم، وهذه الشركة لها مكاتب في مركز التجارة العالمي.

من المنطقي أن يصل عدد القتلى الإسرائيليين في المركز إلى المئات أو الآلاف لأن معظم الشركات بالمركز لليهود فنجد أن صحيفة إسرائيلية أعلنت أن عدد القتلى الإسرائيليين 4000 بينما أعلن الرئيس بوش أن عددهم 130 قتيل ، ولكن الحقيقة هي أن الهجوم أسفر عن مقتل إسرائيلي واحد داخل المركز واثنين على متن الطائرة وهذا ما أكده قنصل إسرائيل في نيويورك في حين أنه مات 199 كولمبي و428 فلبيني.

هذه الهجمات أدخلت البهجة للإسرائيليين حيث أوقف مكتب التحقيقات الفيدرالي **FBI** خمسة إسرائيليين كانوا على سقف أحد المباني المجاورة لمركز التجارة يصورون الحادثة وهم يصيحون تأييداً وابتهاجاً.

جذور الإرهاب اليهودي في أسفار العهد القديم

تأليف: أ. د. صلاح الخالدي

تشهد هذه الأيام ما يمكن أن يسمى " حرباً عالمية على الإرهاب"،وكل دولة في هذا العالم تظهر حرصها على شن حرب شرسة ضارية على الإرهاب، وتقود أمريكا هذه الحرب العالمية على الإرهاب وتظهر بوسائل إعلامها ودعايتها أنها العدو الأول للإرهاب ترصد له مختلف الميزانيات والمخصصات وتوجه له مختلف الأسلحة، وتحشد له شتى الجيوش والتحالفات والدول والأطراف.

وازدادت الحرب العالمية على الجديدة على الإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من أيلول المعروفة، التي دمرت فيها مؤسسات أمريكية في واشنطن ونيويورك، والتي اتهم فيها "إسلاميون" من تنظيم القاعدة، وأطلقت صفة الإرهابي على كل ما هو "إسلامي"، وفكر إسلامي وجهاد إسلامي... إذا كتب كاتب مسلم عن وجوب الجهاد وتحرير الأوطان والوقوف ضد مطامع الأعداء، فهو ذو فكر إرهابي ، وإذا تكلم متكلم مسلم عن الجهاد ومواجهة الأعداء فهو إرهابي ، وبذلك صار مصطلح الإرهاب مطاطاً واسعاً أدخل فيه كل ما هو إسلامي، وألصق بكل مسلم صادق صالح.

والإرهاب وسفك الدماء صناعة يهودية، وإنتاج يهودي، وسلوك يهودي وما من فترة من فترات التاريخ سجلت غلبة وهيمنة وتمكن اليهود من على خصومهم إلا برز في ممارساتهم الإرهاب والعنف في أوضح مظاهره،

وأقبح صوره، وحتى يتم التعرف على الخلفية الإرهابية لليهود فلابد من مراجعة أسفار العهد القديم، لنقف على ما فيها من توجيهات وتعليمات إرهابية، تدعو إلى الإبادة والتدمير!!

ومن هنا جاء هذا الكتاب لتحقيق هذه الغاية، ولإطلاع الذين يبتلون بالإرهاب اليهودي والصليبي المعاصر على تلك النصوص والتعليمات الإرهابية، ومؤلف هذا الكتاب هو الدكتور "صلاح عبد الفتاح الخالدي"،و الكتاب من القطع الصغير ويشتمل على ستة فصول في 193 صفحة، وهو ضمن سلسلة دراسات في اليهودية، وقد صدر الكتاب مؤخراً عن دار العلوم للنشر والتوزيع بالأردن .

ففي الفصل الأول " الجرائم الأخلاقية في سفر التكوين" تناول المؤلف ما تحدثت به إصحاحات سفر التكوين عن بداية خلق الإنسان، وعن الطوفان وعن سيرة إبراهيم – ؛– وأبنائه، فتنسب للأنبياء السابقين انحرافات ومفاسد أخلاقية، وارتكاب جرائم لا تصدر عن الناس الأسوياء ، ففي حديث الأحبار الكفار عن خلق آدم وحواء، ينسبون الكذب إلى الله – تعالى – ويزعمون أنه كذب على آدم وحواء لخوفه منهما، وأن الحية كشفت ذلك الكذب والتحايل، فعاقبها الله عقاباً كبيراً.

ويورد المؤلف عدة أمثله على كلامه منها زعم الأحبار أنه لما أكل الإنسان من شجرة المعرفة صار كواحد من الآلهة!! لأنه صار يعرف الخير من الشر، وخشي الرب أن يصل هذا الإنسان إلى شجرة الحياة والخلود، لأنه لو أكل منها صار خالداً إلى الأبد، فحقد عليه الرب، وعاقبه بدون ذنب منه، وكانت عقوبة كيدية ظالمة، حيث طرده من الجنة، وأنزله إلى الأرض، ليحرثها ويعمرها ويشقى فيها!!

وكذلك تورد التوراة أن الرب يندم على خلق الإنسان، ويتأسف في قلبه ندماً!!، ويخبر الأحبار أن إبراهيم -عليه السلام- كان يكره الكنعانين سكان الأرض المقدسة، الذين أكرموه وأحسنوا مثواه، ومن كرهه لهم وحقده عليهم أنه لم يشأ أن يزوج ابنه واحدة منهم!.

قدم الأحبار يعقوب ؛ في صورة الكاذب الماكر المتحايل المخادع الحاقد، وذلك عندما طلب إسحاق عليه السلام من ابنه الأكبر "عيسو" – كما يزعم اليهود - أن يعد له وليمة طيبة ليأكل منها ليدعو له ويباركه إلا أن يعقوب تحايل على ووالده لكبر سنه وخدعه وأعد هو الوليمة ونال كما يزعم اليهود مباركة والده، فهل يمكن ليعقوب النبي عليه السلام أن يرتكب هذه السلسلة من الجرائم والانحرافات والرذائل؟ ويتعدى على أخيه، ويكذب على أبيه ويمكر ويتحايل ويتآمر، ويستغل عمى أبيه إسحاق ليخدعه؟ وكل هذه الجرائم تصدر عنه لينال بركة أبيه.

يزعم الأحبار الكفار أن يعقوب عبر بأهله نهر "يبوق" ليلاً، وبقي وحده فترة من الزمن، فأتاه الله الرب في صورة رجل من البشر، وصارع يعقوب الرب الرجل حتى الفجر، ورأى الرب الرجل أنه لا يقدر على يعقوب، وأن يعقوب أقوى منه، فاضطر إلى خداعه، والتحايل عليه، فلمس حق وركه فخلعه، ومع ذلك بقي يعقوب متغلباً عليه، حتى طلع الفجر... وهنا خشي الرب أن يطلع النهار، ويراه الناس مغلوباً مصروعاً، فرجا يعقوب أن يصرفه ويطلق سراحه، واشترط يعقوب على الرب أن يباركه.

ففي هذه الرواية يجسم الأحبار الكفار "الحق "- تبارك وتعالى - ويحولونه إلى معتد غريب، فقصد الأحبار الكفار ترسيخ جذور القوة الخارقة في نفسيات اليهود، ويغلبون بها الآخرين، وهاهو جدهم الأعلى يغلب الإله نفسه!!.

وتناول المؤلف في الفصل الثاني أهم الجرائم والانحرافات الأخلاقية في الأسفار الأربعة الأخرى: الخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية.

فمن هذه الجرائم زعم الأحبار أن موسى رفض رسالة الله، وتكليفه له بالذهاب إلى فرعون، وأن الله حاوره وتعهد له، وأقنعه بالذهاب، ولم يوافق على ذلك إلا في آخر الأمر. ثم يتهمون امرأة موسى - ؛- أنها خدعت الرب وذلك عندما رفض موسى الرسالة في بادئ الأمر، غضب عليه، ولما كان موسى سائراً في الطريق، متوجهاً إلى مصر، اعترض موسى وأراد قتله، ولكن امرأة موسى خدعت الرب، لأنها سارعت بختان ابنها.

كما يزعم الأحبار أن الرب أباح للإسرائيليين سرقة حلي وثياب المصريين، وسلبهم إياها، وأنهم فعلوا ذلك بمباركة من الله، وعد الله موسى بذلك عندما كلفه بالذهاب إلى فرعون. والأصل أن يكون هذا الحكم الأخلاقي عاماً للإسرائيليين وغيرهم، شاملاً لكل زمان ومكان، والله يتوعد السارق للاستعارة، والكاذب المخادع فيها بالعذاب! فكيف يجيز الرب للإسرائيليين سرقة وسلب أموال ومتاع المصريين، ويقدم لهم الحل المتحايل والطريقة الخادعة؟ أهذا كلام حكم وتوجيه رب العالمين، أم هو من مزاعم وأكاذيب الأحبار المفترين؟!

ويزعم الأحبار واليهود أن الرب يحب أبناءه الإسرائيليين، ولذلك يستمر في طرد الشعوب من أمامهم، وتوسيع حدود أرضهم. ويستند اليهود المعاصرون على هذا العهد الربانيّ في إرهابهم الآخرين، واحتلا بلادهم، فهم يتعاملون مع الآخرين بازدراء واحتقار، وهم يحرصون على إذلالهم واستعبادهم، ويخططون لتوسيع حدود أراضيهم، ويعون أن إسرائيل الكبرى ممتدة من الفرات على النيل، وهم ينطلقون في هذا الاحتلال والتوسع من هذا العهد الرباني.

ودولة اليهود على أرض فلسطين ليس لها حدود محددة، وهي الدولة الوحيدة في العالم المفتوحة في حدودها، وفعل اليهود ذلك تنفيذاً لهذا الوعد الرباني لهم، وليضيفوا إلى دولتهم أية بقعة يقدرون على احتلالها!

ومن مزاعم الأحبار التي أوردها المؤلف أن الرب نهى اليهود عن بيع الأرض المقدسة والمتاجرة بها، لأنها له وليست لهم، ويزعم اليهود أن الرب نهى بني إسرائيل عن أن يستعبد بعضهم بعضاً، لأنهم أبناؤه وأحباؤه، ومن أراد أن يتخذ عبيداً فليتخذهم من الشعوب الأخرى من غير الإسرائيليين.

فالنص صريح في التفرقة بين بني إسرائيل وغيرهم من الأمم، ينظر الإسرائيلي إلى الإسرائيلي الآخر نظرة تكريم، إنه أخوه، وهو ابنٌ للرب مثله، ولذلك لا يجوز له أن يتعامل معه بالربا، ولا يجوز أن يستغله أو يخدعه، ولا يجوز له أن يذله ويهينه، ولا أن يستعبد ه، بأن يجعله عبداً رقيقاً خاضعاً له. أما غير الإسرائيلي فلا يستحق التكريم والاحترام، ومن الممكن أن يتعامل الإسرائيلي معه بالربا، ولأن الأمم الأخرى من غير الإسرائيليين فلا كرامة لهم عند الإسرائيليين، فقد أبيح للإسرائيليين استرقاقهم واستعبادهم.

واتهم الأحبار موسى - ؛ – أنه أمر بقتل الأطفال والنساء وذلك عندما عاد الجنود الإرهابيون إلى موسى ومهم السبايا من النساء والأطفال الصغار غضب عليهم غضباً شديداً لأنهم أبقوا كثيراً من النساء على قيد الحياة، وقال لهم: لماذا أبقيتم الإناث كلهن على قيد الحياة؟، وغضبه واعترا ضه على جنوده معناه أنه أشد عنفاً وإرهاباً منهم! –

على حد زعم الأحبار- لأنه أراد أن يقتلوا كل امرأة ثيب، ولذلك أمرهم أمراً في غاية القسوة والعنف والإرهاب، وذلك في قوله لهم" اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة ضاجعت رجلاً!!".

ويورد المؤلف نصاً من التوراة ليوضح مدى افتراء اليهود على الله – تعالى – ومدى شدة التوجيهات الإرهابية التدميرية لليهود وهو:" إذا اقتربتم من مدينة لتحاربوها فأعرضوا عليها السلم أولاً، فإذا استسلمت وفتحت لكم أبوابها، فجميع سكانها يكونون لكم تحت الجزية ويخدمونكم.

وإن لم تسالمك بل حاربتكم، فحاصرتموها، فأسلمها الرب إلهكم إلى أيديكم، فاضربوا كل ذكر فيها، بحد السيف... وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما في المدينة من غنيمة، فاغنموها لأنفسكم، وتمتعوا بغنيمة أعدائكم التي أعطاكم الرب إلهكم...هكذا تفعلون بجميع المدن البعيدة منكم جدا، التي لا تخص هؤلاء الأمم هنا.. وأما مدن هؤلاء الأمم، التي يعطيها لكم الرب إلهكم ملكاً، فلا تبقوا أحدا منها حياً، بل تُحللون إبادتهم، وهم الحِثِّيّون والأمورِيّون والكنعانيّون والفرِزِّيّون والحُوِّيّون واليبوسيّون..." [التثنية 20 : 10 – 17].

ويرى المؤلف أن سفر يشوع بن نون يعد مدرسة لتخريج الإرهابيين اليهود، وأنه إذا كانت جذور الإرهاب اليهودي في أسفار التوراة الخمسة (التكوين ، الخروج، والعدد، واللأويين، والتثنية) نظرية فإن هذه الجذور في سفر "يشوع" عملية تنفيذية، فعندما فتح "يشوع" وجنوده الأرض المقدسة، فقد أبادوا - كما يزعم الأحبار- من قدروا عليه من سكانها، وخربوا مدنها وقراها، وتقربوا بذلك الإرهاب إلى ربهم!. وأورد المؤلف أمثلة أخرى من هذا السفر توضح بصورة عملية الإبادات التي ارتكبها اليهود في حق المدن المجاورة في زمن "يشوع "، فمنها إبادة "يشوع لمدينة (أريحا)، وكذلك مدينة (عايّ) الكنعانية ، وكذلك استعباد الإسرائيليين لأهل (جِبْعون)، وذلك حينما سالموا بني إسرائيل فكافأهم الإسرائيليون باستعبادهم، و إبادة بني إسرائيل لمدن جنوب كنعان ومدن الشمال، وينسب الإسرائيليون الإرهاب لـ"يشوع" وأنه قد قال لهم" انظروا قد قسمت لكم أرض الأمم الباقية، حصصاً لأسباطكم بالقرعة، هذا فضلاً عن أراضي الأمم الذين أبدتهم، من الأردن شرقاً، إلى البحر المتوسط غرباً، والرب إلهكم هو الذي يهزمهم ويطرهم من أمامكم، وتملكون أرضهم...فتشددوا في أن تحفظوا جميع ما هو مكتوب في شريعة موسى وتعملوا به، ولا تحيدوا عنه يميناً ولا شمالاً... لا تختلطوا بهذه الأمم الباقية معكم.. والرب إلهكم طرد من أمامكم أمماً عظيمة قوية، ولم يصمد أمامك أحد إلى هذا اليوم...الواحد منكم يهزم ألفاً، لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم، كما وعدكم... فاحرصوا بأن تحبوا الرب إلهكم،

لكن إن حدتم عن الرب، واختلطتم ببقيةِ من هؤلاء الأمم الذين بقوا معكم، وصاهرتموهم، وامتزجتم بهم، وامتزجوا بكم، فاعلموا أن الرب إلهكم لا يعود يطرد أولئك الأمم من أمامك، بل يصيرون لكم فخاً وشركاً وسوطاً على ظهوركم، وشوكاً في عيونكم، حتى تزولوا عن هذه الأرض الصالحة التي أعطاكم الرب إلهكم.." [يشوع 13:1-13].

وتناول المؤلف في الفصل الرابع جذور الإرهاب اليودي في أسفار اليهود التاريخية، وأن سفر "يشوع" هو أول الأسفار التاريخية، التي تتحدث عن التاريخ الأول لبني إسرائيل في الأرض المقدسة، فقد ذكر الأحبار في سفر "القضاة" أن سبطي "يهوذا" و "شمعون" اتفقا على محاربة الكنعانين معاً وقتلوا آلافاً منهم، وقطعوا أصابع ملكهم!، كما تناول المؤلف صفة نقض العهود لدى اليهود فهم مشهورون بنقض عهودهم مع الآخرين، وهذه صفة ملازمة لهم في تاريخهم كله. وقد ذكر الأحبار حادثة فردية تدل على هذه الجريمة اليهودية. قالوا كان عهد سلام بين "حابر القيني" وبين ملك (حاصور) الكنعاني، ووقعت معركة بين قائد ملك (حاصور) واسمه"سيسرا" وبين بعض أسباط اليهود في الشمال، انتهت بانتصار الإسرائيليين، وإبادة جيش "سيسرا" الكنعاني. وبعد هروب "سيسرا" إلى حليفه اليهودي "حابر القيني" ليجد عنده العهد، بسبب العهد الذي بينهما فاستقبلته زوجة " حابر القيني" ثم غدرت به وقتلته ودلت أعداءه على جثمانه.

وتناول المؤلف أمثلة أخرى من هذا السفر للدلالة على الجذور الإرهابية في الديانة اليهودية مثل قصة "شمشون"، وافتراءهم على داوود عليه السلام لأنه أمر سليمان عليه السلام بقتل ابن أخته وقائد جيشه "يوآب ابن صروية"، وقصة "يهوديت" التي احتالت على القائد الآشوري فقتلته، وامتنان أهلها بهذا الصنيع وقد أفرد لها اليهود سفراً تخليداً لذكراها، كما أفردوا "لأستير" التي تحايلت على ملك الفرس هي وابن عمها "مردخاي" سفراً آخر.

واليهود عجيبون في السيطرة على الدول، ولهم في ذلك أساليب خاصة، وخطط مدروسة، ينفذونها بفن وفطنة، وحنكةٍ ومكرٍ ودهاء،ويستخدمون لذلك مختلف الوسائل، من المال والنساء، والترغيب والترهيب، والإغراء والإسقاط، والمركز والجاه...، ويمتلئ تاريخهم الماضي والحاضر بالأمثلة العديدة التي يتمكنون فيها من السيطرة على أنظمة الحكم، وتنفيذ برامجهم. وقد أحكموا في العصر الحديث سيطرتهم على الدول القوية، ووجهوها لما يريدون، واستغلوا مواردها وطاقاتها وخيراتها وشعوبها وحكامها لهذه الغاية الخبيثة، وتجلى ذلك واضحاً في السيطرة على الدولة العثمانية في أواخر عمرها، ثم السيطرة على الإمبراطورية الإنجليزية والفرنسية والروسية، والسيطرة في هذه الأيام على الإمبراطورية الأمريكية العظمى، وعلى الأمم المتحدة، وباقي الأنظمة في الغرب والمشرق.

والعجيب في اليهود الخبثاء أنهم جعلوا مخططاتهم جزءاً من دينهم، وكتابهم المقدس، يتعبدون بقراءته، ويعلمونه أبناءهم ويتقربون إلى الله بتنفيذه.

وسفر "أستير" في العهد القديم يسجل رواية يهودية مثيرة، لخطة يهودية في السيطرة على الإمبراطورية الفارسية، والتحكم في أمورها وتنفيذ مذبحة إرهابية بشعة ضد مخالفيهم من الفرس. يتحدث السفر عن الفتاة اليهودية الفاتنة "أستير" وابن عمها "مردخاي بن شمعي" وكيف تمكنا من الوصول للملك الفارسي"أحشويرش" والسيطرة علي الدولة الفارسية، والإيقاع بخصومهما من الفرس وقتلهم، ويتكون هذا السفر من عشر إصحاحات.

ثم تناول المؤلف في الفصل السادس والأخير إشارات القرآن إلى الإرهاب اليهودي، من أهمها ما ورد في سورة البقرة ،وآل عمران، والنساء، والمائدة.

ففي الآية 61 من سورة البقرة حديث مفصل عن اليهود، من ذلك الحديث إدانة اليهود و ذمهم لسيطرة شهوة القتل وسفك الدماء عليهم، حيث قتلوا، أبناءهم وأنبيائهم وغيرهم.... ولعل من أهم إشارات سورة البقرة إلى سيطرة القتل والإرهاب وسفك الدماء على الشخصية اليهودية

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ [سورة البقرة: الآية 61]

فقد ذكرت الآية عدة جرائم فظيعة شنيعة صدرت عنهم: كفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير الحق، وعصيانهم وتمردهم على أحكام الله، واعتداؤهم على الآخرين. والأنبياء جمع تكسير، وهذا الجمع يدل على كثرة الأنبياء الذين قتلوهم، ولم تذكر الآية أسماء اليهود الذين قتلهم اليهود، كما أنه لم يصح حديث مرفوع عن النبي (ق)، يذكر أسماء أنبياء قتلوهم، والأولى أن نبقي الأمر على إجماله – وهو رأي المؤلف-.

وكذلك الآية (72- 73)، (83 – 85)، (91-87) من سورة البقرة، ومن سورة آل عمران الآيات (21 – 22)، (112)، (181- 184) وغيرها من الآيات في سورة النساء والمائدة التي تشير الجرائم الإرهابية الفظيعة من الجانب اليهودي .

دراسات أساسية

حول الصهيونية وإسرائيل

تأليف الدكتور / حامد عبد الله ربيع

عن سلسلة الثقافة الفلسطينية من منشورات إدارة الشؤون العامة للتوجيه المعنوي بجيش التحرير الفلسطيني صدرت الطبعة الأولى في دمشق أيار 1973 لكتاب دراسات أساسية حول الصهيونية وإسرائيل ولأول مرة يطرح الباحث عربي بكل صدق وصراحة، الكيفية

لأول مرة يطرح باحث عربي بكل صدق وصراحة، الكيفية التي تحاول بها الصهيونية ويحاول بها نظام الحكم القائم في الكيان الصهيوني في من خلال الاستخدام البارع لعناصر معينة، وضع التجمع الإسرائيلي في ذلك الإطار الذي تتهيأ له فيه هذه الإرادات الثلاثة المتكاملة رغم ما يتصف به من نقائص، واضعا العرب في الوقت ذاته أمام مسؤوليتهم التاريخية من خلال انعكاس الصورة الحقيقية للوضع الراهن ومتطلباته في مرآة الصراع. والإرادة الثلاثة هي:

إرادة القتال التي تعني عزيمة وتصميما على جعل التقابل العضوي أداة وحيدة لوضع حد للصراع.

إرادة التحدى التي تعنى قبول القتال بغض النظر عن نتائجه، إذ أن القتال المصيري لا يقبل الحسابات ولا يعرف الشعارات.

إرادة الصمود التي تعني رفض الاستسلام حتى رغم الهزيمة.

الصهيونية السياسية والتمييز بين الأبعاد العقيدية والنواحي الدعائية:

لم توجد دعوة سياسية ارتبطت منذ وجودها بالعمل الدعائي والحرب الإعلامية كما حدث بالنسبة للصهيونية السياسية. يذكر عن "هرتزل" أنه في إحدى خطبة الأولى قال كلمته المشهورة "علينا أن نخلق أكبر قسط من الضوضاء حول المشكلة اليهودية" لذا يجب علينا أن نحلل حقيقة العلاقة بين الدعاية من جانب والعقيدة من جانب لمظهرين من مظاهر الحركة السياسية التي تستتر خلف الصهيونية السياسية.

الدعاية الصهيونية قديمة قدم الحركة الصهيونية . اعترف بهذه الحقيقة أيضا المؤرخون المحايدون. فالكاتب "هالبرن" عندما أرخ الحركة الصهيونية في المجتمع الأمريكي وجد من جانبه ليون عرضه كاملا أن يفرد فقط للمعركة الدعائية فصلين كاملين والمؤرخ الأمريكي. "ستيفنسون" منذ أكثر من خمسة عشر عاماً عندما تعرض لتحليل العلاقة بين الصهيونية والسياسة الخارجية للولايات المتحدة انتهى إلى التسليم بهذه الحقيقة.

كذلك فإن هذه الرابطة الوثيقة بين العمل الدعائي والعمل السياسي تسمح بفهم لماذا يجب أن نؤكد على ضرورة التعمق في تحليل المنطق الدعائي الصهيوني السابق على نشأة الدولة الإسرائيلية.

الحديث عن الدعاية الصهيونية قبل وجود الدولة الإسرائيلية يعنى أن متابعة تلك الدعاية تفترض التمييز بين مراحل متعددة تبعاً لتطور الحركة الصهيونية.

وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى والتي نستطيع أن نسميها بمرحلة الدفاع اليهودي حيث استخدم الأدب وكتابة التاريخ كوسيلة من وسائل الدعاية والدفاع عن الطابع القومي اليهودي.

ثم ابتداء من نشأة المذهب الصهيوني حتى انتقال مركز الثقل للصهونية السياسية إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

المرحلة الثالثة تبدأ منذ بداية الحرب العالمية الثانية وتنتهى بالاعتراف الصريح الدولي بإنشاء إسرائيل.

ثم تأتي مرحلة تعقب الاعتراف القانوني بالوجود السياسي للإرادة النظامية المعترف بها في الأسرة الدولية في أرض الميعاد.

الدعاية الصهيونية هي إذن جزء من معركة قديمة وسابقة على معارك يونيو. بل هي أيضا معركة مستقلة عن الصراع المرتبط بأزمة الشرق الأوسط.

لنستطيع أن نفهم الدعوة الصهيونية يجب أن نعود إلى تلك الأصول التاريخية السابقة أيضا على وجود المذهب الصهيوني.

متابعة الأدب الصهيوني كأداة من أدوات الدعوة العقيدية في حاجة إلى دراسة على حدة، على أننا لنستطيع أن نفهم الصهيونية السياسية وبصفة خاصة العقيدة السياسية في إبعادها الدعائية يتعين علينا أن نتابع ولو بإيجاز بعض مظاهر الأدب اليهودية السابق على نشأة الصهيونية لنرى كيف كان هذا الأدب هو المصدر الأولى لتأصيل الدعوة العقيدية الصهيونية.

أسباب تقدم الأدب الصهيوني على الصهيونية:

المجتمع اليهودي لم يكن يملك لغته القومية بل كان يستخدم أما اللغات الأجنبية للمجتمع الذي يعيش فيه، وإما خليط من تلك اللغة مع بعض الكلمات العبرية.

حركة الحرية الأدبية التي عاشتها أوروبا عقب الثورة الفرنسية أدى إلى ازدهار الأدب اليهودي.

النماذج المعبرة عن الأدب المعد للصهيونية قصة "هارينجتون" للمؤلفة الانجليزية "ماريا ارجوف".

خلق تيار من الرأي العام الأمريكي ليس فقط بين اليهود بل وبين غير اليهود.

الصراع النفسي كبدي للصراع الجسدي.

استخدام كتابة التاريخ وبصفة عامة التعبيرات الأدبية كأداة من أدوات الدعوة العقيدية والدعاية السياسية.

يندر أن نجد تعريفا علميا واضحا ومحددا للصهيونية وكل المحاولات لا تعدو أن تكون متابعة تاريخية أو دراسة فكرية لممثلي الصهيونية.

نستطيع أن نعرف الصهيونية بأنها تلك "العقيدة السياسية التي تقوم على أساس دعوة جميع اليهود للعودة إلى الأرض المقدسة لتكوين الدولة الإسرائيلية استجابة إلى الأمر الإلهي الذي فرض على تلك الجماعة أداء وظيفة حضارية في قيادة الإنسانية المعذبة نحو الكمال الروحي".

الصهيونية عقيدة سياسية وهي تعنى نظام كامل للقيم وتفسير متكامل للوجود الإنساني فضلا عن تصور معين للسلطة ولممارسة السلطة في داخل المجتمع المنظم.

الصهيونية رغم ذلك المضمون الديني لا تنكر أنها استمرار ومتابعة لمبدأ القومية السياسية كما عرفته الجماعات الغربية.

الصهيونية تربط نفسها وجودا وعدما بفكرة الدولة.

الصهيونية مذهب سياسي والمذهب السياسي يعني الحركة.

الثورة الفرنسية وما أعقبها هي التي خلقت ذلك الإطار العام للتطور السياسي الذي سمح لمثل هذه العقيدة بأن تنساب في الوعي الجماعي الأوروبي بحيث تجد قبولاً ولو من بعض فئات القوي المثقفة.

التحليل التاريخي للدعاية الصهيونية

تحليل الدعاية الصهيونية خلال الفترة التي سبق وحددناها أي تلك التي تمتد من بداية الحرب العالمية الثانية حتى الاعتراف بتأسيس وجود الدولة العبرية لابد وأن تواجهه الكثير من الصعوبات مثل اتصاف تلك الفترة بالسرية وعملية قياس فعالية الدعاية الصهيونية .

تأصيل علم الدعاية من خلال الدعاية الإسرائيلية رغم أن الفن الدعائي لم يرتفع بعد ويتكامل ليصير علما حقيقيا.

تكامل الدولة العبرية في الوجود الدولي لم يمنع ولن يمنع من استمرار الدعوة كعقيدة بكامل ثقلها. بل أن حرب سنة 1967 أثبتت مدى خطورة الأبعاد الدعائية للدعوة العقيدية.

كل هذا في حاجة إلى تحليل من جانبنا ودراسة جادة عميقة هي وحدها التي سوف تسمح بتخطيط عملية المواجهة والمجابهة إزاء عدو لم يعد كافيا أنه يسعى لخلق دولة كبرى تستوعب نصف أبنائها من أولئك المقيمين بخارج أرضها والذين لابد وأن يقتنعوا بتلك الدعوة.

الدعاية وتقاليد الحركة الصهيونية

لنستطيع أن نفهم موضع الدعاية من الصهيونية السياسية يتعين علينا أن نقف قليلا في محاولة إبراز الخصائص العامة التي استطاعت الصهيونية أن تقيم من خلالها تقاليد واضحة للعمل الدعائي:

الربط بين تقاليد الحركة الصهيونية وتقاليد الثورة الفرنسية.

النظرة إلى العمل الدعائي على أنه ليس مجرد عملية توجيه ما يهام وإنما هو عناق حضاري ومن ثم فهو حقيقة ثقافية ذات أبعاد ونماذج سلوكية.

الفكر الصهيوني يجعل من الأدب ومن كتابة التاريخ وسيلة وإرادة من أدوات العمل الدعائي.

أن العقيدة الصهيونية نظرت إلى التعامل النفس على أنه الوجه الآخر للحركة السياسية.

ا لتقاليد الصهيونية، وجاءت فيما بعد التقاليد الإسرائيلية اعتداءاً لها وتأكيدا لمدلولها.

التعامل النفسي:

وله مستويات خمس:

الدعوة: هي خصائص يتجه إلى المؤمن أو من حكمه وغايته خلق أو تعميق علاقة الولاء.

الدعاية : تمثل الدرجة الثانية من درجات التعامل النفسي هذه أيضا تقوم على أساس التلاعب بالعواطف بحيث تخلق حالة من حالات التوتر الفكري التي تؤدي إلى تشويه التتابع المنطقي للذات الفردية وبالتالي للوصول إلى موقف لم يكن من الممكن أن يصل إليه الفرد بمنطقة العادي.

الحرب النفسية: معالجة أخرى ذات طابع متميز، هي محاولة لتحطيم الخصم، لقوته المعنوية وبهذا المعنى رغم أنها قد تقوم على إثارة العواطف إلا أنها من جانب تتجه إلى العدو وليس إلى الصديق.

الحرب الإعلامية: صورة جديدة من صور المعاملة النفسية ، الإصطلاح أي الحرب الإعلامية لم يستخدم إلا خلال حرب فيتنام ولكن المفهوم عرفته أسلحة الدعاية الصهيونية ابتداءا من أعقاب الحرب العالمية الثانية.

يقصد بهذه الكلمة ذلك التعارض بين التقارير والبيانات الرسمية المرتبطة بالوقائع .

وعملية تخزين المعلومات: هذه العملية يقصد بها خلق جهاز وظيفته جمع جميع البيانات المرتبطة بالخصم أو الصديق موضع التعامل النفسي ثم تخزينها.

رغم التمييز السابق ذكره ورغم وضوحه بصفة خاصة في التنظيم الدعائي الإسرائيلي المعاصر إلا أن أحد تقاليد الدعاية الصهيونية هو خلق ديالكتيكية مرتبطة ومتتابعة بين هذه المستويات المختلفة لعملية التعامل النفسي.

تعدد مواضيع التعامل لابد وأن يؤدي إلى اختلاط في المفاهيم الدعائية وبالتالي يفرض درجة متفوقة من الحساسية في عملية التخطيط الدعائي . فالدعاية هي داخلية وخارجية في آن واحد، وثانيا: لابد أن يتشابك منطق الطابع القومي بمنطق الصورة القومية.

الأبعاد الفكرية لتحليل النموذج الإسرائيلي لممارسة السلطة

يثير فقه النظرية السياسية بخصوص الدولة العبرية العديد من التساؤلات:

س1: أين إسرائيل من نموذج الدولة العصرية؟

س2: ما مدى العلاقة الارتباطية بين نظام الانتخاب النسبي ومبدأ تعدد الأحزاب؟

س3: هل تستطيع الدولة الصغيرة أن تؤثر من خلال نظام التوازن التابع أو المحلى في علاقات التوازن الكبرى؟

السلطة بين التنظيم والممارسة:

السلطة هي طبقة حاكمة والطبقة الحاكمة لا تعدو أن تكون فئة مختارة تتعاون مع قوى مساندة لترتبط من خلالها بالطبقات المحكومة. أجمع المحللون على حقيقية مزدوجة: أولها : أن أحد مصادر نجاح إسرائيل في عام 1967 يعود إلى خصائص وطبيعة الحياة السياسية والنظام السياسي في المجتمع الإسرائيلي

وترتبط بهذه الحقيقة حقيقة أخرى وهي أن النظام السياسي الإسرائيلي يمثل نموذج مثاليا إن لم يكن للدولة العصرية فعلى الأقل للمجتمعات النامية يجب أن تكون موضع التقدير والاحتذاء.

ومفهوم الدولة العصرية يرتبط بذلك النموذج من التنظيم السياسية الذي يملك من أدوات الفاعلية ما يسمح له بأن يصف نفسه بأنه لا يقل عن أي دولة أخرى تعاصره زمنيا وبغض النظر عن أهمية هذه الأخيرة في النطاق الدولي.

ويقال أن إسرائيل تملك خصائص ست لا موضع لها إلا في مجتمع سياسي عصري بلغ أكثر مراحل التقدم من حيث الفاعلية السياسية:

التقدم العلمي

التوازن بين القوى السياسية.

حياة نيابية سليمة

رفض الدكتاتورية الفرد.

فاعلية السلطة في مواجهة المشاكل.

التكتل الشعبي حول المثالية القومية.

إسرائيل والدولة العصرية:

أول الملاحظات التي تدعو إلى التساؤل عن مدى وحقيقية التقدم الحضاري ي الدولة الإسرائيلية يدور حول التطور العلمي ولأخذ بأسباب ومظاهر التكنولوجيا في الحياة الاقتصادية وفي عملية تسيير مختلف المرافق العامة. وهناك إحصاءات تحدثنا عن حقيقية التطور وهي:

إسرائيل تملك خمسة آلاف باحث ومختص في الحياة المدنية يقابلهم عدد مماثلة في النطاق العسكري. (ملحوظة: كان هذا العدد في 19719/7/17.

هذه النسبة تجعل إسرائيل تأتي عقب روسيا والولايات المتحدة لتتفوق على جميع المجتمعات الأخرى بما في ذلك فرنسا وبريطانيا.

صفة أخرى من صفات المجتمع السياسي الإسرائيلي وهي التوازن ويقصد بهذه الكلمة حالة الاستقرار التي تسمح بتحقيق نوع معين من أنواع الانسجام ولو المؤقت والتناسق ولو الجزئي بين مختلف مقومات الحقيقية السياسية. بمعنى أن هناك ارتباط دون أن يعني استيعابا وتصادم دون أن يؤدي إلى القطعية.

على أن الناحية الأخرى المعبرة بصراحة ووضوح عما يسمى بالدولة العصرية يدور حول ما نسميه بالحياة النيابية، فالنظام السياسي الإسرائيلي يوصف بأنه محاولة للجمع بين النظام الانجليزي والنظام القارئ بما يتفق مع وصف الدولة العبرية بأنها دولة جديدة. والدليل على ذلك: رفض ديكتاتورية الفرد والاستقرار وثبات السلطة السياسة.

نظام الانتخاب والتعدد الحزبي:

بحيث أن عدد الأحزاب يتحدد بطبيعة الأسلوب الانتخابي ويعني ذلك أن:

النظام الانتخابي القائم على أساس دورة واحدة يفرض العلاقات الصريحة القاطعة بين الأحزاب السياسية.

النظام الانتخابي القائم على أساس التمثيل النسبي لابد وأن يؤدي إلى الظاهرة العكسية، بحيث أن كل قوة مهما بلغ حجمها لابد وأن تحصل على تمثيل في الهيئة النيابية.

يؤدي الانتخاب على أساس فكرة التمثيل النسبي إلى اختفاء جميع الأحزاب عدا حزبين اثنين.

أبعاد التوازن في نطاق العلاقات الدولية:

أضحى المجتمع السياسي المعاصر ينظر إلى السياسة الخارجية على أنها امتداد للسياسة الداخلية بحيث أضحى أحد مسالك اكتشاف الوضع الداخلي بخصائصه وعناصره ومميزاته هو دراسة عملية تخطيط وتنفيذ السياسية الخارجية.

وكيف ننسى النماذج التي نعيشها حتى في الدول العظمي؟ ألم يكن إخفاق الحكومة الأمريكية في فيتنام أحد مظاهر ضعفها في الوضع الداخلي؟ وأليس الاهتمام بإسرائيل لازمة لحركة داخلية محلية نبتت في قلب المجتمع الأمريكي؟

ولو نظرنا إلى القوى السياسية المحلية والذاتية لوجدنا نفس هذه الاعتبارات التي تفرض ديالكتيكية واضحة ومستمرة في العلاقة بين تحليل الحياة السياسية الإسرائيلية والإطار الدولي. ذلك أن القوى السياسية التي تتحكم في ديناميات الوجود السياسي العبري تنفسم إلى نوعين: أحدهما محلى والآخر خارجي. القوى المحلية تدور حول الأحزاب السياسية، الهستدروت، الكبيوتز، الجيش أو المؤسسة العسكرية، الرأي العام المحلى، الرأسمالية الناشئة ثم البيروقراطية الإدارية. سبعة قوى جميعها صبغتها العامة هي أنها تعبير عن حقائق باطنة منبعثة من داخل المجتمع الإسرائيلي. لكن إلى جانب ذلك فهناك قوى أخرى خارجية: سبق أن رأينا الديا سبورا أو اليهود في المهجر، ويجب أن نضيف الوكالة اليهودية، وكلاهما يمثل متغيراً أساسياً في عملية صنع القرار.

ومعنى ذلك أن محور التوازن وهو ازدواج الأقطار يفترض لفاعليته الإمكانيات المتماثلة من جانب كلا القوتين موضع السيادة في العالم. وكذلك تتفق مصالح الطرفين على عدم ظهور أي قوى جديدة تستطيع أن تتدخل في هذا الصراع الصامت.

النظام السياسي وعملية المواجهة المصيرية:

السؤال الذي نثيره كما سبق وحددناه هو: أين النظام السياسي الإسرائيلي كأحد متغيرات النجاح في معارك 1967ظ

وهذا يحدد نطاق التحليل:

أولا: نحن لن نتعرض للنظام السياسي الإسرائيلي عقب عام 1967 إلا حيث تفرض علينا أبعاد التحليل.

ثانيا: لن نفهم النظام السياسي على أنه حقيقة شكلية وإنما على أنه علاقة قوة تدور حول السلطة وممارستها.

والنظام السياسي كحقيقة ديناميكية أي كعلاقة توازن وانسجام بين مختلف الجسد السياسي هو أحد عناصر الموقف السياسي.

في تاريخ البشرية الطويل لم يقدر للإنسان أن يقف من أخيه الإنسان موقف الصراع المميت الذي لا يعني في نتائجه سوى واحد من أمرين، أما البقاء أو الفناء سوى في نماذج ثلاثة. ويأتي اليوم النموذج الذي نعيشه في منطقة الشرق الأوسط ليقدم الحلقة الرابعة.

سول بيللو . .

انفصام شخصية الروائي اليهودي

تأليف : إبراهيم فتحي قنصوه

عن سلسلة دراسات نقدية التي تصدرها دار سعاد الصباح- الكويت ، صدر هذا الكتاب الذي يتناول الكاتب والأديب سول بيلو ذلك اليهودي الذي ولد في 1915 بكندا في القسم القديم من مونتريال

حيث تعلم أربع لغات الإنجليزية والفرنسية والعبرية واليدبش، ثم انتقلت عائلته إلى شيكاغو حتى تخرج في جامعة نورثوسترن 1937، وفي 1941 بدأ نشر أول أعماله "اثنان من مونولوجات الصباح" وتوالت أعماله، وأيضاً توالت الجوائز التي حصل عليها حتى انتهى به المطاف إلى جائزة نوبل 1976م.

وقد حاول الكتاب أن يغوص في أعماق ذلك الأديب العالمي ليكتشف بعد دراسة متأنية لأعماله ولآرائه أن يعاني من انفصام ، حيث يصل بالصهيونية السياسية إلى أبعد آمادها وأشدها سطحية وفجاجة. وفي حكايته الشخصية المسماة "الذهاب إلى القدس والعودة منها" صور صبيانية عن رحلته إلى إسرائيل. اليهود المسالمون يريدون مجرد الحياة ولكن العرب الإرهابيين يعتدون على حياتهم. بل إن معارك العرب لتحرير أرضهم من التوسع الإسرائيلي تبدو لسول بيلو اعتداء على السلام العالمي.

والغريب أن هذه الأفكار المضحكة لا يوجد لها انعكاس في كتابات سول الروائية وسنجد بدلاً منها نزعة إنسانية عامة. ففي رواية "كوكب المستر سملر" يتعرض لحرب 1967 ولكنه يكشف عن كل ما في الجماعات اليهودية داخل أمريكا من تناقضات بشعة معادية لإنسانيتها ، بل يواصل ذلك رجوعاً إلى مشاركة بعضهم للنزاي في إحراق اليهود إخوانهم.

وتبدو روايات سول بيللو وتعليقاته النقدية معاً تناولاً لمشكلة الذات الفردية. التي كانت منتصرة – كما يقول المؤلف عن روايات سول بيللو ونقده – حتى القرن التاسع عشر، ثم لم يعد من الممكن تحملها في القرن العشرين، فقد جاءت الحرب العالمية الأولى – كما يقول سول بيللو – بملايين الجثث من الذوات الفردية لتضيف وجه البشاعة إلى مبالغة الرومانسية في تمجيد الذات الفردية، وتابعت الحرب العالمية الثانية اختزال الملايين من "الذوات" إلى كومات من العظام وتلال من الخرق والشعر المحترق أو سحابات من الدخان ، وقد وضعت الحربان موضع التساؤل وعي الفرد بوجوده الخاص ومعنى مواصلة البقاء.

وبين الحربين وبعدهما يصور الروائيون – كما يقول سول بيللو – الفرد واقعاً تحت ضغط هائلة وهو يَكِد لمواصلة حياته، أو للاحتفاظ بصورة لذاته لا تفتقر إلى الفاعلية، فالحياة العامة ذات أبعاد شاسعة تكتسح الفرد وقد تجعله قزماً ، ولكنها تسمح له بأتن يكون عملاقاً في إحساسه الوهمي بالاغتراب؛ وهي بذلك تسوق أمامها الحياة الخاصة دافعة إياها إلى الاختباء، حيث يكتنز الفرد داخله أشياءه الروحية ذات القيمة. وعن رواية الرجل الذي يتدلى "الرجل المعلق" يقول المؤلف أنها تجسد تلك المشكلة، وتعقب في إيماءاتها على تصور الروايات المعاصرة لها. فالأدب ممتلئ بالشكاة من تعاسة الذات المستقلة ذات السيادة على نفسها،

ويتوارث الروائيون نغمة المرارة حسرة على أيام كانت أكثر استقراراً وجمالاً ودمرها تدخل بربري لمجتمع حضري صناعي تتكدس فيه الجماهير والإدارات والدواوين والأقليات المسيطرة في ذلك العالم المعاصر الشجاع الجديد، تلك إذن قضية يسلم بها الروائيون المعاصرون وهم يرمقون الحياة بمرارة لم يبذلوا جهداً في كسبها. . مرارة غير واضحة المعالم.

ولكن سول بيللو يعتبر من الغريب أن يزدري الكاتب آلياً الحياة المعاصرة، ويعبئ الروائح النتنة المتصاعدة منها بطريقة فنية، دون أن يستشعر حاجة ملحة إلى استيعاب تلك الحياة وفهمها : غابة المنافسة والزحام وقائمة الفظائع وهي تشتبك مع الفرد وقيمه وبراءته، فسول بيللو يجعل اقتباساً من كتاب الشعر والحياة لجوته بمثابة النغمة التي تتردد بين سطور يوميات البطل، وهي ترنيمة رومانسية مألوفة تؤكد أن ما في الحياة من فرحة مطمئنة تقوم على طروء الظواهر الطبيعية دون أن تخلف ميعادها: تغيرات الليل والنهار والفصول الأزهار والثمار.

وفي رواية سول بيللو الأولى هذه، احتوى الهيكل الشكلي المغلق تلك البلاغيات، وجعلها مقصورة على مناسبات ضرورية معينة، ولم يتدفق طليقاً ليفجر شكلها كما سيفعل في الروايات التالية.

فالسرد هنا مرهف الإدراك العقلي، بموضوعاته يكتمل إلمامه الفني والفكري، بعلاقته بالماضي الأدبي والحاضر الأدبي بالنسبة للرواية على وجه الخصوص، وهو يلح على النفاذ في الواقع المتخيل داخل الرواية لنكتشف في نسيجه القصصي نفسه متابعتها أو تعليقاتها على تاريخ الشكل الروائي، وهو تاريخ مشكلات تصوير الذات الفردية وأزمته فيها، فالأشكال الروائية لا تبدو أشياء خارجية بعيدة الأسباب بالواقع الروائي المتخيل.

و في تلك الرواية لا نرى سول بيللو متفقاً مع مزاعم النزعة الحداثة الذاهبة إلى أن الصدق الوجداني يتفتت ويتطاير في تعارض مطلق مع كل المعايير أو كل القوانين الخلقية والاجتماعية، وهو أيضاً لا يرمق في إعجاب محاولات تلك النزعة أن توهن الصلات بالتاريخ الأدبي وأعرافه وتقاليده ذات الوشائج العميقة بالقيم الاجتماعية والفكرية.

وعن رواية الضحية (1947) يرى المؤلف أنها تصف ما دب داخل الفرد من وهن في حس الانتماء إلى الجماعة ، فهي تجسد عالماً قد تفتت إلى ذات من أفراد، وتتابع ذلك لتشير إلى أن الذرة الفردية تنشطر هي أيضاً وتتفتت، وتغترب عن عالم كانت قد صنعته بيديها بعد تحرير الفرد من شبكة التبعيات الشخصية التي كانت تنطبق على الأفراد قديماً، نحن في مدينة تفتقد الطابع الشخصي في العلاقات بين البشر، يقع فيها الفرد الذي لا يعرف جاره في حبائل ميكانيكية روتينية . .

فالفرد مزاح عن موضعه مدفوع إلى اختلال الاتزان بوصفه ذاتاً مبدعاً لها فاعلية ومقدره، وهو ممزق الروابط بما يصله بالعالم حوله وبنفسه ، فهو مغترب عن عمله وعن نواتجه وعن وقت فراغه وعن المؤسسات الاجتماعية المعقدة التي قد توفر له وسائل الراحة باعتباره شيئاً . . وهو ننزق الروابط بنفسه وبجسمه ودوافعه ومن طاقاته الخلاقة المبدعة، يتعثر ويتبعثر في عالم جعلوه ميكانيكاً " لاشخصياً" وبطل الرواية يصف ذلك العالم بأنه عالم لم يعد للإنسان فيه مكان، ويشعر بأن مجرد وجوده يسد الطريق أمام وجود شخص آخر، مدينة ضاقت فيها المسافات بين الأفراد، وأصبح كل فرد قريب الصلة بالآخرين في اشتباكهم، ولكن المسافات الشخصية والنفسية بين البشر أصبحت شاسعة، وتلح على البطل متطلبات وجوده الخاص وبحثه عن مكان ومعنى واكتشافه الثمن الفادح بعد زمن طويل لكي يكون له مأوى في طبيعته البشرية وطبيعة الآخرين التي روضها الإنسان وأصبحت مدينة.

وسول بيللو هنا لا يشايع النزعة العصرية في اعتبار عزلة الفرد سمة أساسيى من سمات الوضع البشري بل يعتبرها "عجزاً" عن التكيف إزاء مصير جماعي معين ، فالحياة تسير وتتحرك حول الفرد المنعزل بما تحفل به من تنازع وتعاطف، ولكنها حياة عند منعطف اجتماعي خاص يبلغ قاع الحضيض ويفرض تلك العزلة بأنواعها باعتبارها روافد ناضبة لهذا النهر الجماعي.

ولكن منطق السرد ترك لبطله أن تتمزق العلاقة بين بواعثه النفسية، وسلوكه تجاه الآخرين ولم ينظر إليه رغم إخفاقه، كذبات واقعة في شرك تحاول في استيئاس أن تتحرر فتزداد بالشرك التصاقاً كما يفعل الروائيون ذوو النزعة العنصرية.

وعلى الرغم من أن الزمن النفسي للبطل معزول داخله، تمور موجاته الكدرة في عالم ذاتي قد تحلل إلى عوامل متعددة متنافرة، إلا أن ذلك يقبل التفسير ويمكن رغم هزيمة البطل ، أن يتفاداه آخرون، فهناك مسافة بين تصور المؤلف وموقف البطل، عالجها سول بيللو بالطريقة التي عالجها بها في الرواية السابقة، ومن الواضح أن تلك الرواية وسابقتها متشابهتان، من ناحية طرق التعبير وتكنيك السرد، ولا تضيف الضحية في ذلك جديداً.

الذات السيكولوجية والوضع الشري:

يضع سول بيللو في تعبيره الفني الكثير من العوائق أما التصور المجرد فهو يسخر من الكتابة الروائية التي لا تحاول أن تدرك أعماق الحساسية الفردية وتقف عند الارتياد النفسي الخالص والنمو الداخلي. فهو لا يقبل التضاد بين الحياة العامة والعالم الداخلي للشخصية كشيء ثابت لا يمكن أن يزول وهو يلاحظ في تعقيباته النقدية أن الحياة الداخلية الخاصة التي كانت مادة للتأليف الجاد حتى وقت قريب قد أصبح لها الآن وجه مضحك

ويثير الأدب الروائي زوبعة من الضحك ضدها،فقد أصبح الاستبطان والاكتئاب السودوي ومعرفة الذات بواسطة الذات موضوعات للكوميديا في روايات اليوم.

وإن إضافة ياء الملكية حين تقول الذات : رفاهيتي، تأقلمي،حبي، حريتي، صعودي تجعل القارئ المعاصر يضحك. فالكتّاب ، بطبيعة الحال ، يعتبرون الأنا مجرد صيغة نحوية ولكنهم يعتبرون بعض مزاعمها شديدة الإضحاك.

إن تعبيرات الحب والرغبة في الكثير من الروايات العصرية تأتي من صفيحة الزبالة نفسها التي يأخذ منها الرأي العام القارئ تعبيراته المناسبة لوصف الحاجات السيكولوجية والشخصية، ولا تؤخذ في المستوى الفكري بجدية ، وقد عكف الأدب على تصوير ذات ضائعة بلا عمق بعيداً عن محاولات كمال الذات ومعرفتها.

ويؤكد سول بيللو أن الأدب الروائي اليوم يقدم تعقيباً كوميدياً على قول سقراط أن الحياة غير المختبرة التي لم توضع على محك الاختبار وتطرح للتساؤل لا تستحق أن تعاش. فالأدب الروائي يصور الحياة المختبرة باعتبارها مضحكة، والكثيرون لا يعثرون حتى على تلك الحياة نفسها التي عليهم أن يضعوها موضع الاختبار، فضخامة الحياة العامة وهيمنتها لا تترك للحياة الشخصية مجالاً لإدعاء أهمية كبيرة أو صغيرة.

ويتبقى القبح وسخف الترفيه وهما يهددان بتحويل العقل إلى تراب ناعم دقيق داخل جمجمة الذات الفردية، لقد وصل أدب الحساسية الفردية الذي يرفضه سول بيللو بروائيي الحداثة بعيداً . فهو يقوم على محو تراث الماضي وتشكيل وعي جدي كل الجدة للإنسان الذي تتناوله الروايات.

وعن توظيف الأسطورة عند بيللو يقول المؤلف إن بيللو يستخدم في الكثير من رواياته صوراً مستمدة من عالم المسرح لكي ينقل فكرة أن العالم مسرح وأن كل الرجال والنساء ليسوا إلا لاعبي أدوار. ويرى الناقد أن السرد الروائي يصوغ شخصيته الرئيسية على غرار من التقليد الدرامي لفاوست وسمح لنفسه بأن يفسر تجارب هيرزوج ومآزقه عبر أسطورة فاوست، وبأن يرى هيرزوج بعد ذلك ممثلاً للتطور العقلي للإنسان منذ عهد النهضة.

ويقدم السرد الروائي أنواعاً متباينة من الإشارات التي تجعلنا – في رأي الناقد – نعتبر الشخصية الرئيسية هي فاوست. فنرى هيرزوج على سبيل المثال ، يكتب خطاباً إلى نفسه : العزيز موسى . ى . هيرزوج منذ متى بدأت تهتم مثل هذا الاهتمام بالمسائل الاجتماعية والعالم الخارجي؟ لقد عشت حتى وقت قريب جداً حياة من الكسل الممتلئ بالبراءة ولكن هبطت عليك فجأة روح فاوستية من السخط والرغبة في تحقيق إصلاح شامل كلي وهي روح تؤنبك وتصب غضبها على رأسك.

وهيرزوج في الصفحات الأولى يصف دراسته بعد عمله الأول بأنها أصبحت أكثر خشونة . . لأن لديه إرادة قوية وموهبة في الجدال، وحساً يتذوق فلسفة التاريخ كما يتذوق الخطر والتطرف والمآزق والمحن. ولديه بعد ذلك انجذاب قاتل نحو مدينة الدمار. إننا هنا نجد فاوست بطموحه ومجادلاته وفلسفته وذوقه ، ونجد بكل تأكيد انجذابه القاتل نحو مدينة الدمار كما يسميها جون بنيان.

ويشعر هيرزوج الأستاذ الجامعي بالضجر كما يقول مثلما يشعر فاوست ويقوم ببعض الأسفار مثلما قام بها فاوست خاضعاً لإرادة مفيستو فيلبس. ويذهب الناقد إلى أن جغرافية الأماكن التي طار إليها تذكرنا بمسرح نشاط فاوست في الجانب الشرقي من أوروبا : فقد ألقى هيرزوج محاضراته في كوبنهاجن ووارسو وكراكاو وبرلين وبلغراد واسطنبول وبيت المقدس. ويرى الناقد أن التوازي بين هيرزوج وفاوست تواز محكم إلى درجة أن كراكاو على الأخص التي كانت في فاوست لجوته هي المسرح المحدد لتعاليم فاوست ولصفقته مع الشيطان ، وهي عند هيرزوج موقع لحظة مفزعة ظهرت فيها أعراض مرضه، مجرد عدوى صغيرة التقطها في بولنده . . وبالإضافة إلى ذلك فإن هيرزوج يشعر بمفيستو فيلبس داخل نفسه حينما يكتب " هناك شخص ما داخلي وأنا في قبضته وحينما أتحدث عنه أشعر به داخل نفسي إنه سيحطمني".

ويفهم الناقد أن السرد الروائي ، كما هي الحال مع فاوست يعتبر الشيطان مخلوقاً من خيال هيرزوج ، فحينما يقول البطل إنني أبدو مثل ملك محطم من نوع أو آخر تبدو فكرة أن الروح الساخطة المسيطرة هي جزء من هيرزوج.

ولا يقف الناقد عن الإيحاءات الأسطورية باعتبارها نغمة تتردد أصداؤها ، وتدخل أحياناً في صراع درامي مع المستوى الوصفي للأفعال الواقعية ، ومع الخطوط التي ترسم ملامح الشخصيات والخيوط التي تصل بين الواقع والأحداث بل يقيم مطابقة بين الأسطورة والواقع.

فالشخصيات الأخرى في الرواية يعتبرها الناقد رموزاً لقوى داخل هيرزوج الذي يقول " إنني أتعقب خطى الواقع باللغة ربما كنت أحاول أن أحول كل الأشياء إلى لغة. لقد ملأت الدنيا خطابات لأمنع زوجتي وعشيقها من الفرار فأنا أريدهما في شكل إنساني لذلك استحضر السحرة بيئة كاملة لأصطادهما في وسطها . . إنني أضع كل قلبي في تلك التصميمات الخيالية . . ولكنها ليست إلا تصميمات".

ويصر الناقد على أن تلك الفقرة تدل بوضوح على أن السرد الروائي يريد القارئ أن يرى الرواية بوصفها عرضاً لوضع سيكولوجي ولكن الناقد لا يقف هنا فهو يصر على أن الوضع السيكولوجي ناتج استعاري ودرامي من قوى شيطانية توازي مفيستو فيلبس.

وبعد كل التعسف في إبراز نواحي التشابه مع الأسطورة نرى مسار الرواية يتقاطع فحسب في بضع مواقع معها، فماذا وصل إلى هيرزوج الذي يوضع مقابل فاوست؟

لقد وصل هيرزوج لا سول بيللو ، من خلال مآزقه الضخمة وإمكانياته الضخمة إلى أن الخلاص الأرضي للإنسان لا يمكن تحقيقه بالرؤى الطوبارية ولا بالحركات الاجتماعية ولا بالمنابر السياسية ولا بالأبحاث العلمية . وكل هذه المناشط هي مدار خطابات هيرزوج بل يتحقق الخلاص الأرضي بأن يعرف الإنسان كيف يعيش مع نفسه كإنسان في وضع بشري يحتل فيه الإنسان المرتبة التالية للملائكة.

وبعد ، فإن الغريب في هذا الروائي سول بيللو أنه حينما يتناول اليهود في الولايات المتحدة يكف عن ارتداء الخوذة وإشهار السونكي فهو يخص العرب وحدهم بالهجوم، ويتحدث عن دور اليهود أنفسهم في تعميق معاداة السامية ، والنزعات العنصرية ضد الزنوج، ونجد كل رواياته متحررة تماماً من آرائه السياسية المباشرة التي تهيم بإسرائيل حباً ، وهو يقدم مثلاً شهيراً للانفصال بين الخط السياسي للروائي ، وهو خط محافظ محبذ لسياسة المؤسسة الحاكمة وبين واقعية النماذج الإنسانية التي يصورها في رفضها للأيديولوجية السائدة. لأيدلوجية الفنية لا يمكن استنباطها من الوعي السياسي للكاتب وسول بيللو روائي ممتاز يطرح مشكلات الشكل الروائي للمناقشة العميقة في كل كتاباته.

قوة اليهود في أمريكا

تأليف : جوناثان جولدبيرج

ترجمة : نهال الشريف

صدر حديثاً عن دار الهلال بالقاهرة كتاب " قوة اليهود في أمريكا " للصحفي الأمريكي اليهودي المتعصب جوناثان جولدبيرج الكاتب في مجلة جيروزاليم ريبورت ، ويعد هذا الكتاب واحداً من أخطر الكتب الأميركية عن اليهود في أميركا ، ليس فقط لأن كاتبه يهودياً ، وليس فقط لمعلوماته الغزيرة ، وإنما لأنه يغوص في عمق الجالية اليهودية الأمريكية منذ وصول المهاجرين اليهود الأوائل إلى الساحل الشرقي الأمريكي وبداية العمل التنظيمي لليهود وعلاقته المتدرجة بالمؤسسة السياسية الأمريكية .

ويتكون الكتاب من ثلاثة أبواب كل باب منها ينقسم إلى عدة فصول تستغل 283 صفحة من القطع المتوسط سوف نتجول فيها سريعاً ، فالمؤلف في البداية يتحدث عن مظاهر قوة اليهود الملموسة والتي يذكر منها :

حجم المعونات الأمريكية لإسرائيل التي تبلغ ثلاثة بلايين دولار أي 20 % من المعونات الأمريكية .

مساندة واشنطن لإسرائيل في المجال الدبلوماسي .

ومن المظاهر بالغة الخطورة وجود القانون المعروف باسم تعديل جاكسون فانيك الذي أقره الكونجرس عام 1974 فقد جعل القانون العلاقات التجارية الأمريكية السوفيتية مرهونة ومشروطة بمعاملة السوفيت للأقلية اليهودية وقد بقى هذا التعديل قائماً ومدوناً بالسجلات رغم انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1990 .

مساندة الهجرة واللاجئين والحقوق المدنية وفصل الكنيسة عن السلطة السياسية .

أصبح الطائفة اليهودية من نيويورك إلى لوس أنجلوس أحد اللاعيدين الأساسيين في وضع القواعد في أمور عديدة مثل برامج الرعاية الصحية وغيرها .

وتختلف نظرة العالم إلى اليهود عن نظرة اليهود إلى أنفسهم فينظر العالم إلى اليهود على أنهم أصبحوا قوة مؤثرة في أمريكا بينما ينظر اليهودي العادي على أنهم قلة متفرقة ومشتتة التحدث عن قوة اليهود تثير المخاوف لدى اليهود بإحياء أعداء السامية معاداة السامية في أمريكا قليلة لدرجة الانعدام الذي يصفه بعض علماء الاجتماع أن وصل إلى درجة الصفر و لا توجد من مظاهر معاداة السامية إلا قدراً قليلاً يتمثل في مجتمعات السود المعادية لليهود وحوادث التخريب للمصالح اليهودية المدهش أن اليهود الذين يدلون بأقوالهم في استطلاع الرأي يؤكد أن معاداة السامية لا زالت مشكلة خطيرة قد تضاعفت خلال الثمانينات بنسبة 45% عام 1983

ووصلت إلى نسبة 85% عام 1990 المجتمع اليهودي الأمريكي اليوم مجتمع مريح وآمن ولكنه يفتقر للثقة بالنفس ويقول الناقد الاجتماعي المحافظ إيرفينج إن المجتمع اليهودي يشكو أعراض الوسواس المرضي والإنهاك العصبي إنه مجتمع يتأثر تماماً بتوتراته المكبوتة والشك بالنفس وهذا الوسواس المرضي ناشئ من الفجوة الكبيرة بين الصورة الذاتية الضعيفة لليهود أمام أنفسهم وبين حقيقة القوة التي يتمتعون بها "

ويرى أحد الكتاب أن سبب التأييد الذي تلقاه إسرائيل من أمريكا مرجعه إلى قوة الضغط المتمثلة في اللوبي الإسرائيلي وقوة يهود أمريكا كقوة ضاغطة ولكن المؤلف يرى خلاف ذلك ويحاول نقد الرأي حيث يرى لو أن الغرض السابق صحيحاً لأعانت أمريكا إسرائيل في بأيامها الأولى ولكن الواقع يقول بأن أمريكا بدأت تؤيد إسرائيل منذ جونسون الذي أعجب بدولة إسرائيل وقد ازدهرت العلاقة القوية الأمريكية الإسرائيلية في عهد الرئيس الجمهوري نيكلسون فقد أعلن نيكلسون لأول مرة أن إسرائيل مصدر قوة إستراتيجى بالنسبة لأمريكا في زمن الحرب الباردة وفي عهده حلت الولايات المتحدة محل فرنسا كأكبر مورد للسلاح بالنسبة لإسرائيل وتضخمت المساعدات المالية الأمريكية لإسرائيل وقفزت من 300 مليون دولار إلى 2,2 بليون دولار سنوياً .

ويرى المؤلف أن قوة يهود أمريكا لم تخلق التحالف الأمريكي الإسرائيلي ولكن على العكس فالتحالف خلق قوة اليهود في أمريكا ولم يوجد المؤسسات بل قواها .

بالإضافة إلى انتصار اليهود في 67 كان عاملاً من عوامل تمكين اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية الإحساس بعدم الثقة وعدم تصديق قوة اليهود لا تقتصر على اليهودي العادي بل تشمل زعماء المنظمات اليهودية ، يقول أحد زعماء منظمة يهودية كبرى " هذه القوة ما هي إلا اختراع صنعه تاحوم جولدمان " الزعيم الصهيوني الألماني المولد .

وكذلك يرى الكاتب أن اليهود أكثر الناس للعطاء الخيري ومن بين القضايا التي دافع عنها اليهود قضية الإجهاض حيث كان يناقش الجهاز التشريعي مشروع قانون للمنع الكامل للإجهاض باستثناء الحالات التي يقرر فيها الطبيب بشهادة رسمية أن الإجهاض ضرورة لإنقاذ حياة الأم وقد عارض هذا المشروع الحاخام روبرت لو – دي ووضح في شهادته أن القانون الديني لليهود لا يعتبر الإجهاض قتلاً للنفس فالطفل الذي يموت بعد ميلاده بثمانية أيام لا تقام له جنازة يهودية .

الصراع من أجل الذات اليهودية :

في 13 سبتمبر 1993 اجتمع أكثر من 3000 شخص بحديقة البيت الأبيض ليشاهدوا توقيع عرفات ورابين على اتفاقية السلام أو التفاوض وكان ثلث الحضور من اليهود بعد الاحتفال بوقت قصير توجهت مجموعة من زعماء الطائفة اليهودية إلى البيت الأبيض ليستمعوا إلى تقرير حول اتفاقية السلام من وزير الخارجية وارين كريستوفر وعندما وصلوا إلى البيت الأبيض وجدوا عدة مفاجآت :

أولاً : لم يكن اليهود فقط المدعوين بل كان هناك زعماء العرب الأمريكيين .

ثانياً : لم يكن هناك تقرير حقيقي حول الاتفاقيات وإنما قام وزير الخارجية بإعطاء الميكرفون لـ" آل جور " نائب الرئيس الذي طلب من الحاضرين الإفصاح عن مشاعرهم وطلب منهم المشاركة في الجهود العربية اليهودية تأمين اتفاقية السلام وحضر بعد ذلك كلينتون ليؤكد ما قاله نائبه وقد انعكس ذلك على اليهودي بالرفض وقدم بعضهم اقتراحاً للكونجرس لمنع واشنطن من مساعدة عملية السلام للتحرك للأمام و تبلغ المنظمات اليهودية حوالي ثلاثمائة منظمة يعمل معظمها في أعمال خيرية كجمع التبرعات نيابة عن مستشفى أو جامعة إسرائيلية كما يوجد منها حوالي ثلاثين مجموعة تابعة لمنظمة الصهيونية العالمية (**WZO**) معظمها نواد للحوار أو تعمل كأجزاء من (**W Z O**) لتنشيط السياحة إلى إسرائيل أو إعداد كتاب عن إسرائيل .

وتوجد شبكة أخرى من المنظمات منفصلة عن الأولى تغطى اليهود في كل مكان وتدعمهم وتجمع لهم التبرعات وتصل التبرعات إلى مليار دولار تفوق ما يجمعه الصليب الأحمر الأمريكي وتسمى " النظام المتكامل " ويشرف على هذا النظام مجلس الاتحادات اليهودية (C J F) وتحظى الجمعية العمومية للمجلس والتي تنعقد سنوياً بأكبر نسبة حضور وأعلى مستوى بين كل التنظيمات اليهودية ويحضر هذا الاجتماع رئيس وزراء إسرائيل يستمع لتقارير آيباك .

ومؤتمر الزعماء و (W Z O) وجهاز (C J F) أقوى جهاز بين منظمات اليهود و توجد قرابة عشر وكالات لعلاقات الطائفة اليهودية وهي الوكالات التي تشرف على العلاقات بين اليهود وغيرهم وتعرف بـ"جبهات الدفاع " وبعض هذه الوكالات تعمل كهيئات خاصة مثل لجنة يهود أمريكا والمؤتمر اليهودي الأمريكي بالإضافة إلى وكالات أخرى ويعرف بـ "وكالات المظلة" .

أما منظمة "آيباك " فهي لجنة العلاقات الإسرائيلية الأمريكية وتدافع داخل الكونجرس عن الموضوعات التي تهم إسرائيل والشرق الأوسط وقد كثرت معارضات اليهود لاتفاقية السلام مع فلسطين وحاولوا تجميد المساعدات لفلسطين .

ولقد ظل عدد اليهود في أمريكا لغزاً لا يعلم أحد عدد يهود أمريكا وذلك يرجع إلى الدستور الأمريكي الذي يفصل بين السلطة والكنيسة و الأكثر تعقيداً من ذلك هو أنه لا يوجد اتفاق قاطع حول التعريف الدقيق لليهودي ، معظم الأمريكيين يعتبرون أن " اليهودية ديانة أو اليهودي معتنق هذه الديانة – ولكن اليهود يعتبرون أنفسهم جزء من جماعة عرقية منتشرة في أنحاء العالم يطلق عليها اسم الشعب اليهودي أو الأمة أو القبيلة أو العنصر أو السلالة واليهود كجماعة يمثلون أكثر القطاعات الليبرالية في الخريطة السياسية الأمريكية .

ففي نيويورك تحتفل الطائفة اليهودية بمولد إسرائيل كل ربيع وتنظم استعراضاً بهذه المناسبة وبانتخاب اسحق رابين في عام 1992 رئيساً لوزراء إسرائيل ازدادت الخلافات اليهودية إلى مرحلة جديدة فقد تأسست منظمة الرؤساء وآيباك لمساندة إسرائيل لكن لوجود رابين خسر ذلك التأييد عندما حاول البحث عن طريقة لإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي وأدى ذلك إلى وقوع الخلافات بين اليهود أنفسهم حول حكم رابين في الوسط اليهودي نجد الخلاف بينهم فهم ينقسمون إلى ملتزمين باليهودية وغير ملتزمين .

جذور النفوذ اليهودي: كان أول اتصال رسمي بين الطائفة اليهودية و حكومة أمريكية في عام 1790 بعد عام من انتخاب جورج واشنطن رئيساً للجمهورية الجديدة فقد كتب حطاباً لأعضاء المعبد اليهودي بولاية رود آيلند متميزاً بالدفء و الفصاحة وحتى يومنا هذا مازال الخطاب يدرس في المدارس الدينية كمنهج تأسيس لحرية اليهود فقد أرسل جورج واشنطن ثلاث خطابات رداً علي خطابات اليهود التي تهنئه بالانتخابات و اعتذروا له عن التأخير لوضعهم المختلف .

ويتحدث المؤلف عن كيفية تصاعد قوة اللوبي اليهودي فقد حقق اليهود في أمريكا الكثير من الانتصارات في الكونجرس وبلغت ذروتها في عام 1981 وأخطر القصص في الصراع السياسي للوبي هي قصة طائرات الأواكي التي طلبتها السعودية وتصدى لها اليهود بقوة ولكنهم لم يستطيعوا منع الصفقة وأدى ذلك إلى ظهور" آيباك " على أنها قوة لا تهزم والسبب في قوة آيباك يرجع إلى :

تغيير نظام الحكم في واشنطن .

تغيير النظام داخل آيباك فقد أصبحت قوة سياسية وزاد من عدد المشتركين حيث كانت تمول عن طريق الأثرياء وأصبح لليهود قوة داخل أمريكا ازدادت قوة اليهود مع اعتبار ريجان لليهود كأصدقاء .

وقد كان الضغط على الكونجرس الأمريكي من أجل المساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة إلى إسرائيل يعد مجرد جزء صغير من عمل آيباك فقد تفرع في الستينات من 150 شخصاً عملوا في آيباك والباقي قاموا بإدارة آلة عملاقة لممارسة النفوذ اليهودي المتنوع لأشكال فريق يعمل في الأبحاث لإمداد اللوبي بالمعلومات حول قضايا الشرق الأوسط بداية من حقوق المياه حتى الصواريخ والفريق الآخر يعمل على نشر كتيبات ونشرات صحفية عن أبناء إسرائيل وفريق ثالث يعمل بالإدارة والتمويل وجمع التبرعات اللازمة لاستمرار عملة آيباك في الدوران .

وتقوم المنظمة بجمع التبرعات للمرشحين للكونجرس وتطلب من كل مرشح أن يكتب تفصيلاً آراءه حول الشرق الأوسط ثم تجري بعد ذلك مناقشة كل هذه الأفكار لتحديد الشخصيات الأكثر ميلاً تجاه إسرائيل .

وعن اليهود الذين في المناصب العامة يرى آبا أيبان السياسي الإسرائيلي الكبير وأشهر ديبلوماسيها أن اثنين فقط من يهود أمريكا هما اللذان حققا قوة حقيقية في الولايات المتحدة أما الباقون فهم أصحاب نفوذ وهما آرثر جولدبيرج وهنري كيسنجر .

أما جولد بيرج كان سفيراً لأمريكا في الأمم المتحدة عام 1967 وعندما كان يناقش مجلس الأمن سبل اجبار إسرائيل على الانسحاب من الأراضي التي احتلها في الحرب 1967 استطاع أن يناور وبمهارة حتى حصل على قرار 242 الذي ينص على انسحاب إسرائيل من أراضٍ احتلها في الحرب دون تعريف أراضٍ حتى يكون لها حق الانسحاب من بعض أو كل حسبما يتراءى لها .

أما كيسنجر فهو مستشار الأمن القومي ثم وزير الخارجية الأمريكية الذي قاد السياسة الخارجية الأمريكية في حكومتي نيكلسون وفورد وكانت ذروة الأزمة في الشرق الأوسط وقد كان نيكلسون غارقاً في أزمة ووترجيت وتمكن كيسنجر من إدارة الأمور بمفرده .

ويرى الكاتب أن رؤية آبا ايبان قاصرة حيث إنه يوجد العديد من اليهود الذين اسهموا في تغيير أحداث الشرق الأوسط وأن كان أقل شهرة من جولد بيرج وكيسنجر

ويتحدث المؤلف عن قوة اليهود وصناديق الاقتراع فيقول " نشر الصحفي ستيفين آيزاك دراسة مهمة عام 1974 حول اليهود و السياسة الأمريكية جاء فيها أن تواضع اليهود و سيطرة عقلية " الجيتو " عليهم و انتظارهم للتوقعات المحددة و الشعور بالضعف . كل هذا جعل اليهود يحجمون عن مجرد محاولة ترشيح أنفسهم في المناصب الانتخابية وعندما ظهرت دراسة آيزاك كان شيخان يهوديان فقط في الكونجرس هما جاكوب جافيتس من نيويورك و آبراهام ربيكوف مع شيخ ثالث معين و 12 نائباً في مجلس النواب و بعد نشر الدراسة ازداد عدد اليهود تدريجياً في الكونجرس و بحلول عام 1991 أصبح هناك 33 نائباً في مجلس النواب أي بنسبة 7,9% .

و منذ عام 1990 أصبح اليهود في الكونجرس قوة تدافع عن المصالح الإسرائيلية فقد عملوا علي زيادة المعونات لإسرائيل و دخلوا في مواجهات مع الإدارة الأمريكية لمنع أي ضغط علي إسرائيل.

و يختلف مجلس الشيوخ عن مجلس النواب فالشيوخ ينتخبون علي أنهم ممثلون للولايات المتحدة و النواب ينتخبون علي أنهم ممثلون لأحيائهم و عدد الشيوخ 100 ، و عدد النواب 453 و تنعقد لقاءات الأعضاء اليهود لمناقشة قضايا إسرائيل أو عند عقد صفقة سلاح لدولة عربية وحوالي نصف الأعضاء في مجلس النواب يمثلون مدناً ذات كثافة سكانية يهودية مثل نيويورك و ميامي و شيكاغو .

ومن الأمثلة اليهودية التي لمعت في مجلس النواب هو ستيفن سولارز من بوكلين وكان كان خبيراً في الشئون السياسية الذي دافع كثيراً عن إسرائيل و قام بأدوار نشطة منها تأييد الضربة العسكرية للعراق عام 91 و تجميد أي محاولة لإحياء ذكرى الأرمن .

و في 1993 تم الاتفاق الإسرائيلي الفلسطيني في حديقة البيت الأبيض و أوصت إسرائيل أمريكا بأن تمنح منظمة التحرير الفلسطينية معونة قدرها نصف مليار دولار حتى بقوى عرفات في مواجهة التيار الإسلامي الفلسطيني و لكن يهود أمريكا رفضوا الاعتراف بهذه الاتفاقية وحاولوا تعطيل المعونة الأمريكية و اقترحوا ربطها برفع المقاطعة العربية لإسرائيل .

وفي نهاية هذه الجولة السريعة فإن هذا الكتاب من الكتب الخطيرة بالفعل فالمؤلف في هذا الكتاب يقتحم مجالاً غير مسبوق ، حيث يتبنى نظرة عميقة وكاشفة لقوة اليهود الحقيقية ومدى نفوذهم في الولايات المتحدة اليوم، ويطرح كذلك أفكاراً معارضة للأساطير الراسخة التي تصور اليهود بأنهم ضحايا عاجزون .

مائير كهانا

وغلاة التطرف اليهودي

الكتاب من القطع الصغير، للمؤلفين "فيليب سيمون" و "رفائيل ميرجي" وترجمة وإعداد:"عائدة عم على"، وقد جاء الكتاب في (172) صفحة، وقد صدر هذا الكتاب مؤخراً عن دار "الأوائل للنشر والتوزيع" في دمشق بسوريا.

لقي هذا الكتاب الضوء بشكل محايد على خلاف ما عهدناه من الكتب الغربية والتي تكون متحاملة على الجانب العربي بشكل واضح لحساب الجانب الإسرائيلي. فهذا الكتاب حاول مؤلفاه كشف الشخصية اليهودية المتعصبة والتي تمثلت في "مائير كهانا" اليهودي الإرهابي المتعصب

تعد المنطقة العربية إحدى مناطق العالم القديم الذي لا يخلو من السكان والحضارة كبلدان العالم الجديد فقد تم التطلع إلى استيطان من نوع خاص...استيطان اختير له اليهود بالذات، وفلسطين بالذات. فقد كان اليهود يعيشون نوعاً من الانغلاق يطلق عليه" الغيتو" ضمن أوطانهم في أوروبا. وكما هو معروف في العقيدة التوراتية فإن إبراهيم اخذ الأرض من الرب له ولنسله من بعده ، هذه الفكرة التي زورها اليهود عبر التاريخ كرسوها في كتبهم السوداء حتى وقتنا الحاضر، حتى بات الحديث عن (أرض الميعاد) أمراً واقعاً بالنسبة ليهود العالم،

وغير ذلك مما يمكن أن يستغل لخلق دافع محرض لتحريكهم باتجاه فلسطين. ويتم اختيار فلسطين لأنها تقع – حسب الاعتقاد الديني – ما بين النيل والفرات، ولأنها تؤمن الشروط الإقليمية المطلوبة لتحقيق الغرض الاستعماري، ولأنها المقصودة بأرض المعاد وفيها هيكل الرب المزعوم.

لقد تم اختيار اليهود بالذات لانتفاء دوافع الهجرة التلقائية لاستيطان فلسطين من قبل البيض الأوروبيين العاديين، الذين كانت تجذبهم بلدان العالم الجديد للهجرة الفردية الطوعية، بدوافع اقتصادية محضة، فقد كانت تلك الهجرات سياسية في الإطار العام، تحرض عليها، وتروج لها البلدان الاستعمارية الأم. من هنا كان لابد من عنصر يتم تحريكه عن طريق إشعال الحماس الديني وباستغلال واقع الانغلاق الذي يعيشه ضمن ما كان يسمى (بالمسألة اليهودية).

ومن أبرز المشروعات الاستيطانية الصهيونية خارج فلسطين مشروع الأرجنتين الذي وضعته (الجمعية اليهودية للاستيطان) التي أسسها البارون (موريس دوهيرش) في لندن عام 1891م، والتي عملت على بناء أول مستوطناتها في (موزفيل) في إقليم سانتا.

كما دعم هذا المشروع الصهيوني (تيودور هرتزل) في كتابه الشهير (دولة اليهود) الصادر عام 1896م، في محاولة لإيجاد وطن قومي لليهود على أي بقعة على هذه الأرض.

ومشروع الولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل وكندا، خاصة بنسلفانيا ونيويورك ونيوجرسي ، فقد قامت الصهيونية بشحن أفواج اليهود من روسيا وبولندا من أجل إنجاح هذا المشروع.

ومشروع العريش الذي قدم دراسته اليهودي الألماني "ديفزتريتش"، وخصص مكان إنشاء المستوطنات في شبه جزيرة سيناء العربية المصرية، ثم تم توسيع المفهوم لشمل فلسطين وسيناء وقبرص ، وقد فضل هرتزل هذا المشروع على الكثير من المشاريع المطروحة، فأجرى مباحثات مع الورد "كرومر" الحاكم البريطاني لمصر وقتئذ 1902م، وشكل لجنة صهيونية من خبراء الاستيطان لمفاوضة البريطانيين، ورفضت الحكومة المصرية استثمار مياه النيل لهذا المشروع.

وقد درس "هرتزل" مشروع العريش، خاصة أن (جوزين تشمبرلين) وزير المستعمرات البريطانية هو الذي عرض عليه المشروع، وذلك عام 1903م، وافق "هرتزل" على المشروع لأسباب شخصية وسياسيةمنها: تقوية "هرتزل" وتعزيزه في المنطقة الصهيونية، وبخاصة بعد ظهور العديد من الاتجاهات المناوئة له ولتوجيهاته، ولإدارته وسياسته، إضافة إلى أن الفكرة لم تخرج عن مضمون برنامج بال الذي وضع برعايته، ولأنه يمثل انتصاراً لاتجاهه في الحصول على ضمانات دولية للاستيطان اليهودي وبعد وفاة "هرتزل " الصهيوني عمل الصهيوني "إسرائيل زانغويل" على تأسيس (المنظمة اليهودية للأراضي) وغرضها الاستيطان،

وهي التي انشقت عن الحركة الصهيونية عقب المؤتمر السابع. وهناك أيضاً مشروع ليبيا، فقد قام اليهودي (ناحوم سلاوش) بدراسة الأوضاع في ليبيا، وذلك من أجل إقامة مستعمرة يهودية قومية تتمتع بالاستقلال الذاتي، لكن لم يكتب لها النجاح، وهناك أيضاً مشاريع أخري لاستيطان اليهود منها أنغولا واستراليا والمكسيك والعراق.

وقد اختلفت العديد من المصادر في تبيان تفاصيل خاصة عن اليميني المتطرف (مائير كهانا)، وُلد مائير كهانا ومات في نيويورك ويمكن أن نشرح الطريق التي بلور فيها حياته بالمصطلحات الأمريكية بشكل أساسي، ولكن موته مرتبط بالنزاع العربي- الإسرائيلي.

فقد بدأت حياة الإرهابي مائير كهانا السياسية عام 1968؛ حيث أسس الجمعية اليهودية للدفاع، واستوحى من فترة الشباب في حركة (بتيار الشعارات والحالة النفسية والنزعة والعنف النصف عسكرية، وهذه الأمور جذبت النمور السود الذين شكلوا منظمة (الوترمان) اليسارية و(هيانج لوردس)، وفي عام 1968، اجتاحت مدن الولايات المتحدة موجة من العنف الأسود، وقد زادت أعمال العنف في نيويورك وبشكل خاص في المدارس والأحياء الفقيرة.

والتزمت الجمعية اليهودية بالدفاع عن الأحياء اليهودية من أعمال الشغب، والكل يذكر الحرس المدني؛ حيث يوجد حتى اليوم خلاف حول الدفاع الذي قدمته الجمعية اليهودية للدفاع عن تلك الأحياء. وكانت هناك محاولة لتدريب وإعداد الشباب على فن الدفاع.

وفي شهر كانون الأول عام 1969م، وصلت الإسرائيلية الصهيونية (جيئولا كوهين) إلى نيويورك، وقالت للإرهابي كهانا في ذك الوقت بأنه يضيع وقته في محاربة السود، وأن الموضوع الأهم هو يهود الاتحاد السوفيتي، واختار كهانا العرب وهذا لم يحدث دفعة واحدة، فقد كانت العمليات الأولى لرجاله والتي تتصف بالإرهاب والقمع والإجرام متمثلة بـ(جمعية الدفاع اليهودية) وحركة (كاخ) في البلاد ضد بقايا الجاليات المسيحية في القدس، وضد الزنوج العبريين في ديمونا، وهذه المواضيع تذكره بصراعه في أمريكيا .

وحركة (كاخ) الإرهابية لم تستطع أن تنجح إلا بجلب بعض المئات القليلة من أجل لمظاهرات بمشاركة الحاخام كهانا. لقد أخفقت محاولاته بفرض استفتاء عام على الحكومة من أجله إخفاقاً ذريعاً.

وقد تركز نشاط "كهانا" على العمليات السرية، والعمليات الليلة ضد العرب وممتلكاتهم ، وضد اليهود الذين يؤمنون ويؤيدون اليسار وعمليات التحريض بالاعتداء على العرب في الأماكن التي تحدث فيها العمليات الفدائية.

ويرتدي الإرهابي كهانا اللباس اليهودي الأرثوذوكسي الأصولي، وله لحية أطلقها لتعبر عن ارتباطه بمنهج ديني، وليس نزعة شخصية جمالية. فهو يهودي أصولي يمارس الطقوس اليهودية الأرثوذوكسية؛ أي أنه يوحي أنه مؤمن بنصوص التوراة كما وردت في الأسفار الخمسة، ويؤمن إيماناً مطلقاً بما ورد في التلمود على ألسنة أبالسة التاريخ (الحاخامات)،

و هو بدوره تقمص هذه المفاهيم والأفكار التوراتية التلمودية، وأصبح حاخاماً، ليشر ع القتل وسفك الدماء، ويحقق ما جاء في تلك النصوص في عدائها المستحكم ضد كل غير يهودي.

و يبدو أن له أسلوباً خاصاً في الحياة، فكلماته تعبر عن أنه في صباه قد تربى في أعنف شوارع السود في نيويورك، وهذا ما أكسبه مقدره خاصة لتقبل الشتائم والإهانة التي تحط من قدره وقيمته بابتسامة فاقعة، ويدافع عن أكثر أفكاره غير القابلة للدفاع بهدوء غريب، يعد "مائير كهانا" متعصباً، ويبدو أن لمائير كهانا أسلوباً خاصاً به في الحياة فكلماته تعبر عن أنه في صباه قد تربى في أعنف شوارع السود في نيويورك وهذا ما أكسبه مقدرة عالية لتقبل الإهانة والشتائم التي تحط من قدره وقيمته بابتسامه فاقعة ويدافع عن أفكاره غير القابلة للدفاع بهدوء غريب. يعد مائير كهانا متعصباً، إلا أنه مع ذلك يبدو واثقاً من نفسه وكأنه يملك رباطة جأش خاصة.

يقول كهانا:" إن إسرائيل لديها موهبة عظيمة وقدرة عظيمة عل تسوية الخلافات مع أسوأ أعدائها، ومقدرة عالية على خلق مجتمع إنساني شامل متحد". فأقوال "كهانا" هذه مخالفة لطبيعة النظام السياسي العسكري السياسي الصهيوني الذي يمارس ضد الشعب الفلسطيني بخاصة، وضد الشعب العربي بعامة.

ويتساءل عن دولة يمكنها تسوية الخلافات الحادة بين الصين والاتحاد السوفيتي السابق، وبين فيتنام وكمبوديا، وبين مصر وليبيان وبين المسلمين والمسيحيين، والبيض والسود، والعالم الأول والثاني والثالث، والفاشية والاشتراكية. كل هذه التناقضات بين الدول يعتقد كهانا أنه لا يوجد دولة قوية تعمل عل حل هذه الخلافات. من هنا ينطلق الإرهابي كهانا للتعبير أن (دولة إسرائيل) تتعرض لكره شديد من الدول العربية المحيطة بها مع أن (الدولة اليهودية) (هي دولة متماسكة وفيها وحدة شاملة تعيش ضمن عالم مقسم)، لذا فهو يؤكد أن دولة إسرائيل دولة دينية دنيوية معاً، وأن قدم اليهودي الموجودة بالعالم مصابة بالفصام، فحين تطأ قدم اليهودي أرض فلسطين تترسخ بشدة، وترتبط بالأرض (أرض الأجداد)(الأرض الموعودة). ويقول بأن إسرائيل هي دولة يهودية يملك العرب الحق في تحويلها إلى شئ آخر عن طريق وسائل ديمقراطية، عن طريق جعل العرب يعتقدون أن بإمكانهم أن يكونوا متساوين مع اليهود في دولة يهودية؛ فالصهيونية هي إهانة لذكائهم.

ويستكمل المؤلفان ما تم توضيحه عن حياة كهانا؛ فهما يؤكدان أن تكرار ذكر الحياة الشخصية هو تعبير عن انعكاس لسلوكه الإرهابي والإجرامي، فقد ولد (ديفيد مائير كهانا) في مدينة فلات بوش في بروكلين في نيويورك، وهي المدينة التي قتل فيها، ومات بالسلاح نفسه الذي كان يدعو باستعماله. وفي عام 1947م ارتكب مائير كهانا أول عمل عنف له

وهو في الخامسة عشر من عمره عن طريق رمي الوزير البريطاني (إيرنيس بيغن) بالبندورة احتجاجاً على اعتقال اللاجئين اليهود في قبرص. وقد كان سلوكه واضحاً ومميزاً عندما احتفل بنصر الصهاينة (إسرائيل) على العرب في حرب 1967م، ظهرت لديه النفسية الإرهابية بشكل ظاهر عندما بدأ يفرغ شحناته العدوانية ضد السود في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد تصادم مع السود أكثر من مرة؛ حيث قام بتنظيم دوريات يهودية تحت ذريعة الدفاع عن النفس، وضم هذه الدوريات إلى اتحاد الدفاع اليهودي (JDL) الذي أسسه وصديقه المحامي(بيير ترام) وهي منظمة نيابية عملت على ضم المجندين الشباب الجدد، ودفعتهم للخضوع للتدريبات القاسية في المخيمات الواقعة في جبال (كاتسكل)، والتي يتم فيها التدرب على جميع الأسلحة المتاحة، وإتقان الفنون القتالية الحربية الإرهابية ، وكيفية صناعة المتفجرات.

و قد كتب يهودي صهيوني يعد نفسه متحرراً يقول: يجب على الفرد أن يعتذر مرتين؛ مرة عن تصرفات كهانا وصبرا وشاتيلا، ومرة عن أصدقاء الجناح اليساري في أنحاء العالم الذين صموا أصواتهم لأولئك الذين عادوا الصهيونية. فمن أجل أن تكون يهودياً اليوم ف، ذلك يحولك إلى متشائم، لأن أقل زلة يرتكبها الصهاينة توضع تحت المجهر، ويتم فحصها، الأمر الذي يثير عاصفة أعظم بكثي ممن الحرب العراقية الإيرانية، والذي يعد أكثر فتكاً من الجريمة البشعة في هيروشيما ونجازاكي معاً.

إن هذه الأمور التي تشاهد من تحت المجهر تقوم الدنيا ولا تقعد من أجلها حسب التعبير الصهيوني. أما المجازر التي يرتكبها اليمين واليسار والمتطرفون والمعتدلون بحق الشعب الفلسطيني الأعزل فهي لا ترى لعيونهم العمياء عن الحقيق. منذ أن فاز الإرهاب في دولة الإرهاب بمقعد في الكنيست؛ حيث صرح في إحدى المقابلات الإعلامية بأن العنف يجب أن يكون مفاجئاً إذا ما وجد كهانا نفسه أيضاً يوماً متجاوزاً الصواب. وهناك سؤال لابد من الإجابة عليه وهو هل جميع المؤيدين الصريحين لفكرة إسرائيل العظمى ينتمون إلى اليمين المتطرف؟ ويأتي الجواب: لا، إذ إن معظم هؤلاء أعضاء في الحزبين الكبيرين؛ العمال والليكود، أو في الأحزاب الدينية التي مبدأها إن لم يكن هدفها الوحيد هو إقامة إسرائيل العظمى، وجميعها أحزاب دينية تتضمن:

هتحيا، أي النهضة، وحزب الموراشا، وحركة كاخ، وحركة غوش إيمونيم وحزب حيروت (حركة الحرية)، والحزب الليبرالي (حزب الأحرار)، وحزب لاعام (حركة العمل الرسمية)، فهذه الأحزاب الدينية ممثلة في الكنسيت الاسرائيلي، ولها عدد من المقاعد بمعنى أن لها جمهوراً يهودياً صهيونياً متدنياً يؤمن ببرامجها الاستراتيجية والتكتيكية، كما يؤمن بممارستها العنصرية والإرهابية.

وقد تناول المؤلف تحت عنوان "قانون الله مقابلة مع الحاخام مائير كهانا" عدة أسئلة وجهت إلى (كهانا) ومن هذه الأسئلة سؤال وجه إلى كهانا وهو:" بالنسبة لك ما هي الحدود الدقيقة لدولة إسرائيل؟

فكان جواب كهانا إنها الحدود المذكورة في التوراة. فسأله المحاور مرة أخرى:" ولكن هناك تفسيرات مختلفة بين الحاخامات؟ دعني أخبرك ما هي الحدود المصغرة والتي يتفق عليها الحاخامات استناداً إلى الوصف المذكور في التوراة. تبدأ الحدود الجنوبية من العريش والتي تتضمن كل من منطقة سيناء الجنوبية إضافة إلى مستوطنة (ياميت) الموجودة في طابا المصرية، وتسير الحدود إلى الشرق على طول الجزء الغربي من الضفة الشرقية لنهر الأردن، ومن ثم جزء يعرف الآن بالأردن، كما وتشمل دولة إسرائيل جزءاً من لبنان وأجزاء معينة من سوريا، وجزءاً من العراق وامتداداً حتى نهر دجلة .

وأعاد عليه المحاور سؤالاً آخر وهو أن ذلك يعني أن هناك حرباً دائمة مع العرب ؟ فأجابه كهانا أنه ستكون هناك حرب دائمة سواء مع و بدون كهانا، وليس كهانا هو الذي يريد الحرب، بل السبب أن العرب يؤمنون بأن اليهود لصوص. بإمكاني أن أفهم وجهة نظر العرب التي ليس لها علاقة بماهية الحدود، سواء أكانوا هنا أم هناك فلن يختلف الأمر، فعندما وافقت إسرائيل على حدود عام 1947م، قال العرب لا وبعدها لن يقبل العرب بحدود عام 1949م، ومن ثم حدود عام 1967م، فلن يقبل العرب أية حدود؛ فهم يتقدون بأن هذه الأرض تنتمي لهم، وبإمكاني أن أفهم وجهة نظرهم، ولهذا فسوف تكون هناك حرب على الدوام. الأمر ليس بذلك السوء،

وليس بالأمر غير العادي، فقد خدمت في الجيش، وابني خدم كذلك، وأيضاً زوج ابنتي.

وسأله "إذاً برأيك بالنسبة إلى اليهودية أن العنف مشروع؟

فقال (كهانا) " كل شئ مكانه، والتوراة تقول بأن هناك وقتاً للحرب ووقتاً للسلام، ففي بعض الأحيان تأمر التوراة اليهود أن يذهبوا إلى الحرب، وأحياناً أخرى تأمرهم أن يعيشوا بسلام. عندما تكون في خطر أنت مجبر أن تذهب إلى الحرب، بل يجب أن تذهب إلى الحرب، وعندما لا تكون في خطر فيجب عليك إذاً أن لا تذهب.

وحول ملابسات مقتل الإرهابي (كهانا) وردود الأفعال أثار قتل الحاخام الإسرائيلي العنصري مائير كهانا ردود أفعال كثيرة؛ حيث تم اغتياله يوم الاثنين 11/5/ 1990م في نيويورك، ليتم إسدال الستار على واحد من ظواهر العنصرية والتميز العنصري في العالم، فهذا الاغتيال السياسي عده الكثيرون من الاغتيالات السياسية الغامضة حيث يطوى سر القاتل والقتيل معاً، والإرهابي مائير كهانا هو أول زعيم يقتل بيد عربية على أرض الولايات المتحدة الأمريكية، وقدتم ذلك بعد وقت قصي من صدور تصريحات عربية علنية تقول إنه في حالة اندلاع حرب في الخليج فإن ذيولها لن تقتصر على المنطقة، بل ستمتد إلى خارجها، وتصل إلى داخل الولايات المتحدة نفسها. وهكذا تأتي عملية اغتيال إرهابي عتيد متمردي بالقتل والجريمة وخبير باستخدام فكره العنصري ضد الآخرين؛ وتأتي وكأنها الدليل العملي الذي يمكن أن يحدث يمكن أن يحدث مستقبلاً، ولكن؛ على نطاق واسع.

وقد وصفت الصحافة الغربية الإرهابي المتعصب كهانا بأنه محرض محترف، ورسمت له شخصية قاتمة بلحية رمادية، ونظرات تثير القلق، ووجه تغزوه توترات عصبية دائمة.

مملكة إسرائيل اسم موضوع وتاريخ مصنوع

يأتي هذا الكتاب لكشف الادعاء الإسرائيلي – ومن يؤيده من مؤرخين وعلماء آثار وإعلام وسياسة – أن الإسرائيليين قد استطاعوا إنشاء دولة(مملكة) في فلسطين، في العصر الحديدي الأول قبل الميلاد لأول مرة، وأن ذلك يعتبر تحقيقاً لدرجة عالية من التطور السياسي الذي وصل إليه بنو إسرائيل، وكان مفقوداً في هذه المنطقة في ذلك العصر، وأن هذه المملكة كانت دولة مستقلة، لا تخضع لسيادة أي دولة من الدول الكبرى التي كانت موجودة في حينه ، ومؤلف هذا الكتاب هو " هشام محمد أبو حاكمة "، والكتاب من القطع المتوسط وقد جاء في 247 صفحة مشتملاً على ثلاثة عشر فصلاً بعد المقدمة، وقد صدر الكتاب مؤخراً عن دار " الإسراء للنشر والتوزيع" في عمان بالأردن. يرى المؤلف في الفصل الأول "التاريخ الجغرافي القديم لفلسطين" أنه قد بات من المؤكد أنه لم يكن هناك شئ اسمه فلسطين قبل الألف الثاني ق.م ، فالمنطقة المسماة الآن بفلسطين لم تكن إلا جزءاً من جنوبي سورية.

ثم تناول المؤلف ما حدث في العصر البرونزي القديم (3000 – 2100 ق.م)، ففي هذا العصر ظهرت الأنماط الاستيطانية والاقتصادية في المنطقة. فقد ازداد عدد المستوطنات الزراعية، وكبر حجمها، وضمت عددا من السكان يزيد عن الألف نسمة. وقد اتجه فريق من المؤرخين إلى القول بأن هذا الاستقرار السكاني، أدى إلى ظهور نمط سياسي بسط في فلسطين، كظهور ممالك المدن. ولو أن هذا حصل فعلاً في مناطق سوريا الشمالية، ففي المناطق الجنوبية لا يوجد دليل قاطع على وجود مثل هذه المدن خاصة في بداية هذا العصر.

ولكن من المؤكد أنه ظهرت بعض المدن المحصنة ذات الملكيات الخاصة، حيث دلت الحفريات على وجود عدة مدن ، كان عدد سكانها يضم بضعة آلاف. كما اهتدى سكان فلسطين إلى خلط النحاس بنسبة معينة من القصدير فأنتجوا أدوات برونزية متعددة الأشكال والوظائف.

وفي خلال العصر البرونزي الوسيط (2100 – 1550 ق.م) وبعد انتهاء فترة الجفاف، بدأت فلسطين تأخذ طابعها الحضاري، بين بلاد المنطقة، فأصبحت ممراً تجاريا نشطاً بين الشمال والجنوب، والغرب والشرق، وفي خلال هذا العصر أيضاً كان هناك نفوذ مصري في معظم مناطق فلسطين خاصة الجنوبية منها، ويظهر ذلك من خلال (نصوص اللعن المصرية)،

وهي النصوص التي استخدمت للعن بلدات وأمراء الأعداء المسجلين في هذه النصوص، فهذه النصوص تشمل أسماء كثيرة لبلدات فلسطينية كانت مشهورة في ذلك الحين، ومنها (شكيم) و (عسقلان) و (حاصور) و (فيلا)، وأيضاً كثيرا من أسماء الحكام لهذه المدن وغيرها مما يدل على أن هناك نوعا من الكيانات السياسية البيئية البسيطة، كان موجوداً في تلك الفترة.

وفي العصر الميسيني (1300 – 1050 ق.م) تعرضت المناطق الشرقية لحوض البحر الأبيض المتوسط إلى فترة من الجفاف وذلك في نهاية العصر البرونزي الأخير، ونتيجة لهذا الجفاف هجرت بعض المدن الفلسطينية جزئياً وبعضها كليا مثل (تعنك) وبعضها كان التأثير عليها بسيطاً مثل (مجدو)، حتى عام 1050 ق.م انتهت فترة الجفاف وبدأ الناس يعودون إلى الزراعة، وظهر في هذا العصر فئات من التجار والفلاحين والحرفيين بأعداد كبيرة. ولكن لم يظهر في هذا العصر ما يدل على وجود قبائل من بني إسرائيل، حيث لا شواهد كتابية، ولا أثرية، ما عدا ما جاء في المرويات التوارتية. وبانتهاء فترة الجفاف يكون العصر الحديدي قد بدأ.

وتناول المؤلف في الفصل الثاني " فلسطين في التاريخ" بداية تسمية فلسطين بهذا الاسم متناولا آراء المؤرخين حول الأحداث التاريخية التي مرت بها المنطقة في هذا التاريخ وأهمها فترة الجفاف السابق ذكرها حيث أنها أدت على انهيار الحضارة "الميسينية" في كريت وجزر بحر إيجة، مما أدرى إلى هجرة سكان هذه المناطق إلى سورية ومصر وليبيا وعرفت هذه الهجرة باسم (هجرة شعوب البحر) ، والنصوص التاريخية الموثوقة، تدلنا على أن هذه المنطقة كانت تسمى بـ"فلسطين" وذلك قبل قدوم شعوب البحر إليها وعليه فإن من يرى أن هذه الاسم قد أطلق على هذه المنطقة بعد احتلال شعوب البحر لها، نظراً لوجود شعب (البيليست) ضمن هذه الشعوب، فهذا رأى خاطئ، ويستنتج من ذلك ما يلي:

يرى "ليوناردو وولي "، والذي اكتشف مملكة الآلاخ في شمال سورية أنه عثر على قطعتين خزفيتين فلسطينيتين تاريخ واحدة منهما عام 1650 – 1550 ق.م. والثانية عام 1600 – 1500 ق.م. وهذا يدل على أن المنطقة (سورية) كان يسكنها شعب اسمه الفلسطينيون، وقد استطاعوا الوصول إلى مملكة الآلاخ، أو أن شعب الآلاخ جاء إليهم، نقل هذه الخزفيات، وذلك قبل هجوم شعوب البحر على المنطقة بعدة قرون.

ورد اسم (فلسطين) في التوراة أكثر من مرة بما يفيد أن الاسم كان معروفا ومتداولا قبل القرن السابع عشر ق.م. وقبل مجئ إبراهيم عليه السلام إلى المنطقة وعلى سبيل المثال ورد في التوراة ما نصه:" وتغرب إبراهيم في أرض فلسطين أياماً كثيرة" [التكوين 21:34].

كذلك ما سجله (هيروديت) في كتابه (مكتبة التاريخ) ما رآه في فلسطين، وتقسيماتها الإدارية، والشعوب التي سكنتها، وفي كل كتاباته عن تلك المنطقة كان يذكر بالاسم (فلسطين) ولم يشر ولو مرة واحدة إلى الأسماء (يهوذا، أو إسرائيل).

لا يمكن أن تكون فلسطين قد سميت بهذا الاسم بناء على اسم (البيليست) الذين جاءوا مع شعوب البحر، وذلك لأنه ما من شعب ، أو قوم ينتمي إلى هوية، غير هوية المنطقة التي احتلها، قد استطاع فرض اسمه علي المنطقة التي استوطنها.

ثم يأتي الفصل الثالث "بنو إسرائيل قبل المملكة" وقد تناول المؤلف في هذا الفصل ثلاثة جوانب: معنى كلمة "إسرائيل" وهي "عبد الإله" وعلى من أطلقت في "التوراة" وفي "القرآن الكريم" وكذلك ما ذكرته التوراة من هجرة أناس غير بني إسرائيل من مصر مع "موسى – ؛ - " ، ومع هذا "فالقرآن الكريم" أطلق على كل من هاجر مع " موسى – ؛ -" اسم " بني إسرائيل ". وبقي "موسى" و"هارون" – إ- يقودان " بني إسرائيل"

حتى توفيا حوالي 1181 ق.م. وتولى أمر "بني إسرائيل بعد وفاة "موسى " – عليه السلام- "يوشع بن نون"- ؛ - وهم على أبواب "فلسطين"، وكان ذلك ذروة الجفاف (الميسيني) حوالي عام 1200 ق.م. حيث كانت أوضاع السكان السائدة في المنطقة يرثى لها، وكان هذا سبباً في سهولة استيلاء "يوشع" ومن معه على كثير من المناطق، في حروب قبلية بدوية.

ويأتي عهد القضاة والذي بدأ في أوائل العصر الحديدي الأول، وفي هذا العصر كانت مملكة الحثيين في الأناضول قد انتهت(حوالي 1200 ق.م)، ومملكة " ميتاني " وزالت مدينة " أوغاريت " من الوجود، وكذلك أغلب المدن في جميع أنحاء سوريا. ويرى "بورتر" أن هذه المدة كانت فترة اضطراب فلم يكن حينئذ ملك في إسرائيل، وكان كل واحد يعمل ما يحسن في عينيه.

ولكن في عهد القاضي صموئيل الحسن السيرة، الذي صار قاضياً على كل الشعب، استقامت أمور بني إسرائيل نوعاً ما، ومع هذا فلم يستولوا على أراضي جديدة. ولما شاخ عين ابنيه قضاة، ولكنهما أفسدا القضاء، فجاء بنو إسرائيل وطلبوا منه أن يقيم لهم ملكاً. وفي النهاية اختار لهم "شاؤول" ملكا. وبانتهاء عهد القضاة، بدأت الملكية الإسرائيلية.

وفي الفصل الرابع تناول المؤلف الوضع السياسي في "فلسطين" في العصر البرونزي الأخير، ففي بداية العصر البرونزي الحديث (1550 – 1200 ق.م) كان الوضع السياسي في فلسطين يتصف بعدم الاستقرار، إذ كثر فيها اللصوص وقطاع الطرق، ولم توجد فيها مدينة مستقرة تماما، وأصبحت المدن عاجزة عن أن تؤمن الحماية الكافية لنفسها، وحرصا من مصر على تأمين الخط التجاري الذي كان يربطها مع سورية، ومع بلاد ما بين النهرين، فقد قررت أن تفرض سيطرتها على "فلسطين"، وأن تضعها تحت إمرة الجيوش الفرعونية.

وتناول المؤلف في الفصل الخامس" التوراة تصنع الملك داوود" فيرى المؤلف أن كلمة (ملك) في العصور القديمة، والأقوام التي عاشت بها، ومن ضمنها "بنو إسرائيل"، على أنها كلمة ذات مدلول كبير، اللهم إلا في الإمبراطوريات التي ذكرها المؤرخون، ولها دلائل آثارية واضحة، لا زالت ماثلة للعيان حتى الآن. وعليه، فيجب ألا نذهب بعيداً في مدلول لفظ (ملك) في تلك العصور. فملوك (الدول المدينة)، لم يكونوا أكثر من (شيوخ) يعتمدون على نفوذهم الشخصي، وما يملكون من أراضي، ومواشي. والقراءة الخاطئة – كما يرى المؤلف- للمرويات التوراتية، والتفسير المتحيز لهذه الروايات جعل المؤرخين والمؤيدين للخطاب التوراتي، يضعون افتراضات تاريخية زائفة عن المملكة الموحدة، مما ساعد على تكوين فهم خاطئ لهذه المملكة،

وتبدأ التوراة في التمهيد للحديث عن مملكة داوود ؛ في سفر صموئيل الكاهن – حسب رأي التوراة – آخر قضاة بني إسرائيل، والذي عندما شاخ جعل ابنيه قضاة يساعدونه في حكم بني إسرائيل، ولكنهما لم يسلكا طريق الصواب والعدل فما كان من "بني إسرائيل" إلا أن طلبوا من "صموئيل" أن يجعل لهم ملكاً، فاختار لهم شاؤول ملكاً. ولما قتل الفلسطينيون "شاؤول"، اختار "بنو إسرائيل" "داوود" - ؛ - ملكاً عليهم، الذي أصبح له شعبية بعد أن قتل جالوت القائد الفلسطيني في المعركة.

وتناول المؤلف أيضاً ما ذكر في التوراة من أن مساحة مملكة داوود عليه السلام كانت من "دان" ؛إلى "بئر سبع"، وعلى هذا بني عدد كبير من المؤرخين حكمهم في مساحة مملكة داوود ؛ ، وورث سليمان - ؛ - مملكة "داوود"، وقد اختلف المؤرخون في حدود الدولة في عهده.

ويذكر المؤلف أن جميع المؤرخين والكتاب الذين كتبوا عن بني إسرائيل وعن تاريخهم القديم، وعن بدايات تأسيس المملكة (المملكة الإسرائيلية – مملكة داوود) كما يرون، إنما يقررون أن ذلك تم في بداية القرن العاشر قبل الميلاد, فهذا القرن يعتبر مليئاً بالأحداث والمفاجآت، كما يصوره المؤرخون على الورق، ولكنه تاريخ صامت إذا ما حاولنا تطبيق المرويات التوراتية على الواقع الآثاري، حيث أنهما لا ينطبقان، ولا يتفقان في كثير من الأحداث، مما يجعلنا نميل إلى القول أن ما جاء في المرويات التوارتية بخوص المملكة المتحدة ما هو إلا وهم وخيال.

فمحاولة إثبات الوجود الإسرائيلي في فلسطين منذ القدم جعل إسرائيل تخوض الصراعات السياسية التاريخية المعاصرة، بكل ما أوتيت من مال وسلطان وأن هؤلاء الذين اختلقوا التاريخ القديم ، بما فيه مملكة داوود المتحدة أو إمبراطورية داوود كما يحلو لبعض المؤرخين أن يسموها، لم يأخذوا في اعتبارهم الأسس اللازمة لقيام دولة متحدة أو إمبراطورية، فجاءت دراساتهم لا أساس لها، اللهم إلا اعتمادها الكامل على مرويات الخطاب التوراتي.

وفي الفصل السابع يرى المؤلف أنه على الرغم من وجود عدد كبير من المؤرخين الذين أيدوا وجود مملكة متحدة بدأها "شاؤول" وأكملها "داوود" و"سليمان" - إ - وهذا لا يمنع وجود عدد كبير من المؤرخين والكتاب الذين أنكروا وجود مثل هذه المملكة، وأن ذلك مجرد خرافة.

ويرى المؤرخون أن "شاؤول" يعتبر هو المؤسس للملكة المتحدة، وأنه قد حكم بين 1030 – 1009ق.م، أما "سليمان" - ؛ - فكان حكمه من سنة 969 – 931 ق.م.، وما قيل غير ذلك كثير. وإذا كان سفر "صمويل" الأول، يتكلم عن الملك شاؤول وما حصل معه وله فإن سفر "صمويل" الثاني يتحدث عن الملك داوود ؛ – وحروبه الخاصة مع الفلسطينيين.

وقد ذكرت المرويات التوراتية أن "داوود" -؛ - قد خاض عدة حروب مع الممالك الآرامية، وأنه استطاع إخضاع عدد كبير من الممالك، وأنهم (صاروا عبيدا)، وأن داوود ؛ – (جعل في آرام محافظين)، وإذا كان ذلك قد حصل مع الملك "شاؤول"، والملك "داوود" ؛ ، فعلى ذلك يكون قد حصل في أواخر القرن الحادي عشر، وأوائل القرن العاشر قبل الميلاد.

وما يهمنا في الموضوع هي الممالك الآرامية الواقعة على نهر الفرات شمالا، وممالك وسط وجنوبي سورية وأهم ممالك الشمال مملكة بيت لاقي الآرامية، ومملكة "بيت بحياني"، ومملكة "بيت عديني"، ثم تناول المؤلف ممالك وسط سورة المتمثلة في مملكة دمشق الآرامية وأخيراً الممالك الجنوبية ممالك شرق الأردن ومنهم (المؤابيون) وكذلك (الأدوميون)، وكذلك (العمونيون).

ويرى المؤلف أنه من الصعب جداً على الإنسان المحايد أن يقر الخطاب التوراتي، ويقر قيام المملكة الإسرائيلية المتحدة في أوائل العصر الحديدي في فلسطين. فبالإضافة إلى ما جاء سابقاً من دعم تاريخي للرأي المناهض لقيام هذه المملكة، فقيام أي أية مملكة أو إمبراطورية يتطلب توافر عدة عناصر، ومن هذه العناصر،ة الأرض والسكان والثروة. فإذا كانت الأرض موجودة في فلسطين، فهل كان عدد السكان، والثروة كافيين لقيام المملكة المتحدة أو الإمبراطورية؟

فمن المستحيل تاريخياً أن نقدر عدد سكان المنطقة تقديراً صحيحاً، نظراً لبعد المسافة التاريخية بيننا وبين تلك المنطقة في ذلك التاريخ، وكذلك عدم وجود مكتشفات آثارية يمكن أن نستدل عن عدد سكان المنطقة، كذلك لم تسعفنا أية مدونات تاريخية عن هذا الموضوع. ولهذا كان لابد لنا أن نلجأ إلى التقديرات والمقارنات لعلها تفيد في شئ ما.

ولقد أثبتت الحفريات أن القرن العاشر قبل الميلاد (العصر المفترض لقيام المملكة الإسرائيلية المتحدة)، لم يشهد استيطاناً في أغلب مناطق فلسطين، وخاصة في منطقة يهودا، وحيث أن الكثافة السكانية، تعتبر ضرورة لقيام هذه المملكة، فإنه من المستبعد أن تكون المملكة المزعومة قد ظهرت على الوجود في هذا العصر، وإنما كان الاستيطان مكثفا في القرن التاسع قبل الميلاد.

وتناول المؤلف في الفصل العاشر استيطان فلسطين في القرن العشر قبل الميلاد ، وفلسطين في العصور الحديدية الأول والثاني، وورود اسم "داوود" – ؛ - في التاريخ.

ثم تابع المؤلف عرضه لمناطق الاستيطان في المرتفعات الوسطى، والاستيطان في شمالي فلسطين، والاستيطان في جرزيل مرج ابن عامر، والاستيطان في السهل الساحلي الفلسطيني، والاستيطان في منطقة يهودا، والاستيطان في منطقة الغور، والاستيطان في فلسطين، ويرى المؤلف بعد عرض الاستيطان في كل المناطق السابق ذكرها أن الحديث عن وجود (ملكية موحدة) يعتبر من الأمور المشكوك بها جداً، بل وأمر بعيد الاحتمال,

أما الحديث عن (مملكة) إسرائيل في السامرة، فممكن في بداية القرن التاسع قبل الميلاد ومملكة (يهودا) في الجنوب بعد ذلك بما لا يقل عن مائة سنة.

ويأتي الفصل الثاني عشر " النبي داوود ورسالة التوحيد" أنه - ؛ - كان حاكماً ومرشداً وقائداً لمن اتبعه، وآمن بدعوته. ولم يكن على استعداد لإرسال هؤلاء المؤمنين برسالته لمقاتلة الأقوام الأخرى. وفي الفصل الثالث عشر تناول المؤلف وضع مملكة السامرة وعلاقتها بمملكة يهوذا، فمملكة السامرة كانت لها أطماع توسعية في المنطقة مما أوقعها في صراعات متجددة مع فينيقيا وسورية وآشور. وما من شك في أنها استطاعت في فترة ما أن تفرض سيطرتها على " جلعاد "، سياسياً اقتصادياً وتبعة، حيث فرضت على المنطقة ما يسمى بالجزية.

ولكن سلطة السامرة، لم تستطع أن تحقق السطر الكاملة، والدائمة على منطقة سهل يزراعيل، وبعض مناطق شمالي فلسطين.

و يذكر المؤلف أن منطقة "أورشليم" في منتصف القرن السابع قبل الميلاد كانت مركزاً اقتصاديا وسياسيا هاما في المنطقة. ولكن مع نهاية هذا القرن، بدأ النفوذ الآشوري في الانكماش، حتى سيطر (الماديون) على "نينوى" عاصمة الآشوريين.

وقد انتهزت بابل هذه الفرصة، فوجهت جيوشها إلى المنطقة، وعززت سلطتها وسيطرتها عليها. فاستولت على حران، وهزمت المصريين في معركة "كركميش" سنة 605 قبل الميلاد، وبعدها أصبحت كل سورية وفلسطين تحت السيطرة البابلية.

واستسلمت "أورشليم" للجيش البابلي سنة 597 ق.م. ولكنها ما لبثت أن ثارت على البابليين مرة أخرى، فجاء الجيش البابلي بقيادة "نبوخذ مصر" وحاصر "أورشليم" وسقطت سنة 586 قبل الميلاد، وأحرق المدينة، ونهبها، وسبى أهلها. وقضى على هذا الكيان السياسي الصغير الذي كان في فلسطين.

وأخيراً، فإنه من الإنصاف أن نقر ونعترف بأن المكتبة العربية تفتقر إلى الكتابات التاريخية الموثقة عن هذه المنطقة خلال العصور القديمة، خصوصاً (العصر البرونزي والحديدي)، وأن البحث عن تاريخ المنطقة، يعتمد كثيراُ على تلك المؤلفات الأجنبية، التي كتبت عن التاريخ الإسرائيلي القديم المزعوم في المنطقة، ولا شك أنها كتابات منحازة، ينقصها الكثير من المصداقية، وقد جاء هذا الكتاب الخطير ليكشف الادعاء الإسرائيلي من منظور عربي، وعلى هذا فالكتاب يسد ثغرة في المكتبة العربية وبداية لكتابة تاريخية عربية موثقة عن تاريخ المنطقة التي روج لها اليهود بأحقيتهم التاريخية بناءاً على ادعاءات باطلة كشفها العلم الحديث بأدلة مادية ، وأوضح أن ادعاءات إسرائيل لا أساس لها من الصحة.

من أجل صهيون

التراث اليهودي – المسيحي

في الثقافة الأمريكية

يأتي هذا الكتاب الخطير في محاولة أن يلبي حاجة، ويسد ثغرة في الدراسات العربية التي تعالج و جهاً من أوجه الاستشراق الأمريكي، فهذه الدراسة تعالج الخطاب الأمريكي الديني والسياسي، خاصة في نظرته إلى العالم العربي والإسلامي.

والكتاب من القطع المتوسط، ويضم الكتاب خمسة أبواب تشتمل على عشرون فصلاً والباب الخامس يضم ثلاثة ملاحق، والمؤلف هو فؤاد شعبان، وقد صدر هذا الكتاب مؤخراً عن دار الفكر بدمشق للمؤلف فؤاد شعبان.

فمنذ تأسيس المستوطنات الأولى كان المستوطنون الطهوريون يشبهون أنفسهم بالقبائل الإسرائيلية في رحلتها الكتابية من مصر إلى أرض كنعان، ويطلقون على بلداتهم أسماء كتابية من قصص بني إسرائيل وأرض الميعاد، وعندما نالت أمريكا استقلالها صور الأمريكيون دولتهم الفتية على أنها " إسرائيل الله الأمريكية" والنموذج الذي يجب على العالم أن يحتذي به. ومنذ القرن التاسع عشر انتقل هذا التمثيل الرمزي الكتابي إلى تطبيق عملي "لآمال صهيون" على أرض الواقع الجغرافي في الأراضي المقدسة. ومازال هذا الفكر اليهودي المسيحي يعمل بصورة جلية في سلوك الأمريكيين ومواقفهم من العالم العربي والنزاع العربي – الإسرائيلي حتى اليوم.

وكما يهدف هذا الكتاب إلى عرض إشباع الفكر الأمريكي بهذا التراث اليهودي- المسيحي على مختلف مستويات المجتمع بأوساطه الدينية والسياسية الأدبية، والاعتبارات السياسية الداخلية، والاعتبارات الجيوبوليتيكية والعلاقات الخارجية، والعوامل الاقتصادية وغيرها تكتسب بدرجات متفاوتة بتغير الظروف أهمية كبيرة في تأثيرها على مواقف أمريكا وسياساتها.

ويركز هذا الكتاب على ثلاثة عناصر أساسية في الثقافة الأمريكية رفدت الفكر اليهودي المسيحي على مر السنين وهذه العناصر هي:

أولاً: الصورة الذاتية الاصطفائية التي عبر عنها الأمريكيون، خاصة في علاقة أمريكا مع الله والقدر. وسنجد في أعمال رجال الدين والسياسية والأدب ولأمريكا التي خلقها الله لهف أسمى ولتنفيذ مهمة مقدسة من أجل البشرية.

ثانياً: الاعتقاد الجازم بحتمية تاريخية مقرونة بالإيمان اليقيني بخطة شاملة وضعها الله للدهر، لها مراحل مرسومة محددة تبدأ مع بدء الخليقة، وتنتهي بنزول مملكة الله على الأرض.

ثالثاً: هذان العنصران الحتمية التاريخية وخطة الله للدهر مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالجغرافية المقدسة، مما يضع العالم العربي وفلسطين صورة خاصة في بؤرة هذا الفكر الكتابي الأمريكي ودور أمريكا في خطة الله.

وقد كان من نتيجة ارتباط هذه العناصر الثلاثة بعضها ببعض أن أصبح العناء تجاه الإسلام والمسلمين صفة ملازمة للفكر اليهودي - المسيحي ذلك أن الإسلام والمسلمين يختلون هذه الأراضي المقدسة وهم بذلك يشكلون عقبة في طريق تحقيق النبوءات الكتابية ولاسيما أن تحقيق هذه النبوءات لا يعتمد فقط على استعادة هذه الأراضي بل أيضاً على نهاية الإسلام وهداية المسلمين.

وتحليل هذه العناصر المكونة للثقافة الأمريكية يشمل عملية استقراء منطقي تحليلي للتاريخ، بهدف الأمريكي الزنجي "جيمس بولدين": " ليس مجرد نص نقرؤه، وهو لا يحكي قصة الماضي فقط. بل على العكس من ذلك، إن قوة التاريخ تنجم عن أننا نحمله في تكوين شخصيتنا وفي هويتنا، ونخضع لتأثيره ولو بشكل لاشعوري في كثير من أفعالنا وأقوالنا، والتاريخ حاضر أبداً في كل ما نفعله، ذلك أننا نأخذ من التاريخ أطر تفكيرنا وميولنا وتطلعاتنا".

ويتضح من دراسة التاريخ اليهودي المسيحي يشكل جزءاً حيوياً من الثقافة الأمريكية. بل إن هذا التراث يدخل في تركيب نسيج هذه الثقافة على شكل خيوط وألوان ورسوم تتكرر مع بعض التنوع من حين لآخر.

وقد اكتسبت عناصر التراث اليهودي المسيحي في العقود القليلة المنصرمة قوةً وتأثراً كبيرين في أوساط اليمين المسيحي المتطرف واليمين السياسي، مما كان له أكبر الأثر في سياسية أمريكا الخارجية فيما يتعلق بصورة خاصة، ويحتم هذا الأمر على العرب أن يدرسوا هذا التيار الفكري السياسي في أمريكا وعوا تداعياته وخطره على الشعوب العربية كلها.

ولابد من الإشارة هنا إلى أننا حين نتحدث عن هذا العامل الثقافي – الديني في أمريكا فنحن نقصد المسيحية الغربية ذات المنشأ والتطور الغربيين، وهي تشويه وتحريف للمعتقدات المسيحية الحقة التي تؤمن بها في الشرق العربي، فقد اختطف الغرب الدين المسيحي وعمل فيه تشويهاً وتعديلاً وتحريفاً لكي يستجيب لظروفه وأهدافه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أمرين على غاية من الأهمية:

أولاً: هنالك أعداد كبيرة من المسيحيين الأمريكيين الذين ينتمون إلى كثير من الكنائس والمذاهب المعتدلة التي لا تشاطر اليمين المسيحي معتقداته المتطرفة، بل هي تعلن اعتراضها على هذه المعتقدات وعلى السلوك الذي يصدر عنها.

ثانياً:في علاجنا لليمين المسيحي في أمريكا وعقائده ومبادئه، ندرك تمام الإدراك أن التطرف موجود في معظم الأديان والمذاهب.

وينقسم الباب الأول إلى ثلاثة فصول، ففي الفصل الأول "كريستوف كولومبس والأراضي المقدسة" يرى المؤلف أن حياة "كولومبس" وجهوده وكتاباته أنها تمثل فكراً متماثلاً يحمل إيمانه القوي بتمثيل حرفي لبعض نصوص الكتاب المقدس ونظرته للكون والتاريخ على أنهما يخضعان إلى خطة حتمية والإيمان بيد العناية الإلهية في وضع هذه الخطة وتنفيذها.

وقد أوضح "كولومبس" في غير موضع إيمانه المطلق بأن العناية الإلهية قد اختارته ليلعب دوراً مركزياً في خطة الله للكون والتاريخ.

ولعله من الغريب أن الباحثين والمؤرخين لم يتطرقوا بتعمق إلى هذه الحوافز والأهداف الدينية في نشاطات "كولومبس" إلا في العقود القليلة الأخيرة. كما أن كتابه الوحيد "كتاب الرؤيا" لم يترجم إلى اللغة الإنجليزية بكامله إلا منذ سنوات معدودة. وهو الذي بين فيه "كولومبس" دوافعه الدينية وأثرها في حياته.

ومع نجاح ترجمات الكتاب المقدس، خاصة العهد القديم (بعد نجاح الثورة البروتستانتية) في أنحاء كبيرة من أوروبا ازداد اهتمام العالم البروتستانتي باليهود وبإعادة نسيج التاريخ بحيث ترتبط اليهودية والمسيحية بخط مستمر. فانكب رجال الدين - خاصة علماء العبرية المسيحيون - على دراسة النصوص المقدسة والتاريخية اليهودية، كما استعانوا بالعلماء اليهود لفك رموز التلمود وغيره من النصوص اليهودية.

وقد أدت كل هذه التطورات إلى تغيير جذري في التصور المسيحي الأوروبي لليهود واليهودية، ورأى مسيحيو أوروبا في هذه النصوص أدلة على رسالة المسيح وعودة المنتظر. كما قرر بعض علماء الدين المسيحيين في أوروبا بأن بقاء اليهود رغم شقائهم وعذابهم هو الدليل على عقوبتهم والدور الرئيسي الذي سيلعبونه في خطة الله للبشرية والكون.

وقد أدى استخدام المسيحيين الغربيين المتطرفين للنصوص المقدسة على أنها نبوءات ستحقق حرفياً – تاريخياً وجغرافياً- إلى الكثير من المآسي والآلام خاصة في العالم العربي. ومازال الداعون إلى تحقيق هذه الأرض.

هذا التركيز المتطرف على تحقيق النبوءات الألفية على أرض الواقع التاريخي والجغرافي جعل الدكتورة كاثرين ويسنغر" تحذر من أن التركيز على القدس نقطة رئيسية في التوقعات الألفية، ورغبة اليهود بهدم قبة الصخرة المقدسة لدى المسلمين وإعادة بناء الهيكل مكانها كل هذا يلقي دعماً كاملاً من اليمين المسيحي المتطرف في الغرب لأن ذلك يؤكد توقعاته لمعركة "هرمجدون" ونزول ملائكة الألفية. لكن النتائج السياسية، كما تقول ويسنغر لهدم قبة الصخرة ستكون أكثر خطورة أكثر مما يعتقد معظم الناس. وهذا الاتجاه اليميني في الغرب الذي يلح على رؤية تحقيق النبوءات في الأراضي المقدسة سوف يقود إلى كوارث كبرى لأن هذا الاتجاه يقود الغرب إلى رغبة أكيدة، ولو كانت خفية، لتحقيق هذه النبوءات

ولو بشكل أو بآخر. فالخطر الكبير الذي تحمل الأيديولوجية الألفية هو التركيز المتطرف على تأسيس دولة إسرائيل وكأنه تحقيق لخطة الله وهذا يؤدي إلى خطر أكبر وهو محاولة إثبات صحة هذه الخطة باستعمال القوة.

وتزداد خطورة هذا الاتجاه الفكري الديني حين تصبح نسبة كبيرة من الأمة تؤمن به وحين ترقى إلى السلطة فيها مجموعة من المتطرفين المؤمنين بهذا الفكر، وخاصة قد أصبحت هذه الأمة القوة العظمى الوحيدة في العالم.

إن إقامة قداس واحتفال صلاة في الكاتدرائية الوطنية بمناسبة مثل مناسبة تنصيب رئيس الجمهورية هي أمر ذو دلالة واضحة على دور الدين في الحياة الأمريكية، لكن هذا الحفل لأنه حدث بمناسبة استلام إدارة يمينية سياسياً ودينياً زمام الأمور وبسبب تولي "فرانكلين غراهام" بالذات إلقاء الموعظة في هذه المناسبة. لكن الأمر الأكثر أهمية هو الموعظة التي ألقاها وما تمثله من رموز التراث اليهودي المسيحي في الحياة العامة الأمريكية.

وهناك حادثتين الحادثة الأولى حين ظهر تأثير الثقافة اليهودية المسيحية في العديد من الأنشطة العامة التي شاركت بها قطاعات كثيرة من الأمة الأمريكية.

ولا شك أن من يدرس تصرفات رجال السياسة الأمريكية وخاصة في أثناء حملاتهم الانتخابية وفي أثناء ولا يتهم يلاحظ دور الدين في حياتهم العامة اليومية فمعظم الساعين للترشيح للمناصب رئاسة الجمهورية يحرصون على أن تسجل آلات التصوير الخاصة بمحطات التلفاز ووسائل الإعلام دخولهم إلى الكنيسة أو خروجهم منها أيام الأحد ممسكين بالكتاب المقدس بيدهم ومحاطين بأفراد أسرتهم رمزاً للإيمان الديني وقيم الأسرة في حياة الأمريكيين .

وأفضل مثال على ذلك تصرفات الرئيس أثناء أزمة لوينيسكي الشهيرة. فقد حرص "كلينتون" على حضور الصلاة يوم الحد ممسكاً بالكتاب المقدس بيد زوجته.ومنذ القرن التاسع عشر قرر عضو الكونجرس الأمريكي "ألبرت كوفريدج" وغيره من المؤمنين بالعقيدة الاصطفائية الاستعمارية أن الله خلق الشعب الأمريكي للمباشرة في عملية خلاص العالم، وهكذا درج السياسيون من قادة اليمين المسيحي ممن يعتبرون أنفسهم مكلفون بحماية الأخلاق والحرية والديمقراطية على جعل الإيمان بالقدرية ومعرفة مقاصد الله ذريعة وتكليفاً بالاستيلاء على السلطة المطلقة ينطلق الفكر النبوئي الذي يؤمن به اليمين المسيحي – وخاصة في أمريكا من أن الكتاب المقدس بجميع أسفاره وكتبه هو كلام الله المنزل وأن كل ما جاء فيه معصوم عن الخطأ.

ويمضي النبوئيون في هذا الفكر إلى القول أيضاً بأن تفسير هذا الكتاب الذي يختارونه هو أيضاً يقيني معصوم عن الخطأ.هناك عدد ممن الزعماء الأمريكيين الذين يتمتعون بشعبية والذين أمضوا عقوداً كبيرة وهم يروجون للنبوءات المقدسة ضمن التراث اليهودي المسيحي ،لجأ هؤلاء الأشخاص إلى وسائل متنوعة للتأثير في الرأي العام وفي السياسة الأمريكية الداخلية والخارجية بهدف رئيسي واحد هو ضمان الدعم التام لإسرائيل وخططها المستقبلية في المنطقة العربية الأكثرية ويعملون على تحقيقها ويحثون أتباعهم على المشاركة الفعلية بصورة أو بأخرى.

ومع اقتراب نهاية الألفية الثانية اجتاحت أمريكا موجة من التوقعات والتنبوءات التي تشير إلى اقتراب نهاية العالم ونزول مملكة الله وقد علق على ذلك المؤرخ "ويليام مارتن" بذلك قائلاً :"بأنه لم يسبق أن ازدهرت حركات نبوءات آخر الزمان مثلما حدث في أمريكا مثلما تشهده صفوف المحافظين من البروتستانت".

وقد دعمت الأصولية المسيحية المتطرفين اليهود في كل ما قاموا به من أعمال وحشية للاستيلاء على فلسطين مما أثار قلق بعض اليهود الذين رأوا في هذه الأعمال أموراً منافية للشراع والحقوق الإنسانية إلى سبعة عصور لكل منها

تطلع دور النشر والشبكة العالمية على جمهور القراء كل يوم بعشرات العناوين لكتب ومقالات وأفلام وتسجيلات تعالج موضوع نهاية الزمان والنبوءات، ومعظم هذه الأعمال تحلل الأحداث المعاصرة في إطار القراءات الحرفية لنبوءات النصوص المقدسة، خاصة مع نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة.

ومن هذه الكتب والأفلام على سبيل المثال: " المعركة من أجل القدس" بقلم "،2001م بقلم "جون هاجي".، وكتاب "هيكل الأيام الأخيرة القادمة"، 1991م بقلم "راندل برايس"، وكتاب إسرائيل والإسلام ومعركة مجيدو" 2002م بقلم "دايفيد هنت"، وكتاب " العد التنازلي لمعركة مجيدو" 1999م، بقلم "بول ماغواير" ، " نبوءات الزمان القادم: فيلم وثائقي" 2001م بقلم دانيال بوهلر، "نوسترواداموس: الهجوم على نيويورك ونبوءات مدهشة أخرى بقلم "راي كومبرت (فيلم فيديو).

أما كتاب "هيكل الأيام الأخيرة القادم"

(The Coming Last Days Temple, Randall Price) 1999م بقلم "راندل برايس"، فقد وصف فيه المؤلف بتفاصيل مغرقة التطورات الأخيرة في عالم السياسة والأحداث في المنطقة وكيف تتفق هذه الأحداث مع نبوءات الكتاب المقدس المتعلقة بالهيكل. كما يزين صفحات الكتاب التي تبلغ 732 صفحة بالنصوص المقدسة وفهارس للموضوعات.

ويخلص القارئ من هذه الكتب والأفلام والكثير غيرها إلى القناعة بالعلاقة الأكيدة بين أمريكا ومقاصد الله، وبدور أمريكيا في تحقيق النبوءات وفي المساعدة على عادة بناء الهيكل في القدس بأية طريقة لأن ذلك شرط لمجئ المسيح والمملكة الألفية. وتؤكد هذه الأعمال اليقين لدى المسيحيين المتطرفين في أمريكيا بأهمية دورهم في الحرب بين الخير والشر. وبالطبع يؤكد المؤلفون أن الإسلام هو جيش الشر وأن القضاء عليه هو مهمة مقدسة وشرط لدخول مملكة الله. وبهذا تساهم هذه المطبوعات في الحملة التي يشترك فيها الدعاة من الصهاينة المسيحيين والمبشرين وبعض السياسيين اليمنيين لدعم إسرائيل بأي ثمن.

وقد أصبح لوسائل الإعلام على مختلف أنواعها من محطات إذاعية وتلفزيونية ومن مواد مطبوعة منذ عدة عقود أثر كبير في دعم نشاطات اليمين المسيحي ودعاته وقاداته الدينيين وقد أفاد من هذه الوسائل جماعات الساعة الأخيرة والنبوئيون وتجار المملكة الأرضية. وجاءت الشبكة العالمية (الإنترنت) فوفرت لهذه الفئات وسيلة ساعدت عل نشر أفكارهم على مستوى عالمي وبسرعة مذهلة كما عملت على بعض التوحيد في مواقعهم وآرائهم النبوئية قد بدا أساتذة الفكر الديني والمؤرخون له في أمريكا بإدراك قوة هذه الثقافة الجديدة وأثرها في الثقافة الجماهيرية فمثلاً قال أستاذ الإعلام ووسائل الاتصالات في جامعة جنوب كاليفورنيا الدكتور "ستيفن أوليري".

أما الباب الخامس والأخير فقد اشتمل على ثلاثة ملاحق وأولى هذه الملاحق هو "شرح لبعض التعابير المستعملة في هذا البحث، وهذه الشروح تأخذ بعين الاعتبار بصورة خاصة السياق الذي تستعمل فيه وليس بالضرورة المعنى القاموس المجرد. وهذه التعابير مثل اليمين المسيحي، المعمدانيون، الأصوليون، المحنة الكبرى، معركة مجيدو.... والملحق الثاني تناول فيه المؤلف تعريفاً مختصراً لبعض أسفار الكتاب المقدس، خاصة ما كان منها متصلاً بموضوع هذا البحث من حيث الموارد والمعلومات الواردة فيها أو النبوءات التي ترفد التراث اليهودي - المسيحي في الغرب وتدعمه.

والملحق الثالث أورد فيه المؤلف قائمة ببعض الأمثلة على النبوءات بنهاية الزمان ومجئ المسيح مرتبة بالتسلسل التاريخي، مع العلم بأن هذه النبوءات لا تضم سوى جزء يسير من العدد الإجمالي للنبوءات التي أطلقها بعض الأشخاص أو الفئات في الغرب عبر القرون.

وقد قدم المؤلف حصيلة جهده العلمي المكثف والمضني، بمنهجية علمية فائقة، وتصنيف دقيق للمعلومات، ولم يشأ أن يدخل في متاهة نقضها أو إبداء الرأي فيها أو مناقشتها، متجنباً تحميلها بأي رأي شخصي، تاركاً ذلك للقارئ وفطنته وحصافته.

دراسات نقدية

في نقد الدين اليهودي

الكتاب نقد الدين اليهودي ، المؤلف جميل خرطبيل ، التدقيق العام إسماعيل الكردي ، الإشراف الفني بزن يعقوب . وقد جاء الكتاب في 164 صفحة غير المصادر والمراجع مشتملاً على أريع فصول تشمل مقدمه.

في البدء لابد من القول أن الإيديولوجية الدينية اليهودية قامت على فكر الإله الملتزم بالشعب المميز والأرض الموعودة ارض كنعان كما في نصوص العهد القديم، واليهود بحسب النص الديني مدعوون لاحتلال/لاستعمار أرض الغير أرض كنعان بالقوة بعد إفناء أصحابها وأهلها الشرعيين وذلك لإقامة وطن لهم تحقيقاً لإرادة يهود ولتبرير هذا الأمر طرح الدين الوعد الإلهي وقضية الإيمان والوثنية ، فالعهد القديم ساقط تاريخياً وجغرافياً ولا قيمة علمية له مطلقاً وعلى الرغم من ذلك تراكمت الأخطاء فجاء الزيف الثالث وهو أن كل يهودي في العالم إنما أصله من فلسطين أو ارتباطه بوعد يهود المفتوح فهل كل مسيحي في العالم نسبته العرقية الجنسية القومية إلى بيت لحم أو الناصرة وهل كل مسلم نسبته العرقية الحنسية القومية إلى مكة.

هكذا فعل يشوع في أريحا إلا انه لم ترد أية إشارة في العهد القديم إلى محاولة هداية شعب أريحا الوثني بزعمه إلى الدين اليهودي ، وكذلك هو الحال بالنسبة للاستعمار الأوربي عندما غزا القارة الأمريكية ، أن الإيديولوجية الصهيونية في مسيرتها لن تسهم في الظروف الموضوعية في حركات التقدم الإنساني .

إن التسميات " اليهودي، الإسرائيلي، العبري، السامي، الصهيوني " كل واحد منها له مدلوله التاريخي ، فاليهودي هو المنتمي إلى الديانة اليهودية، والإسرائيلي نسبة إلى إسرائيل وهو يعقوب والعبري يختص فقط بإبراهيم والسامي نسبة إلى سام بن نوح ، أما الصهيوني فهو المؤمن باستعمار فلسطين.

في نقد للدين اليهودي ننطلق من النص نفسه دون النظر إلى كونه مزورا عند الآخرين ، أم غير مزور فذاك النص يؤمن به اليهود كنص ديني مقدس موحى به. هناك ثلاث تيارات الأول يرفض أحداث العهد القديم وشخصياته جملة وتفصيلاً والتيار الثاني يؤمن بكثير من الأحداث والشخصيات لكنها بسبب انتقاده مشوهة ومحرفة من أصل صحيح، والتيار الثالث يؤمن بإحداث العهد القديم وشخصياته لابد للمنهج أن يتفرع إلى فرعين الأول يتعلق بالنص من الداخل والثاني يتعلق بالنص من الخارج .

الفصل الأول: أسطورة العهد القديم :

إن الدين اليهودي ولد في رحم الأسطورة بعد أن أخذت بعدها المتطور واعطت خلاصة تفكير الإنسان عبر مئات السنين من جدله مع الوجود ، ولسنا هنا بصدد دراسة الأسطورة وارتباطها بالدين لان دراسات كثيرة فعلت ذلك ولكن سيكون بحثنا هنا استخلاصات قدمتها الدراسات حول ذلك.

اليهود قبائل بدوية كانت تعتمد الرعي والتنقل في حياتها وعقلها يمثل البدائية المتخلفة التي يسيطر عليها الجهل والهمجية، وفجأة تجد نفسها بين أهل الحضارة بين شعوب لديهم خلاصة خبرة العقل البشري، فما كان منهم إلا أن نقلوا هذه الثمرة الناضجة التي أنتجها فكر الإنسان إلى فكرهم وحورها بما يناسبهم ومنحوها درجة التقديس فصارت الأساطير الجميلة التي أنتجها الإنسان مشوهة، وصارت نصا دينياً سماوياً من إنتاج الإله نفسه، وسنستعرض هنا بعض تلك السرقات:

الدين: كان أسبق الشعوب إلى الحضارة اسبقها في الاهتداء إلى الخالق أو اسبقها إلى الحلم بهذه الأساطير التي كانت محاولات ساذجة في سبيل تفسير هذا الكون وما توفر به من ظواهر النور والظلمة والليل والنهار والحياة والموت، رغم الفجوة الحاصلة في التوراة بين يوسف وموسى فإننا نستنتج العبرانيين في مصر قد حافظوا على ديانتهم الكنعانية باتجاهاتها القديمة ، فالدين اليهودي مسروق أما من الديانة المصرية أو من الديانة الكنعانية وهذا يعني ليس من اليهود.

يهوه: مادة أيل الله الرب من أقدم أسماء الله المعروفة " أيل " مع مشتقاته: ايليم والوهيم إلوى والوهيم هي صيغة جمع وقد تدل كلمة أيل على المكانة التي تتمتع بالهيمنة أو السلطة أو النفوذ ثم استخدام كاسم علم لإله إسرائيل وجاء أيضا (أيل . الله).

الخروج: إذا نحن تجاوزنا صحة قصة موسى مع اخناتون أو عدم صحتها ، نتسأل عن حقيقة وجود اليهود في مصر وقصة ذلك الخروج الذي ترويه التوراة فلا توجد وثائق علمية تخبرنا بذلك، والتوراة ليست موضع ثقة لتكون مصدراً علمياً فالعهد القديم شيء والعلم شيء آخر ولن يلتقيا.

الأساطير: لم يكتف اليهود بالسرقات السابقة بل سرقوا من الأساطير أيضاً ولاسيما أساطير ما بين النهرين خلال وجودهم في بابل أثناء فترة سبيهم في القرن السادس قبل الميلاد وأضافوا إلى تاريخ زعماء قبائلهم وجعلوها تراثاً دينياً.

الأعلام: نلاحظ أن الأسماء في التوراة هي كنعانية أو غاريتية فينيقية فآدم ويعني الإنسان . إن الشخصيات في التوراة اما ان تكون خيالية لا وجود لها مطلقاً وإما أن يكون لبعضها وجود ولكن أسقطت عليها الخرافة، فغدت شخصيات غير واقعية، وفي الحالتين كلتيهما نجد أن الشخصية مركبة.

شريعة موسى: وشريعة موسى مقتبسة من شريعة حمورابي، بل هناك تطابق كبير بين الشريعتين.

ا لفصل الثاني : وتحدث عن منهج اليهود فلسطين أرضاَ أبدية لهم : جاء في سفر التكوين الاصحاح لكم الله إبراهيم وأقيم عهدي بيني وبينك نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك ، جاء في وعد بلفور 1917 ما يلي : أن حكومة جلالته تنظر بعين الارتياح إلى إنشاء وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي وستبذل أطيب مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية ، لقد اختلف اليهود في عهدهم القديم ، قضية أرض الميعاد وهو في الأسر البابلي فيهوه وعدهم بأرض فلسطين لتكون لهم وطناً في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات.

هذه وعود الرب إبراهيم ، فالرب يخاطب اسحق ، تضرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد أوفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطي نسلك جميع هذه البلاد وتبارك في نسلك جميع أمم الأرض.

المرحلة الأولى وتمثلها التوراة إبراهيم ثم موسى فيما بعد، المرحلة الثانية كانت على يد فورش إلى فكر بإنشاء مملكة لليهود في فلسطين ، المرحلة الثالثة ظهرت في إمبراطورية الخزر، المرحلة الرابعة فكر نابليون بونابرت ، المرحلة الخامسة تجلت في الحركة الصهيونية.

الفصل الثالث: اصطفاء اليهود على البشرية: لقد أكدت أسفار العهد القديم في أماكن متعددة أن اليهود هم أفضل البشر يخاطب الرب ينبه إبراهيم بأنه سيجعله امة عظيمة تتبارك بها الأمم جميعها ، قال الرب لإبراهيم إذا حب من أرضك من عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أربك فأجعلك أمة عظيمة وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض فيخاطب اسحق ابنه يعقوب ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل.

ويطلب الرب من موسى أن يقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل ابنى البكر فقلت لك اخلف ابني ليعبدني ، يخاطب بني إسرائيل " واتخذ لكم شعباً وأكون لكم إلها" ويطلب الرب من موسى أن يخبر بني إسرائيل ، يقول الرب لشعبه المصطفى لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك أباك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص الشعوب ، مباركاً تكون فوق الشعوب ، انتم فوق جميع الشعوب.

يخاطب الرب سليمان " اسكن في وسط بني إسرائيل ولا تترك شعب إسرائيل" ، يخاطب أشعيا على لسان الرب صهيون.

الفصل الرابع: ويتناول الأخلاقية شخصيات العهد القديم: أن العقول السابقة تستطيع أن تدخلها ضمن هذا الفصل فسرقة تراث الآخرين عمل لا أخلاقي وكذلك عنصرية شعب يهوه المختار عمل لا أخلاقي : أن يهوه ميتجاوزمارس إله الحرب عند اليونان

فهو شرس متعطش للدماء والقتل ويقود عصابة من المجرمين والقتلة يرى حام عودة أبيه فيخبر أخويه ويثنيه نوح لنفسه ويغضب فيخبراه بالحقيقة فيصبح كنعان ونسله ملعونين فقال: ملعون كنعان عبد العبيد يكون بها قوته وقال مبارك الرب اله سام وليكن كنعان عبداً لهم نزح إبراهيم إلى مصر وادعى أن امرأته هي أمته ليكون لي خير سبيل وتحيا نفسي من أجلك.

يطرد إبراهيم الأب امرأته هاجر وهي جارية مصرية وثنية أعطاها فرعون لزوجة إبراهيم سارة وابنها إسماعيل ويرميهما في البرية ، اتيا لوط فسكرتنه وضاجعانه وتحملان منه وتلدان من أبيهما فالبكر تسمي ولدها مؤاب أبو الموابيين والصغيرة تسمي ابنها بن عمى أبو بنى عمون، يشتري يعقوب البكورية من عيسوافيه مقابل خبز وصحن من العدس المطبوخ، إسحاق يرى أن امرأته هي أخت اسام ملك الفلسطينيين ابيمالك كما فعل إبراهيم قبله، راعيل زوجة يعقوب تسرق أصنام أبيها لايان ، لأنها وثنية ولأنها تؤمن بتلك الأصنام ويحب شكيم بن حمور بنت يعقوب ويضاجعها ثم يخطبها ، يشمل الهوامش ، يشمل أيضا الخاتمة.

الملحق الأول: ارض كنعان وعسير ، كتاب التوراة جاءت من جزيرة العرب، فاليهودية لم تولد في فلسطين بل في غرب شبه الجزيرة الهربية ومسار تاريخ بني إسرائيل كما ورد في التوراة العبرية كان هناك في غرب الجزيرة العربية وليس في مكان آخر.

الملحق الثاني: اليهودية المسيحية ، هناك اتجاه يعد المسيحية الحقة ألغت العهد القديم كله ولا علاقة لها مطلقاً بالدين اليهودي هو أبو المسيحية الصحيحة عصر الإيمان، أن بولس فصل المسيحية عن اليهودية.

تشمل المصادر والمراجع:

الكتاب المقدس، كتاب العهد القديم والعهد الجديد ، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، لبنان.

الكتاب المقدس العهد العتيق – العهد الجديد.

الكتاب المقدس مع ترجمة ، الإيديولوجية ، د/ عبد الوهاب محمد المسيري ، عالم المعرفة ، البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي.

نقد المنظور اليهودي لتطور الشعر العربي الحديث

تأليف: د. محمد نجيب التلاوي

صدر مؤخرا عن سلسلة كتابات نقدية التي تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة كتاب بعنوان "نقد المنظور اليهودي لتطور الشعر العربي الحديث" للدكتور محمد نجيب التلاوي وهى دراسة موسعة اعتنت بالدرجة الأولى بالرد على س. موريه **s.mareh** الذي ألف كتاباً باللغة الإنجليزية سنة 1990 يحمل عنوان"الشعر العربي الحديث 1800-1970"

MODERN ARABIC POETRY 1800-1970" تجاوز فيه حدود المنهجية العلمية والحيدة البحثية واستعرض تطور شعرنا العربي الحديث من خلال رؤية عنصرية يهودية موجهة فتعرض لقضايا أدبية ودينية على حد سواء و افترض أن للمسيحية دورها الرئيسي في تطوير الشعر العربي المعاصر ورأى موريه أن ثورة الشعر العربي الحديث مبتورة الجذور و تجاهل رصيد الشعر العربي في صدر الإسلام وأيام الدولة العباسية. وبدأ من منطقة ضعف شعري وكأن الفضل للمسيحيين وتجاهل المسلمين حتى انه أشار إلى أن فرانسيس مراقس هو الذي بدأ حركة التطوير و تجاهل البارودي تماما وتعرض لأشياء كثيرة أخرى لا ينبغي السكوت عليها. كقضية قداسة اللغة العربية.

وقد ترجم الكتاب إلى اللغة العربية سنة 1991 علي يد الدكتور سعد مصلوح والدكتور شفيع السيد ولكنها ترجمة حرفية أمينة لا يوجد بها أي رد علي ذلك المؤلف لذلك كان اعتناء الكتاب الذي بين أيدينا من الدرجة الأولى بالرد على موريه وافتراءاته.

ولقد انتبه الإسرائيليون منذ فترة إلى أهمية دراسة و ترجمة الأدب العربي المعاصر في وقت مبكر للتعرف بطريقة تفصيلية علي المجتمع العربي و هناك الكثير من الترجمات المبكرة مثل "يوميات نائب في الأرياف" لأديبنا توفيق الحكيم الأمر الذي يعكس مدي اهتمامهم بالتعرف علي أعماق المجتمع المصري حتى في بعده الريفي

وهذا الاهتمام اهتمام رسمي بالدرجة الأولى ويكفى أن مترجم رواية الأديب توفيق الحكيم هو أبا أيبان وزير خارجية إسرائيل الأسبق . ولم يقتصر الأمر علي ترجمة الروايات بل هناك ترجمات و نقل لبعض أشعار العرب ومنهم أحمد شوقي ونزار قباني وأدونيس.

ووصل الأمر إلى حد إعداد دراسات نقدية عن الأدب العربي لاستثمارها إعلاميا خصوصا بعد نكسة 1967 وقد انتشرت في تلك الفترة هذه الدراسات التي تصف الأدب العربي من منظور يهودي مشبع بالعنصرية والعصبية الممقوتة

و دراسة س.موريه "الشعر العربي الحديث . تطور أشكاله و موضوعاته بتأثير الأدب العربي 1800_1970" واحدة من أهم الدراسات التي تثير العديد من القضايا التي تحتاج إلى وقفات لتقييمها و تقويمها.

ويقع هذا الكتاب الذي نحن بصدده في مائه و خمس و خمسين صفحة من القطع المتوسط ومقسم إلى ثلاثة فصول مسبوقة بمقدمة و مدخل و متبوعة بخاتمة.

تعرض الفصل الأول وعنوانه "منهجية المسلك البحثي" لمنهجية المسلك البحث حيث استعرض فيه المؤلف السقطات المنهجية في الدراسة مع تصويب لبعض الحقائق التاريخية ومناقشة التقسيمات الأيديولوجية التي افترض المؤلف وجودها بين الشعراء العرب

وقد استعرض المؤلف كتاب "الشعر العربي الحديث 1800-1970 تطور مشاكله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربي"، لمؤلفه صمويل مورييه الذي يصف كتابه بأنه مجموعة من البحوث المتفرقة تعالج الأشكال الشعرية الأساسية التي عاش الشعراء العرب المحدثون تجاربها، وتبنوها منذ بداية القرن التاسع عشر حتى بداية السبعينيات وذلك من خلال اتصالهم وتأثرهم بالحضارة الأوربية التي أفادوا منها، ونقلوا عنها وتأثروا بصورة واضحة حلية على أن "مورييه" في تحليله لأسباب التطور ومظاهره تجاوز البيئة العربية بثقافتها ومكوناتها إلى البيئة الغربية ومن ناحية أخرى فإن "موريبه" تتمدد في داخله الثوالث الصهيونية [القناعة بمعاداة العالم للسامية / الشعب اليهودي الواحد/ الأرض التاريخية] وقد وجد قبل وجود إسرائيل الأمر الذي يعنى أن المجتمع الإسرائيلي قد تكون تحت مظلة إيديولوجية مسبقة - بناء تنظيري سبق الوجود الاجتماعي - ولما ربطت الصهيونية هذه الأطر بالعقيدة اليهودية لتكسبها قوة روحية لليهود، فقد تعاطف اليهود مع الإيديولوجية الصهيونية على الرغم من اعتمادها على مفاهيم غيبية.

وفى دراسة "مورييه" يتضح صدى هذه الإيديولوجية متمثلاً في التخطيط المسبق والنتائج المسبقة للدراسة ، فكان بحثه تبريراً لنتائج معدة سلفاً ، فضلاً عن عزمه المستمر على تصور الفارق الإبداعي بين المسيحيين والمسلمين في أدبنا العربي المعاصر.

وفي الفصل الثاني وعنوانه " الشعر العربي بين الجمود والتجديد " حرص المؤلف على التمثيل بالمحاولات العديدة للتجديد الشعري العربي بدءاً من العصر الجاهلي وحتى عصرنا الحديث وقد حاول المؤلف من خلال ذلك الرد على نقطتين هما : أن شعرنا العربي الحديث ثورة ممتدة الجذور وليست مبتورة الجذور وأن الشعر العربي لم يعرف الجمود أو الثبات عند نقطة بعينها كما ادعى " مورييه " . أما النقطة الأخيرة فهي محاولة تأصيل لمظاهر التجديد والتطوير لشعرنا العربي . وأن المحاولات برمتها ليست مستقاة من الأوربيين وأن قصيدة الشعر الحر جاءت من داخل عروض الخليل واستجابة للمزاج العربي المحمل بتراث المنطقة وعبقها .

إن ما حدث للشعر العربي في عصر الدويلات لا يعد جموداً لأنه عبر عن عصره بكل عطاءاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. نحن نصفه بالانحطاط قياساً بمستوى الشعر قبله وبعده .. وإذا ما حكمنا ذوقنا المعاصر وتجاهلنا إمكانيات عصر الدويلات ، فإن الحكم سيكون مبتسراً ، لأننا لا نقدر ذوق العصر المقرر لهذا الإبداع .

يقول المؤلف: "ولو أننا افترضنا توافر نصوص فنية مختلفة (الشعر + المقامة + الخط العربي) وألقينا عليها نظرة أفقية تخترق الفنون الثوالث، لاكتشفنا أن هذه الفنون تتشابه، وتتقارب ، لأنها عبرت عن ذوقيات عصرها تعبيراً مباشراً غير مفتعل . فشعر تلك الفترة امتلأ صنعة وتكلفاً وتكراراً أو ألفاظاً صعبة كانت دليل تميز الشاعر آنذاك .

والمقامة امتلأت صنعة فكرية وتكلفاً وصنعة بديعية أسلوبية بالغوا فيها لا سيما في السجع والجناس والتورية . والخط العربي تولد وكثر في هذه الفترة بالتحديد ، لا سيما في الخط الكوفي المملوكي الذي اعتمد على تكرار لزمات زخرفية موحدة على مسافات معلومة منسقة وكأننا أمام سجع المقامة أو توحد القافية ، وهي السمة نفسها التي نجدها في الخط الديواني " الغزلاني " بخطوطه الانسيابية ذات الدوائر المتداخلة ، والتي قد تبلغ زخارفها حد صعوبة قراءتها ، وكأننا أمام ألفاظهم الشعرية الصعبة آنذاك .

لقد كانت كثرة الزخارف سمة تميز المبدع في خطي الكوفي المملوكي والديواني ، وهي السمة نفسها التي امتدحها ذوق العصر بالنسبة للإبداع الأدبي " شعر / مقامة " فكان الأديب أديباً يقدر صنعته وإعجامه وإحصائه لأكر عدد من الصور البيانية والمحسنات البديعية ، لقد تحول الإبداع لغاية زخرفية اعتنت بالخطوط المتداخلة الوحدات المتكررة ، وأصبحت مشاركتنا لهذه الإبداعات الفنية المصنوعة (شعر / خط / مقامة) بالنظر والسمع معاً وهي مشاركة خارجية بسبب ارتفاع قدر الصناعة والتكلف .

أما في الفصل الثالث والأخير وعنوانه " الرؤية العنصرية لتطور الشعر العربي الحديث " فقد تتبع المؤلف الرؤية العنصرية لتطور الشعر العربي حيث توقف مع ثلاث مراحل لتطور الشعر العربي الحديث " الشعر المقطعي / الشعر المرسل / الشعر الحر " وقد حرص المؤلف على تقديم صورة مركزة لمراحل التطور والانتقال

وعلى كشف المنظور العنصري اليهودي لمسيرة الشعر العربي الحديث وحرص كذلك على التوجهات العنصرية المقصودة والتي تسيء لعقيدتنا ولشعرنا والتي تسعى لتزييف تاريخي موجه .

وقد حاول " موربيه " أن يرصد تطور الشعر العربي الحديث ، ويسجل إرهاصات هذا التطور بدءاً من النصف الثاني للقرن الميلادي الماضي ، على الرغم من أنه حدد عام 1800 بداية لتاريخ بحثه . والحق أنه عرض دراسته بطريقة موسوعية مستفيضة ، وكان يمكن أن تعد دراسة مؤثرة للغاية لا سيما أن " موربيه " يتمتع بفهم عميق للعَرُوض العربي وهذا واضح في دراسته حيث ركز على تطور موسيقى القصيدة وشكلها أكثر من أي شيء آخر .

إلا أن المنظور العنصري الذي استزرعه " موربيه " في دراسته قد أفسد عليه جهده ، بل ووصل به الأمر حد التخلي عن صفة الباحث الحيادي ليثير عن عمد أو عن غير عمد رؤية عنصرية ، أما عن عمد فلأن ما أثاره يحتاج إلى تصويب قد يسوق البعض إلى قناعة بما أراده من وجود تأثير مسيحي خاص في مسيرة الشعر العربي وهذا التأثير المسيحي - كما ذكر موربيه - كان سبباً مباشراً في تطوير الشعر العربي .

وفي مجال الشعر المنثور يرى " مورييه " أنه يمثل مستقبل القصيدة العربية ويحاول أخيرا أن يضع بصمة يهودية واضحة في مسيرة التطور لشعرنا العربي المعاصر ، فيحدثنا عن شعراء يهود لهم دورهم البارز في تطوي الشعر المنثور في الأدب العربي . وتشتد المفارقة عندما يحرص "موريه" على إحصاء الشعراء اليهود الذين يكتبون الشعر العربي . في الوقت الذي يصر فيه على تغييب شعراء المقاومة الفلسطينية ولا سيما استبعاده المقصود لمحمود درويش - مثلاً .

وبعد فإن هذا الكتاب من الكتب القيمة حيث أنها أثبتت أن الشعر العربي جاء معبراً عن نقلات حضارية ومزاجية خاصة بالعرب أنفسهم . وقد رد المؤلف الدكتور محمد نجيب التلاوي رداً قاطعاً على افتراءات " موريه " في بحثه الذي تضمن أخطاءا تاريخية ومغالطات لا يمكن السكوت عليها . وإن كتاب " نقد المنظور اليهودي لتطور الشعر العربي الحديث " كتاب جدير بأن يقرأه كل عربي وغير عربي لكي يعرف حقيقة المغالطات الصهيونية .

يهود يكرهون أنفسهم

محاكم التفتيش الصهيونية

بين معاداة السامية ولا سامية الأنا

تأليف: أ.د. محمد أحمد النابلسي

نرتكب مخالفة صريحة وحادة للمنطق إذا نحن قبلنا مناقشة موضوع المؤرخين الجدد الإسرائيليين عبر الاكتفاء باستعراض مؤلفاتهم. فهذا الاكتفاء يعني سذاجة القبول بقدرة ثلة من المثقفين الإسرائيليين (لا يتجاوزون العشرة) على تغيير تاريخ إسرائيل الدولة . ومع السذاجة غباء تخيل قدرتهم على فرض هذه التغييرات على مناهج التاريخ في مدارس الدولة الإسرائيلية!!

بهذه الفقرة يبدأ الأستاذ الدكتور محمد أحمد النابلسي - الأمين العام للاتحاد العربي لعلم النفس – كتابه الجديد عن المؤرخين الجدد والمسمى (يهود يكرهون أنفسهم . . محاكم التفتيش الصهيونية . . بين معاداة السامية ولا سامية الأنا) الصادر عن دار الفكر بدمشق ، وقد قسم المؤلف كتابه القيم إلى عشرة فصول تسبقها مقدمة مختصرة. لقد وقع المؤلف على مصطلح " المؤرخين الجدد" في كتابات سيغموند فرويد ، التي تؤكد وجود حركة بهذا الاسم منذ القرن التاسع عشر. وكانت هذه الحركة تعيد النظر بالتاريخ اليهودي كافة دون أن تقتصر على حقبة منه

كما تفعل الحركة المعاصرة، التي تقصر مراجعتها على فترة 1948م وما بعدها، كما أن مراجعة حركة ماندلسون اليهودية – الإصلاحية تبين انتماء هؤلاء المؤرخين إلى فلسفة ماندلسون، القائمة على تذويب الفوارق وترسبات الخلاف بين اليهود ومحيطهم بهدف تأمين استمراريتهم، وبهذا أصبح من المستحيل تجاهل الأصول الفكرية التاريخية لهذه الحركة، وحصر دراستها بعرض نقدي لبضعة كتب ومقالات.

وهكذا فإن الصعود الإعلامي والسياسي للمؤرخين الجدد يضاف إلى هذه الأصول ليؤكد الطابع السياسي لهذه الحركة ، مما يدعو إلى تحري خلفية هذا الطابع واتجاهاته وموقعه في السياسة الإسرائيلية وتوجيهاتها المستقبلية.

وهذه الخلفيات تفوق أهميتها كل المضامين الكتابية لهذه الحركة، إذا تمكن العودة إلى كتاب السياسي والجامعي الأمريكي بول فندلي والمعنون (**Deliberate Deceptions**) – وهو مترجم إلى العربية) للإطلاع على كل الأكاذيب الصهيونية والبراهين الداحضة لها. مما يجعل القارئ يستغني عن فضل المؤرخين الإسرائيليين وتكرمهم بدحض هذه الأكاذيب ، لدرجة أنهم يطلبون لها مقابلاً قيام حركة عربية مشابهة، والاطلاع على المحفوظات العربية تمهيداً لتدوين مشترك للتاريخ!.

إن كتاب فندلي يضم 113 صفحة من عناوين المراجع المحفوظاتية المكذبة للصهيونية ، مما يجعل من بضاعة الإسرائيليين بضاعة كاسدة إضافة للشك بفسادها ؟! . . ثم هل يكفي أن تعترف إسرائيل بأكاذيب أقامت عليها حربها النفسية طوال نصف قرن كي تنال البراءة ؟ فما فائدة الحقائق المنتهكة؟ وما فائدة الاعتراف بعد الفضيحة ؟
ويتساءل المؤلف : بعد كل هذا هل ترانا نقبل تهمة (يهودي كاره لنفسه) الموجهة لهؤلاء المؤرخين؟ أم نعتبر هذه التهمة مجرد خدعة لتسويقهم .

وقد تناول المؤلف في الفصل الأول من كتابه " الذات اليهودية وتناقضاتها بين معاداة السامية ولا سامية الأنا " حيث يلاحظ أن شعور اليهود بالاضطهاد يلازم تاريخهم المروي ويطبع أساطيرهم، وهذا الشعور يسهل على اليهودي الشعور بكراهية الآخر ، لأن الآخر يضطهده ويضطهد شعبهن واليهودي ليس بحاجة إلى مصداقية المرويات والروايات اليهودية لأنه يؤمن بها، وهكذا فإن اللا سامية أو معاداة السامية أو كره اليهود هي مصطلحات مختلفة لشعور لازم اليهود عبر تاريخهم، إلا أن هذا المصطلح لم يعرض للتداول السياسي إلا في نهاية القرن التاسع عشر،وتحديداً في العام 1881 وفي شهر نيسان (أبريل) من ذلك العام.

إلا أن استثمار الصهيونية لمصطلح (اللا سامية) لم يصل إلى ذروته إلا في الحرب العالمية الثانية ، حين قدم الزعيم النازي هتلر فرصة الاستثمار الذهبية لهذا المصطلح. وهناك وثائق تتراكم وتكتشف تباعاً لتؤكد وجود تواطؤ بين هتلر وبين الصهيونية باتجاه إجبار اليهود الألمان خصوصاً، والأوربيين عموماً للهجرة إلى فلسطين، وبانتظار انتظام هذه الوثائق في معطى تاريخي متكامل نكتفي – كما يقول المؤلف – بالقول بأن هتلر قدم للصهيونية مجموعة من الهدايا النادرة التي جعلت قيام دولة إسرائيل ممكنة – سنحاول اختصارها - فهو قدم لها :

فرصة تحويل مصطلح (اللا سامية) من مجرد شكوى هيستيرية يهودية إلى مصطلح عالمي الدلالة، وإلى سلاح تشهره الصهيونية في وجه معارضيها، حيث اكتسب المصطلح بفضل هتلر دلالة إضافية هي (الفاشية)، بمعنى أن تهمة (اللا سامية) أصبحت مطابقة لتهمة النازية والفاشية.

فرصة استغلال الهلوكوست نموذجاً يرسخ عقدة الاضطهاد لدى اليهود ويتيح لهم استغلال مشاعر الذنب لدى الأمم الأخرى.

فرصة تجميع أعداد من اليهود في فلسطين التي مهدت لقيام إسرائيل، واستثمارها للعطف على اليهود.

إبراز دور اليهود في الحرب العالمية الثانية وتحويل هذا الدور حتى بدا اليهود المشرذمون وكأنهم إحدى القوى الفاعلة في تلك الحرب والمقررة لنتائجها.

وفي الفصل الثالث " يهود يخجلون من الهولوكوست" يتناول المؤلف هيستيريا المحرقة ، فلقد تحولت مسألة (الهولوكوست) إلى عملية ابتزاز دولي وتاريخي منظم حتى تحولت مناقشة هذه المسألة إلى واحدة من المحرمات (التابوات) ،حيث تعرض العديد من المفكرين والأساتذة الجامعيين للاضطهاد بسبب الهولوكوست، ومنهم روجيه غاوردي وغيره من الباحثين الذين تطرقوا إلى الموضوع فنالتهم ممارسات الإرهاب الفكري بدءاً بالطرد من الوظيفة ، ووصولاً إلى الاعتداء الجسدي والتهديد، مروراً بتحطيم واجهات المكتبات التي تبيع كتب هؤلاء، وهكذا احتكر اليهود حق الحديث عن الهولوكوست وتقديم الدراسات والآراء حوله.

وبطبيعة الحال فإن تهمة (اليهودي الذي يكره نفسه) جاهزة ضد كل يهودي يسيء استخدام هذه الحصرية في حق مناقشة المحرقة، وخصوصاً عندما يتجرأ هذا اليهودي على مناقشة ونقد السلوك اليهودي في استغلال الهولوكوست، ومع ذلك فإن عدداً لا بأس به من الكتاب اليهود تجرؤوا على اتخاذ مواقف ناقدة لهذا السلوك للإيحاءات والمبالغات اليهودية في هذه القضية. ومن أهم الكتابات اليهودية في المجال – والتي تعرض لها المؤلف بقراءة تحليلية :

صناعة الهولوكوست/ تأملات حول استغلال المعاناة اليهودية للجامعي الأمريكي اليهودي نورمان فينكلشتاين .

الهولوكوست في الحياة الأمريكية للبروفسور بيتر نوفيك .

مذكرات رودلف فربا وهو أحد الفارين القلائل من معتقل (أوشفيتز)، وهو قد نشر هذه المذكرات في عام 1961م في جريدة (لندن دايلي هيرالد).

الخيانة لبن هيكت وهو يقول في كتابه بأن مئات الألوف من اليهود كانوا يجمعون في الغيتوات تمهيداً لإرسالهم إلى معسكرات الاعتقال، دون أن يعرفوا المصير الذي ينتظرهم، ولم تكن الصهيونية لتهتم إلا بنخبة مختارة من اليهود، وحين كانت تفشل في إدخال هؤلاء المختارين إلى فلسطين فإنها كانت تحكم عليهم بالموت دون تردد. ثم تقوم بشن الحملات الإعلامية الضخمة للاتجار بدماء ضحاياها!! ويعطي بن هيكت مثالاً على ذلك ما حدث للباخرة (باتريا) عام 1942، التي وصلت إلى ميناء حيفا وعلى متنها المئات من المهاجرين اليهود، لكن السلطات البريطانية رفضت السماح لهم بالنزول إلى ميناء حيفا، وعرضت عليهم التوجه إلى مدغشقر ، وعندها قام الصهاينة بنسف الباخرة بمن فيها، وأعقبوا هذه الجريمة بحملة دعائية واسعة ادعت أن ركاب الباخرة قد نفذوا انتحاراً جماعياً لتفضيلهم الموت على مفارقة الوطن ، ويقول بن هيكت: إن الصهاينة كرروا الفعلة نفسها بالباخرة (سترومي).

الباخرة شترن ، وهي سلسلة وثائق فضائحية نشرتها مجلة شترن (**stern**) تشكف محاولات الصهاينة للتعاون مع النازية .

وفي الفصل الرابع " يهود معادون لإسرائيل " يصنف المؤلف اليهود معادي إسرائيل على النحو التالي:

اليهود المتشددون من الطوائف التي ترى أن قيام إسرائيل مخالف لتعاليم التوراة، بل إنه حرب ضد الرب، ونعطي مثالاً على هذه الفئة الحاخام هيرش زعيم طائفة (نيطوري كارتا) وهو وزير الشؤون اليهودية في السلطة اليهودية.

اليهود المعادون مبدئياً للصهيونية سواء لأسباب دينية أو أيدولوجية أو سياسية، ونعطي مثالاً على هذه الفئة الفيلسوفة اليهودية حنة أراندت.

اليهود المشككون بلبيرالية إسرائيل وديمقراطيتها واكتشافهم لعنصريتها، وهؤلاء من الليبراليين الراديكاليين ومنهم نعوم تشومسكي وإسرائيل شاحاك .

اليهود المنشقون على الصهيونية .

وقد فرد المؤلف لكل صنف من هؤلاء مجموعة من الصفحات للتعريف به . ثم انتقل بنا إلى الفصل الخامس ليتحدث عن سيغموند فرويد ذلك اليهودي الذي كره نفسه بعد وفاته، فحالة فرويد تمثل مؤشراً هاماً على التغيرات الطارئة على مفهوم (اللا سامية) بعد قيام إسرائيل،

فقد ظل اليهود يتباهون بفرويد لغاية قيام إسرائيل، حين بدأت حماستهم له تتناقص .والواقع أن تغيرات الموقف الإسرائيلي من فرويد لم تكن ملحوظة بجلاء لعدة أسباب، منها أن بعض المحللين من يهود الشتات لا يزالون متعلقين بفرويد وبحركته شبه السياسية إضافة إلى كونهم مستفيدين من التحليل مهنة، كما أسهم في عدم بروز التغيرات اقتصار الأمر على المهتمين بالتحليل، ومن ثم فإنه في دائرة الاختصاص، إلا أنه من الممكن الاستدلال على هذا التراجع الإسرائيلي من خلال بروز مدرسة باريس للتحليل النفسي،والتي شكلت خروجاً عميقاً على المبادئ الفرويدية.

لقد كان فرويد يهودياً بالولادة، ونعمة الولادة اليهودية، لا تسمح بتكفيره، فباستطاعته الخروج على تعاليم الدين أو إتباع ديانة أخرى أو حتى التحول إلى الإلحاد مع ثقته بقدرته على البقاء يهودياً، وعلى العودة إلى اليهودية عندما يشاء . وعلى هذا الأساس بقي اليهود يباهون بيهودية فرويد وهو يعلن إلحاده، ويتصدى بالتحليل لشخصية موسى ، منكراً العديد من مبادئ الديانة اليهودية، وصولاً إلى تصديه لتفنيد الأساطير الدينية اليهودية واعتبارها مجرد حيل سياسية.

تفنيد هذه الأساطير ودحضها لم يكن يخرج من إطار الإلحاد في حينه، لكنه تحول إلى حجج معادية لإسرائيل ومشككة بالأساطير التي قامت عليها، وبذلك يكون فرويد قد سبق غارودي وغيره من المؤرخين إلى دحض الأساطير المؤسسة لإسرائيل

(باستثناء أسطورة الهولوكوست الحديثة والحاصلة بعد وفاة فرويد) وبما أن معيار (لا سامية الأنا) هو العداء لإسرائيل فقد تحول فرويد من يهودي للمباهاة إلى يهودي يكره نفسه بمجرد قيام إسرائيل.

وينطلق المؤلف في نفس المسار فيجعل الفصل التالي وهو السادس عن " نعوم تشومسكي " ذلك النموذج الخاص لكره الذات ، فبالرغم من شيوع تهمة (يهودي يكره نفسه) (لا سامية الأنا) بين اليهود، وبالرغم من زيادة التجرؤ على توجيه هذه التهمة منذ قيام (عصبة مكافحة التشهير اليهودية) فإن هذا المصطلح لم يصل إلى الشهرة العالمية إلا عندما تحول إلى لقب يهودي لنعوم تشومسكي فشهرة هذا المفكر أعطت للمصطلح شهرته العالمية.

والحقيقة أن ما جعل من تشومسكي نموذجاً خاصاً لكره الذات اليهودية يتعلق بشهرته، فهو أشهر المفكرين الأمريكيين في العالم الثالث والدول النامية على الإطلاق، بغض النظر عما إذا كان يهودياً يحب نفسه أو يكرهها.

وفي الفصل السابع يتناول المؤلف صراعات الفقه الإسرائيلي ، ومسرحية الاختلاف اليهودي ، ويبدأ الفصل بنكتة : اختلف اثنان من اليهود في المسائل الشرعية فاحتكما إلى الحاخام، الذي قال لليهودي الأول : أنت على حق ، والتفت إلى اليهودي الثاني وقال له : أنت أيضاً على حق! فاستنكرت امرأة حاضرة هذه الازدواجية وقالت للحاخام : إن ذلك لا يجوز. فأجابها الحاخام :وأنتِ أيضاً على حق!.

وهذه النكتة تعكس علائم أساسية في الشخصية اليهودية ، فهي تشير إلى نفوذ الحاخامين المهيمن بحيث يمكنهم تبني المتناقضات دون الرجوع إلى معايير فقهية ثابتة، وهذه المطاطية هي السبب في خلافات الطوائف اليهودية وصراع حاخاماتها، كما تشير هذه النكتة إلى حاجة اليهود للجدل والنقاش والاختلاف والانقسام، حيث لا يمكن جمعهم إلا بإعطاء الحق لهم جميعهم. وهذا ما فعله الحاخام، وهذا ما تفعله إسرائيل التي تكاد تتحول إلى مسرح للصراعات الفقهية السياسية والقانونية والدينية، وبما أن الدين اليهودي يتدخل في تفاصيل الحياة اليومية لأتباعه، فإن الصراع الديني يمكنه أن يختصر باقي الصراعات بما فيها صراع الهوية. وهذا الأخير يرتكز على (تعريف اليهودي) وهو تعريف من اختصاص الحاخامين. وهؤلاء يخوضون حوله جدالاً لم ينته منذ سنوات. وفي المقابل نجد أن الحكومة الإسرائيلية تتجاوز هذا التعريف باستقبالها للهجرة الروسية، حيث ثلثا المهاجرين لا يفون بشروط التعريف المعتمد قانوناً لليهودي ! ، ومع ذلك فإن الجدال الحاخامي لا يزال مستمراً.

وعن حركة المؤرخين الإسرائيليين الجدد يحدثنا المؤلف في الفصل الثامن فيقول إن إسرائيل اعتمدت مبدأ الإفراج عن الوثائق السرية بعد مرور ثلاثين سنة عليها، وتم الإفراج عن الدفعة الأولى من هذه الوثائق في عام 1978م وهي تتعلق بعام 1948 وبذلك بدأت تتوافر بين أيدي الدارسين الإسرائيليين وثائق عن المرحلة الممتدة ما بين (1948-1970) ،

وعلى غرار ما يجري في الدول التي تعتمد هذا المبدأ فإن الاهتمام ينصب حول تصحيح بعض القناعات المنتشرة بين الجمهور، والتي تثبت الوثائق كونها قناعات خاطئة، ويصل الاهتمام بتصحيح هذه القناعات وتقويمها إلى الصحافة اليومية، إن هي رأت في ذلك جذباً لاهتمام جمهورها، أما الوثائق الأقل إثارة فيهتم بها المتخصصون وبعض الفضوليين.

وفي إسرائيل لم يكن الأمر بهذه البساطة، فقد أدى كشف القناعات الخاطئة ومحاولات تصحيحها إلى نشوء تيار جديد عرف بتيار (المراجعة) أو (المؤرخون الإسرائيليون الجدد)، ولقد أدى هذا التيار إلى حدوث انقسام حاد في المجتمع الإسرائيلي بين مؤيد للتيار ومعارض له، وحدة هذا الانقسام تعتبر غير عادية بالمقارنة مع دول أخرى تواجه حقائق أصعب من تلك التي تواجهها إسرائيل عبر هذه المراجعات.

إن المطلع على الخلفيات الفكرية لهؤلاء المؤرخين الجدد يدرك أنهم يعملون على إيجاد صيغة تؤمن استمرارية إسرائيل، وتكفل لسكانها نهاية مناسبة لهم تفضي إلى تسوية تتيح لهم الحفاظ على حقوقهم الأسطورية. وفي الوقت نفسه نجد أن المؤرخ الجديد يحاول استغلال التاريخ القصير لدولة إسرائيل ليثير حوله الجدل وليحوله إلى مجموعة محطات تاريخية تنطوي كل محطة منها على جملة تبريرات لوجود إسرائيل الدولة. مثال ذلك ما يسوقه المؤرخون الجدد عن لقاءات واتفاقات عقدها اليهود قبل 1948 مع الزعماء العرب،

وبهذا يستدل هؤلاء المؤرخون على تسليم العرب بوجود دولة يهودية قبل قيام إسرائيل! وكلمة (قبل) هنا ذات مغزى احتيالي-تاريخي. فهي تعني علمياً الفترة التي كان فيها العرب واقعين تحت الانتداب، وحين كان زعماؤهم مضطرين إلى التعامل مع إيحاءات هذا الانتداب.

ويعرض المؤلف نماذج من كتابات المؤرخين الجدد في الفصل التاسع الذين لم يعد اهتمامهم محصوراً بالتاريخ الإسرائيلي (أي منذ 1948 حتى اليوم) بل تخطوه إلى الأساطير اليهودية القديمة التي تستخدمها الصهيونية في دعم مشروعها.

وبعد أن يعطي المؤلف لمحة عن المواقف العربية من حركات الانفتاح اليهودية ، ينهي كتابه بهوامات وكما يقول فلعله من غير المناسب أن ينهي الكتاب بهوامات، فالهوامات تترك انطباعاً سيئاً لدى القارئ، لكنه قصور المعلومات والمصادر هو الذي يجبره على إطلاق هذه الهوامات :

الهوام الأول : شراء اليهود : بدأت عملية شراء اليهود مع الهجرة الروسية المكثفة، حيث تغاضى الإسرائيليون عن دخول 650 ألف مهاجر روسي يدعون اليهودية دون أن يكونوا يهوداً، وذلك مقابل العيش الرغيد في إسرائيل ومثلهم كان يهود الفالاشا المشكوك في يهوديتهم، وهكذا نفد الخزان البشري اليهودي وبدأ شراء اليهود.

الهوام الثاني : تهويد العرب: إن مشروع (التهويد العلماني) المعروض من قبل وزير العدل يوسي بيلين يهدف أول ما يهدف إلى تهويد العرب من سكان المناطق الحساسة، وخصوصاً عرب القدس، فإذا ما فشل مشروع تهويد القدس فيمكن إبداله بمشروع تهويد عرب القدس، وذلك بعرض مبالغ مالية كبيرة عليهم، وهي على أية حالة أوفر من المبالغ اللازمة لشراء الأراضي المملوكة للعرب في القدس، فعلى سبيل المثال عرض أحد المتمولين اليهود مبلغ عشرة آلاف دولار مكافأة لكل مقدسي عربي يتهود ؟!!

الهوام الثالث: تهويد الأقليات العربية: وكما يقول المؤلف علينا هنا متابعة بعض النجاحات التي حققتها إسرائيل في تهويد جماعات من بعض الأقليات العربية أو التي تسكن في دول عربية، كما علينا أن نلاحظ التحركات المكثفة خلال التسعينيات الهادفة لإثارة مشاكل الأقليات ووضعها على نار حامية.

الهوام الرابع: إغراء العرب ذوي الأصول اليهودية بالعودة إليها : وتنفيذ هذا الهوام ينتظر اكتمال التسوية السلمية، وهو يتدعم بأمثلة من نوع إعلان إسرائيل عن عودة المطربة ليلى مراد إلى يهوديتها، وكان مجرد إشاعة كاذبة لسبر إمكانية إعادة التهويد.

الهوام الخامس: المؤرخون الجدد حملة تهويد جديدة: التقاء الحركة مع استراتيجية حزب العمل (ما بعد الصهيونية) ودعوتها للتدوين المشترك للتاريخ، هي خطوات داعمة للتهويد العلماني الذي تسعى إليه إسرائيل،

والذي يمارس دون إعلانه، كون هذا الإعلان يفجر تناقضات داخلية -إسرائيلية إذا عرض راهناً - وتبقى إسرائيل واستمراريتها بحاجة ملحة إلى تغيير تعريف اليهودي وإبدال التعريف العلماني به، لأن فتح باب التهويد يبدو راهناً على أنه الوسيلة الوحيدة لتعويض كارثة نفاد الخزان البشري اليهودي، الذي يؤدي في حال عدم تعويضه، إلى خسارة إسرائيل لكل مخططاتها المستندة إلى عناصر ديموغرافية.

وبعد ، فإن هذا الكتاب من الخطورة بمكان ، فهو يكشف لنا بالأدلة والبراهين خطر حركة المؤرخين الجدد ، وهو كتاب دسم خطير جدير بالاقتناء والقراءة.

إسرائيل .. إلى أين ؟ ! (دراسة في فكر وتاريخ اليهود ومصير دولتهم الحالية)

عن مركز عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية الذي يرأسه محمد عبد الرحمن عفيفي صدرت الطبعة الأولى سنة 1999 من كتاب (إسرائيل إلى أين ؟) لمؤلفه علي مسعد طه.

ويحتوى الكتاب على فصول خمسة هي:

الفصل الأول: تمهيد بعنوان من هم اليهود؟

الفصل الثاني: البدايات التاريخية للشتات اليهودي.

الفصل الثالث: أهم قضايا الفكر اليهودي في الشتات.

الفصل الرابع: قيام دولة إسرائيل.

الفصل الخامس: إسرائيل إلى أين؟!

يحتوى كل فصل من الفصول الخمس على عدة مباحث وعناصر فرعية نفصلها في حينها.

في نهاية الكتاب يوجد ثبت بأسماء ملوك مملكتي يهوذا أو إسرائيل وعدة أشكال وصور وخرائط توضيحية ثم مصادر ومراجع الكتاب.

الهدف من الدراسة:

كشف مدى الظلم الذي ارتكب في حق المسلمين من جراء الدور الصليبي لأوروبا والولايات المتحدة والذي انتهى بزرع دولة صهيونية في أرض عربية.

حث الدول الغربية بأسرها أن تعود إلى رشدها.

أن تحافظ الولايات المتحدة على الكرامة الإنسانية للبشرية جمعاء دونما تمييز.

تنويه الغلاف من تصميم أ./ محمد أبو طالب وهي يعنى :" إذا أرادت إسرائيل البقاء فلابد أن تتمسك بالسلام.

الفصل الأول: من هم اليهود

ينسب اليهود حسب التقليد التوراني والكتابات الأوروبية الغربية الحديثة التي أخذت عنه - إلى ما يسمى بالعبرانيين الذين يشملون أقواما أخرى وقبائل هي : مؤاب وعمون وأدوم وكذلك قبائل إسماعيل ومدين والعماليق لكن بني إسرائيل استحفروا البطون الأخرى من أبناء عمومتهم مدعين أنهم وحدهم أصحاب التمدن والتحضر كما جاء على لسان أحبارهم في التلمود بشأن الأدوميين:

"إن أهل أدوم يستحقون التحقير إذ لا آداب لهم ولا كتابة". وقد علا شأن بنى إسرائيل حتى صار لفظ "العبرانيين" لا يعنى سواهم وأصبح التاريخ العبرى مقصورا عليهم دون غيرهم.

ومنشأ العبرانيين لا يزال موضع جدل، ويرى بعض المؤرخين أن كلمة "عبري" مشتقة من "عَبَرَ" ويكون العبرانيون - بالتالي - شعبا عبر حدا معينا قد يكون جبلا أو نهراً.

ويمثل العبرانيون واحدا من الشعوب السامية التي خرجت من رحم شبه الجزيرة العربية وتوجهت في هجرات متتالية صوب الشمال بحثا عن ظروف معيشية أفضل ثم انطلقت إلى سوريا في أوائل الألف الثانية قبل الميلاد. ثم اتجهوا إلى فلسطين حيث استقروا بها ثم ظهرت بعد ذلك قبائل بني إسرائيل والتي أخذ نجمها في الصعود إلى سماء التاريخ الإنساني مع رحيلهم إلى مصر وحتى خروجهم الشهير على يد موسى عليه السلام في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

ثم دخلوا أرض فلسطين على عهد النبي يوشع بن نون وتكنوا من الاستقرار بها. ولم يتبلور الوجود الإسرائيلي في شكل دولة ذات مؤسسات ولم تتحدد معالم سيطرتهم في فلسطين إلا مع قيام الملكية فيهم في حوالي عام 1020 قبل الميلاد على يد أول ملوكهم "شاؤول" ثم وصلت إلى قمة مجدها على عهد النبى داود" وابنه سليمان ثم دب الانقسام فيهم بعد موت سليمان إلى مملكتين وهما مملكة إسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ الوجود الإسرائيلي على أرض فلسطين ينهار شيئا فشيئا حيث تكالب الطامعون من الشرق والشمال والجنوب آشوريون وآراميون ومصريون كل يريد مد سيطرته لتشمل أرض فلسطين. ثم تعرضت مملكة إسرائيل وأيضا مملكة يهوذا إلى التشريد الأشوري والبابلي والفارسي واليوناني والروماني في خلال الفترة من 720 ق.م إلى 135 ميلادية.

غير أننا لابد أن نفرق بين الإسرائيليون الأوائل: أبناء يعقوب وهم بالأصالة مسلمون موحدون.

وبنو إسرائيل قوم موسى وهؤلاء غلب عليهم الكفر والضلال ومن جاء بعدهم.

واليهود هم أتباع أصحاب المنهج العائد والكافر من قوم موسى الذين قال فيهم الحق سبحانه وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [سورة الأعراف: الآية 138]

إذن هم أي اليهود هم تلك الجماعة التي اعتنقت الفكر الإسرائيلي الفاسد وقدسته، ولا تزال به وعليه حتى الآن.

الفصل الثاني:السبي الآشوري سقوط مملكة إسرائيل"

قلنا أنه حدث انقسام إلى مملكتين : مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا، وفي حين استمر معبد "أورشليم كمركز روحي التفت حوله قبيلتا "يهوذا" و"بنيامين" لفترة من الزمن ، نجد أن قبائل مملكة إسرائيل العشرة قد سارعت إلى الكفر بالوحدانية التي جاء بها" داود سليمان" ولم تكن مملكة يهوذا أحسن حالا فسرعان ما تردت إلى نفس المصير. وفي النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد، اقترب الخطر الأشوري حتى حدود مملكة إسرائيل، وبشكل مفزع، وبالسيطرة على سورية أصبحت مملكة أشور الفتية جادة لإسرائيل الضئيلة في حجمها قوتها وكان لابد - وإحلال قد صار كذلك - من أن تتغير طبيعة الأشياء فإنما حدث لدمشق وغيرها من ممالك سورية القوية كان ولابد من أن يحدث لإسرائيل، لقد كان استقلال إسرائيل في سبيله للانتهاء .

وفي عام 720 ق.م. سقطت السامرة عاصمة مملكة إسرائيل. وسقوط السامرة ينتهي أمر مملكة إسرائيل. وكما ترى المصادر الأشورية عن عملية ترحيل تمت بشأن الإسرائيليين نذكر مصادر تاريخية أنه قد تم ما لا يقل عن أربعة عمليات ترحيل لسكان إسرائيل من القبائل العشرة، وقد امتدت عمليات التشريد هذه من جانب الآشوريين لتشمل الإسرائيليين من سكان مملكة "يهوذا" في الجنوبن وفي مقابل ذلك الأسر والتشريد، قام الأشوريون بجلب قبائل أجنبية لتعمر" السامرة" وغيرها من مدن مملكة إسرائيل المنقضية وكان من بينها أربعة قبائل عربية. وبعد هذا السبي الذي قام به الأشوريون انتشر اليهود في جميع أنحاء العالم شرقا وغربا وامتصوا بيسر في الشعوب التي حلوا بها ومرت بهم قرون طويلة ضاعت خلالها قوميتهم وجنسيتهم.

السبي البابلي (سقوط مملكة يهوذا):

بعد أن سيطر "نبوخذ نصر" على سورية، زحف على "أرشليم" وأخضع ملكها "يهوياقيم" وأذلة ومن ثم تحققت السيطرة البابلية على جميع أراضي سورية بما في ذلك مملكة يهوذا. وحدث بعد سنوات قليلة أن أعلن يهوياقييم" العصيان على "بابل" بتحريض من فرعون مصر،

مما دفع العاهل البابلي" نبوخذ نصر" للزحف بجيشه صوب يهوذا في أواخر عام 598 ق.م. وبمجرد وصوله قام بفرض الحصار على أورشليم، وأثناء الحصار مات يهوياقيم" وخلفه ابنه "يهوياكين" وانتهى الحصار بسقوط المدينة في 16 مارس عام 597.

ويعد هذه الأحداث بتصور المرء كما لو أن "يهوذا" قد أخليت تماما من سكانها ولكن الأستاذ الدكتور نجيب ميخائيل يستبعد أن تكون "يهوذا" قد أفرغت تماما من سكانها وأتلفت أو تركت دون أن تزرع.

وفي ذات الوقت التي انتهت فيه الملكية ونشرد معه اليهود ولدت العقيدة اليهودية فكرا ودينا وسلوكا وهكذا ولد التاريخ البغيض الحاقد على كل البشر الناقم على كل الدنيا قد ولد مع موت مملكة "يهوذا" وقد جسد في التراث الديني التاريخي الذي أفرزته أوجاع الشتات، والمسمى "بالعهد القديم" كتاب اليهود المقدس.

أحوال اليهود في فلسطين بعد العودة وحتى الشتات الأخير عام 135م.

لم تستقبل أرض فلسطين العائدين من اليهود بالبشري والتزمات بل نجد العكس من ذلك تماما "فقد بدت اليهودية في هذا الوقت وقد عانت من المجاعة والفاقة طويلة الأمد، وكاليهود ماطين من كل جانب بالقبائل الأجنبية المعادية، غارقين تحت ضغط هذه الصعوبات في حالة من البلادة وانقطاع الأمل.

في مثل هذه الظروف لم يبق لليهود سوى أمر واحد أمكنهم من خلاله أن يحفظوا بعضا من ذاتيتهم التي يتهددها الفناء وقد تمثل هذا الأمر في إعادة بناء معبدهم في "أورشليم" ويصور أحد الباحثين الغربيين حال اليهود واليهودية بعد العودة قائلا:" لقد كان إسرائيل ما بعد النفي، كانت تختلف اختلافا جوهريا عنها قبله فقد انقضى بناء الدولة الذي يتمثل في الملوك ورجال الإدارة والموظفين والجيوش ومن الناحية السياسية تدنت إسرائيل إلى حكم" ولاية معبدية" ضئيلة الأهمية في الإمبراطورية الفارسية الضخمة ثم في إمبراطورية اليونانيين فيما بعد بل لم يعد يهود هذه الولاية الجديدة كذاك الشعب الذي كان يزعم أنه ينتسب إلى إبراهيم (عليه السلام).

وأخيراً جاءت نهاية اليهود المحتومة في عهد الإمبراطور الروماني هدريان ففي عام 135 م ثار اليهود ضد قيام الرومان ببناء معبد لمعبودهم على أنقاض معبدهم الذي هدمه "تيتوس" من قبل وأخمدت الثورة وأعيد بناء أورشليم كمستعمرة رومانية ولم يسمح لأي يهودي بالاستيطان فيها".

الفصل الثالث:أهم قضايا الفكر اليهودي في الشتات

قداسة إسرائيل أسطورة الشعب المقدس:

هناك حالة من الغرور ظهرت في اليهود وهم يترنحون بفكرهم بين متناقضتين أساسيتين:

الأولى: هامشية الظل التاريخي ودونيه الأثر الحضاري لديهم.

الثانية: التمييز – فيما يشبه التفرد والاختصاص- بنصرة السماء في مواقف مشتهرة محدودة من خلال معجزات وحوازق جرت لهم على يد بعض من أنبيائهم بأمر الله تعالى وقد كان رماد الله سبحانه.

من تكرار هذه المعجزات وفي ذلك المدى الزمني القصير، أن تنجح واحدة منها في إخراج هؤلاء القوم من حصار ذواتهم لهم، إلا أن انسحابهم إلى دواخل ذواتهم كان أشد وكان جحودهم لآياته سبحانه أعنف.

ومن هذه المنطلقات الباطلة بدأ الأحبار يمهدون لقصر الحق في الميراث المقدس لإبراهيم عليه السلام، بحيث يصب في مجرى واحد لا ينتهي إلا إليهم، على هذا النحو من التسلسل: إبراهيم – إسحاق – يعقوب، ثم أبناء يعقوب (إسرائيل).

تقول توراة اليهود:

"وكان إسحاق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة (رفقة) وصلى إسحاق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقرا فاستجاب له الرب فحبلت رفقة امرأته. وتزاحم الولدان في بطنها.. فمضت لتسأل الرب فقال لها الرب في بطنك أمتان (!!) ومن أحشائك يفترق شعبان (!!) شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير (!!).

هكذا .. يفيض فكر التوراة العنصري فحشا ودناءة، فبأمر من الأحبار وبإقرار من الرب المنساق وراء أهوائهم، يصل حد "التمييز" بين الآخرين ، إلى درجة أن يستعبد الأخ وذريته أخاه ونسله من بعده ويبقي لنا الآن.. ومن خلال هذا الفكر التوراني الإسرائيلي - أن نعلم أن هذا الفكر إنما يمثل قطرة في بحر عنصرية الفكر التوراتي، والذي يمثل بدوره محور الفكر اليهودي إلى الآن وسيظل حاكما له ومتحكما فيه إلى أن يشاء الله تعالى له من نهاية.

وفي توجه عنصري صريح، ولتأكيد مسلكهم في تأصيل مفهوم : الشعب للأرض، والأرض للشعب، يخرج أحبار اليهود وهم يدونون تتابع أحداث تاريخهم حسبما تمليه عليه أهواؤهم - يخرجون بالعهد من صفته الجامعة لكل ذرية "إبراهيم" وهم بنص التوراة "جمهور من الأمم" ليقصرون على اليهود وحدهم.

صهيونية إسرائيل : الفكر الصهيوني:

الفكر الصهيوني ، هو فكر يطلب الأرض - أرض فلسطين ، في رمز جبل "صهيون" أحد أهم جبال مدينة القدس وأشهرها في التاريخ التوراتي المقدس لدى اليهود.

ومن أقوال أشعيا بهذا الشأن:

من أجل صهيون لا اسكت ومن أجل أورشليم لا أهدأ حتى يخرج برها كضياء وخلاصها كمصباح يتقد"!!.

ومن أشهر الصهاينة الأوائل أيضا، ذلك الكاتب الذي جسد أحلام، وآلام اليهود بعد سببهم ، في المزمور 137، والذي قال فيه:

"على أنهار بابل جلسنا، بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون (!!) على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة ومعذبونا سألونا فرحا قائلين رنموا لنا من ترنيمات صهيون (!!) كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة وإن نسيتك يا أورشليم تنس يمينى.. ليلصق لساني بحنكى إن لم أذكرك إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرص".

ومن هذه البدايات الأولى أرتبط فكر اليهود بالقدس، وبحيث أصبحت كلمات أمثال هؤلاء الكتاب الصهاينة، مع مرور الزمن مكونا أساسيا في صميم العقيدة اليهودية"انطلاقا من ذلك التاريخ القديم وحتى عصرنا الحالى.

إذن الفكر الصهيوني فكر غايته تحقيق "الخلاص"لليهود وإعادة تركيزهم حول صهيون" . والخلاص لن يتحقق لليهود بقوة بشرية عادية، ولكن بقوة بشرية تدعمها السماء .. وأساس هذه القوة هو شخص "المسيح" المنتظر (المخلص). (والمسيح المخلص) لابد وأن يكون من نسل داود.

الفصل الرابع: قيام دولة إسرائيل

الالتقاء الصليب – صهيوني: إن الفكر اليهودي الاستعماري ، الذي امتد بطول القرن التاسع عشر، وتوجه في نهاية القرن بظهور تنظيم (الحركة الصهيونية) هو في الحقيقة نتاج عدة ظروف دولية غير عادية شهدها هذا القرن ، ويمكن أن نجملها في نقطتين أساسيتين:

توجه حركة المد الاستعماري الأوروبي صوب المشرق العربي الإسلامي، مع ظهور بودر الضعف والانحلال بدولة الخلافة العثمانية.

اندلاع صراع القوميات في أوروبا.

وكان لابد من التمكين لليهود من استعمار أرض فلسطين لفرضين:

أولا: حيث يتم استثمار أموالهم هناك، في خدمة توطين المشردين والضعفاء المنبوذين من أبناء ، جلدتهم في الشتات.

ثانيا: لتكون بمثابة وطن يمثلهم على المستوى القومي وفي المحافل الدولية.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تأكد انهيار الخلافة العثمانية وأصبحت أراضي الجبهة الإسلامية العربية من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، متاحة ، أمام عربدة القوى الاستعمارية، التى زحفت بالفعل وأخضعت أغلب شعوب المنطقة، بما في ذلك مصر. وكان لابد أن يصطدم هذا الصراع القبلي الأوروبي بوجود اليهود العنصري،

رغم العداء المتوارث بين اليهود والمسيحيين لكون كل منهما يكفر الآخر. رغم هذا العداء إلا أن الطرفين يجمعهما – دائما – عداء واحد ضد الإسلام وخاصة الجبهة الإسلامية العربية.

إسرائيل صنيعة الاستعمار:

تعهد "بونابرت" بدعم فرنسا لتوطين اليهود في أرض فلسطين ففى عام 1807 دعا "بونابرت" إلى عقد "مجمع يهودي" .. يمثل كل يهود أوروبا في أشخاص طوائفهم إلى جانب مشاهير حاخاماتهم ويهدف "لم شمل الأمة اليهودية".

أما انجلترا فلم تزدد وهي تعد وتخطط –بيد- للوثوب إلى المنطقة القلب من الجبهة الإسلامية لم تتردد في حمل راية الصهيونية باليد الأخرى، ففي أغسطس سنة 1840 كتب رئيس الوزراء البريطاني "بالمرستون" إلى سفيره في إستانبول ، اللورد "بوتسونبى" تعليمات جاء فيها : عليك أن تقنع السلطان وحاشيته بأن الحكومة الانجليزية ترى أن الوقت أصبح مناسبا لفتح أبواب فلسطين أمام هجرة اليهود إليها. وفي 5 فبراير 1915 تقدم اليهودي "هربرت صموئيل" أحد أعضاء وزارة الحرب البريطانية، بمذكرة حول مستقبل فلسطين جاء فيها:

أن الحل الذي يوفر أكبر فرص للنجاح ولضمان المصالح البريطانية هو إقامة اتحاد يهودي كبير تحت السيادة البريطانية في فلسطين وقد توجت تلك الجهود - على المستوى السياسي - بإصدار تعهد رسمي من جانب الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها السير آرثر بلفور" وذلك في شهر نوفمبر 1917م بإقامة وطن لليهود في أرض فلسطين.

أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد لعبت دوراً كبيراً في تأكيد زرع الوجود الصهيوني في فلسطين في شكل دولة. ففي (28 يناير سنة 1944) مذكرة من "أدولف بيرل" مساعد وزير الخارجية الأمريكي، عزيزي الوزير: أرف لكم مع هذه المذكرة نصر مشروع القرارين رقمي 418 ، 419 لمعروضين على مجلس الشيوخ مجلس النواب: أن تبذل الحكومة الأمريكية كل مساعيها الحميدة وأن تقوم بكافة الخطوات الضرورية لفتح أبواب هجرة اليهود إلى فلسطين، وأن يكون لهم الحق في استعمار هذه البلاد وإنشاء دولة يهودية حرة ديمقراطية فيها.

لقد نجحت الصهيونية - وبفضل الاستعمار- في إقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين المغتصبة، ولكن الباحثين المدققين لطبيعة دولة إسرائيل لا يرون مقومات الدولة الحقيقية، بل هي من وجهة نظرهم مجرد "جيتو عالمي كبير".

الفصل الخامس:إسرائيل ... إلى أين ؟ !

دلائل قرآنية:

من خلال ما سبق يتأكد لنا أن "إسرائيل" دولة غير طبيعية، وعلى كونها منتهية لا محالة نقدم هذه الدلائل:

قال تعالى:" وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً [سورة الإسراء: الآية 4]

واختلف العلماء في تحديد زمن هاتين الافسادتين إلى فريقين:

الفريق يقول بقدم الافسادتين وظهورهما قبل الإسلام:

الفريق الثاني: وجميع أعضاء من المفسرين المعاصرين ، ويتفق هؤلاء على أن الإفسادة الثانية هي ما عليه اليهود الآن ولكنهم يختلفون بشأن زمن الإفسادة الأولى.

دلائل مادية:

التصدعات الداخلية التي يعاني منها الكيان اليهودي في فلسطين ، الافتقار إلى الشرعية واستحالة الاندماج الحضاري، ضآلة المساحة الجغرافية وانفتاح جبهاتها أمام قوى الدول المحيطة، ضآلة الموارد الطبيعية والاعتماد علي الدعم الخارجي.

خاتمة

تنبه الدراسة فكر القارئ الكريم إلى أن مقولة "الحق التاريخي" لليهود بفلسطين والتي روجت لها الصليبية المعاصرة واتخذتها زريعة لإقامة دولة إسرائيل الحالية ليست إلا خدعة مضللة ، وبالتالي فإن إقحام أرض فلسطين في مشاكل اليهود وقضاياهم الأزلية هو -بالضرورة- أمر مشبوه ليس هناك من هدف ورائه سوى ضرب الإسلام . ومحاولة إعادة المنطقة العربية الإسلامية (قلب العالم الإسلامي) إلى تاريخها الوثني القديم أعلى الأقل تجميد نبض الإسلام بها على المدى القريب.

صهيونية جديدة نفاثة

صهيونية جديدة نفاثة من الكتيبات الهامة التي تلقي الضوء التطورات التي تمر بها الصهيونية في عدوانيتها ضد الفلسطينيين، الكتاب من إصدار "مدار" (المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية)، وهو ضمن سلسلة أوراق إسرائيلية رقم (6)، من تحرير محمد حمزة غنايم، وضد تضمن غلاف الكتاب عدد من الأشكال التي اقترحت عام 1948م للعلم الإسرائيلي، وقد جاءت هذه المقالات في حوالي 50 صفحة.

كتبت المقالات في هذا الكتيب وكل واحد منها يناقش مسألة الصهيونية من زاوية مختلفة، لكنها تشترك مجتمعة في رسم ملامح الظاهرة الآخذة في التبلور بوتيرة متزايدة على الساحة الداخلية الإسرائيلية، والتي من الممكن دمج توصيفات "سيغف" و "بابه" و "بونداك" لها معاً، باعتبارها " صهيونية – جديدة – نفاثة": أي عدوانية وفاعلة في مجابهة الفلسطينيين بالأساس، وعلى الصعيدين العسكري والسياسي، كون نشاطها لم يعد مقصورا على الساحة الإسرائيلية الداخلية.

والمقالات الثلاث المقدمة في هذا الكتيب منشورة في الفترة التالية على ما بعد الصهيونية وهي تحمل مؤشرات واضحة على اتساع ظاهرة العودة في إسرائيل إلى الصهيونية الجديدة، القومية، الأكثر ارتباطاً بالأهداف السياسية للصهيونية الكلاسيكية، والتي تراهن على الأرض قبل السلام. وعملياً

فهي تحكي بلسان واضح كيف تعود السياسة والفكر والتربية في إسرائيل إلى جذور الصهيونية التنقيحية، التي تحتاج إلى الأرض أكثر من حاجتها إلى السلام فوق هذه الأرض، كما توحي سلوكيات عدد كبير من قادتها البارزين في أيامنا هذه.

وفقا لما يتضح من هذه المقالات نجد أننا أمام صيغة جوهرية جديدة لفكر ينمو ويترعرع تحت مظلة الفكرة الصهيونية الأصلية، والتوسعية بطبيعتها(العودة إلى الوطن الموعود) فكر يؤسس على القديم ويقوم على القليل من الشطب والتعديل والإضافة لما استجد على ساحته الاصطلاحية من تسميات، يبدو أن استحداثها كان لازماً لكي تستجيب للمتغيرات الجوهرية فيه مع مر السنين، كمحصلة لتجارب وتراكمات هذا الصراع، وليس بالضرورة كمؤشر على حقيقة ما تعنيه أو تؤديه " الصهيونية الأم" من ممارسات على أرض الواقع.

وقد ظهرت المؤشرات الأولية على هذا التطور قبل سنوات، عندما انقطع - كما بدا للكثيرين من الإسرائيليين وغير الإسرائيليين- مفهوم " ما بعد صهيوني" في الفكر والثقافة والسياسة الإسرائيلية، بانتخاب مرشح اليمين الاستيطاني " بنامين نتنياهو" لرئاسة الحكومة في العام 1996م، في عملية تزييف للوعي القومي العام، جاءت على شكل انقلاب سياسي وفكري وعقائدي على تسوية سلمية كان قد بدأها حزب العمل مع منظمة التحرير. انتخب بنيامين نتنياهو بعد سلسلة من الأخطاء المتبادلة على الساحتين الإسرائيلية والفلسطينية،

وهو إجراء احتجاجي في ظاهره، عززته عمليات الجامعات الإسلامية المسلحة داخل إسرائيل، مبرهناً للجميع أن صرعة " ما بعد الصهيونية" التي كانت مقرونة بعملية التسوية، المنقطعة جراء سقوط العشرات من الإسرائيليين وجرح المئات، في وقت بدا فيه أن السلام في متناول اليد" لم تكن سوى حمل كاذب، سرعان ما أحبطته الأيام والأحداث.

بانتخاب " آريئيل شارون" في مطلع عام 2001م لرئاسة الحكومة في انتخابات رئاسية كان قد تقرر في إجراء برلماني أولّي إنهاء العمل بها لولا اتفاق الطرفين، اليمين واليسار، في إسرائيل، على الذهاب إليها بدلا من الاستفتاء الشعبي بشأن التسوية" تنغلق دائرة من الجدل المزمن حول الصلة العملية المطلوبة والمتاحة بين ما هو قديم في الصهيونية، وما هو جديد فيها، في عملية جدلية تختزل في داخلها كل الأسماء والمسميات، وتحصرها في اتجاه قديم-جديد واحد: " العودة إلى الجذور" وإعلان موت " البوست زيونيزم" (ما بعد الصهيونية) إلى الأبد.

كانت المسافة قصيرة بين إعلان هذه العودة وإعلان وزيرة التعليم الإسرائيلية في حكومة شارون، "ليمور لفنات"، عن انتفاء ظاهرة " المؤرخين الجدد" في المجتمع الإسرائيلي إلى الأبد! وكانت تلك هي مصلحة اليمين الإسرائيلي وليست القراءة الصحيحة للمعطيات المستجدة على ساحة الصراع، ما حدا بالوزيرة الصهيونية إلى المسارعة في إعلان عن تلاشي الأثر السحر عن فئة الأكاديميين تلك، المتحدرة من أقسام التأريخ (الهيستوريوغرافيا) وعلوم الاجتماع في الجامعات الإسرائيلية، والتي وجدت نفسها أمام هذا الكم الكبير من الأوراق والوثائق والمستندات الخاصة بالصراع، حاملة رواية مغايرة للرواية الصهيونية الرسمية، وبالتحديد: في نشوء مأساة اللاجئين الفلسطينيين.

ووفقا لهاذ التصور يبدو أن إيهود باراك، رئيس الحكومة الإسرائيلية السابق، سيدخل التاريخ بإعتباره الـ" ما بعد الصهيوني" الأخير قبل عودة " الصهيونية الجديدة" من تفاؤل بإمكان الخروج من دائرة الصراع باتفاق تسوية سلمية مع الشعوب العربية، وبرأسها الشعب الفلسطيني.

وهكذا يتعارض مفهومان اصطلاحيان متباينان على أرضية واحدة، وتحت مظلة واحدة، الأول " ما بعد الصهيوني" قاد إسرائيل إلى مسارات "أوسلو" المتشعبة، وحمل إليها اتفاقات أولية ومرحلية وغيرها مع الفلسطينيين، وانقطع باغتيال " إسحاق رابين" في عام 1995م؛ والثاني " صهيوني متجدد" ثمة من يحلو له تسميته بالجديد (توم سيغف، كواحد من أبرز ممثلي هذا التيار المتعزز من يوم إلى يوم،

مع أنه يؤسس على المشروع الصهيوني برمته، بل يتعامل مع المستجدات التالية باعتبارها محصلة حتمية لهذا الإنجاز، إنه تيار " صهيونية منتصرة" تريد تغيير اسمها، وليس مهما إذا ما كانت هذه الرغبة " ترفا" فكريا لا يتأتى دون أن تحقق الصهيونية خلال خمسة – ستة عقود مثل هذه الانتصارات على ارض الواقع.

في الفترة الزمنية الممتدة بين الظاهرتين (منتصف الثمانينيات، حيث ازدهر خطاب المؤرخين الجدد واستمر إلى منتصف التسعينات من القرن الماضي، اهتم اليمين المسيحاني بالترويج لفكرة العودة المتجددة لفكرة الجذور، كمرحلة أخرى متطورة من مراحل البعث القومي، وكأداة مجربة فوق حلبة الصراع، داخل المعسكر اليمين نفسه أيضا، وليس داخل معسكر اليسار الصهيوني فحسب. بدت أوسلو لأعداء فكرة الأرض مقابل السلام مع الشعب الفلسطيني ابتعادا عن الجذور الصهيونية التقليدية؛ وهذه وإن كانت توصف في قاموس اليمين بأنها " جذور يهودية" إلا أنها في المشروع الصهيوني، لأن اليود الإسرائيليين بطبيعة الحال لم يكفوا عن " يهوديتهم" عندما قبلوا أوسلو وتفاوضوا مع الفلسطينيين، لكنهم وبأثر من الاتفاقات، هبطوا بمفاهيمهم الصهيونية التوسعية إلى أرض الواقع.

بالنسبة لهذا المعسكر – اليميني- تأتي القيمة الحقيقية للفكرة الصهيونية من استمرار احتلال أراضي الدولة الفلسطينية، لأن اليهودية المسيحانية التي يقيم عليها هذا المعسكر مفاهيمه السياسية، تستمد وجودها من الإيمان بأن " أرض التوراة" الحقيقية موجودة شرقي " الخط الأخضر" لا غربيه، فالمواقع التوراتية بمعظمها موجودة في الضفة الغربية، وفي منطقة السامرة بالتحديد، وبعضها في " أرض مملكة يهود" التي تشمل بطبيعة الحال " بلد الآباء" خليل الرحمن، وحصر – منطقة الحرم الإبراهيمي، والتخلي عن أرض التوراة يعني نكوصاً بالفكرة الدينية – القومية إلى مراحل الأفول " خراب البيتين" الأول والثاني، وانتهاء فكرة الكيان القومي الحديثة العهد نسبياً (هرتسل فصاعدا).

وعندما جاءت أوسلو في عهد " ما بعد الصهيونية" أو كمؤشر مركزي عليها، صرخت حناجر المتدينين القوميين وحلفائهم عاليا ضد ما تصفه بأنه قيام حركة العمل التاريخية (الصهيونية المركزية) بـ"تسليم أرض الميثولوجيا" إلى الفلسطينيين، مقوضة الأساس الذي بنت عليه كل الوقت تمسكها بالوطن الفلسطيني، وبعد أن تمكنت من سرقت الوعي القومي العام وجرفه نحو اليمين المتطرف، الذي هب لانتخاب "شارون" ردا على " ما عبد الصهيونيين"، استغل اليمين الديني القومي مختلف الظروف والمتغيرات على الساحة لإعلان نهاية عهد " ما بعد الصهيونية"،

وابتداء العودة إلى " تجديد العهد الصهيوني" في السياسة الإسرائيلية القومية والعامة، أي: مواصلة الاحتفاظ بـ"وطن التوراة". "مهما كان الثمن! وذلك حتى لو كانت تصورات الصهيونية الكلاسيكية تبقي هذه المناطق تحت السيادة الإسرائيلية بهذه الطريقة أو تلك، ولا تقدم إلى السلطة الفلسطينية سوى خطة تكون فيها فلسطين أشبه بدولة "بتسوانا" في جنوب أفريقيا وتقوم من الناحية العملية على ما ماسحته 20 بالمائة من أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة.

وفي ضوء البلبلة الكبيرة على الساحة العربية أساساً في التعامل مع ظاهرة " المؤرخين الجدد" في إسرائيل، التي انبعثت عندنا بينما كانت تغرغر هناك، عندهم، نجد لزاما علينا التنبيه إلى وجوب توخي الحذر في توصيف كل ما تنتجه هذه الصهيونية النفاثة من أفكار وممارسات، واستخلاص العبر منه. إن تبين حدود المصطلح الاجتماعي السياسي الفكري فوق ساحة الصهيونية، أمر ضروري ومقدمة لفهمها والتعامل معها على هذا الأساس، وبخاصة لأن الحديث قد يودر أحيانا عن الظاهرة ذاتها، وإن اختلفت الأشكال والمسميات.

بنفس المدى نجد أننا بحاجة ماسة لتبيين حدود الاختلاف أيضاً وهناك اختلاف وخلافات حقيقية يصل بعضها حد الشرخ داخ إسرائيل، وبخاصة في الصراعات الاجتماعية الطائفية، كي يتم تجنب مواصلة النظر إلى ما يتفاعل تحت السطح الصهيوني باعتباره نسيج وحده، وإغفال أوجه هذه التفاعلات الأخرى في معرض تعاملنا في معظم الأحيان معها.

في الواقع الإسرائيلي الراهن ، يتبين المتأمل خلف كل مصطلح ظاهرة، تفسرها ظواهر وتيارات ونتاجات موازية أو متقاطعة، تتناقض وتتلاقى، تتجاذب وتتنافر، انتخابات 2001 مرحلة أخرى من مراحل الحرب الثقافية، وبسبب هذه المستجدات على المجتمع الإسرائيلي وعلى الحياة السياسية هناك نجد أننا نحتاج إلى قاموس يضم المصطلحات الصهيونية السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية.. وفي بقية مجالات الحياة. من شأن قاموس كهذا أن يحول مثلاً دون اعتبار "خصوم" بل أعداء " ما عد الصهيونيين " وجوها مركزية في ظاهرة " المؤرخين الجدد" .

وفي المقال الثالث والأخير الذي كتبه "رون بونداك" وهو من المشاركين في محادثات أوسلو السرية ويشغل الآن منصب رئيس مركز بيريس للسلام، ومقاله نشر في هآرتس قبل شهور، نجد أن تعريف الصهيونية الجديدة من خلال نفي الموجود. لا تنهل صهيونية عفا عليها الزمان

مصدر قوتها من حقائق ذات صلة وثيقة بعهد يعود إلى ما قبل مائة سنة، إلى تلك الأيام التي هاجر فيا والد "يزهار" وحقق حلمه بواسطة السيطرة على الأرض والإثبات أمام العالم أن اليهودي ليس صنو الشتات إلى الأبد. وليست صهيونية استيطانية وراء الخط الأخضر، ترضع صلاحياتها من حاخامين ومن عالم ديني معاد للإنسانية ومسيحاني منعزل تماما عن الصهيونية العلمانية – القاعدة الحقيقة والوحيدة لبداية الممارسة اليهودية في ففلسطين. وليست صهيونية صاغت ذاتها من جديد، على إثر إقامة الدولة، بأسلوب الغاية تبرر الوسيلة، متيحة بذلك المجال أمام اقتراف آثام مختلفة، بدءا من قضم الهويات والثقافات التي لم تتناسب مع النموذج (الأرض – إسرائيلي)، الذي تطور قبل إقامة الدولة، بواسطة تضخيم القوة وإنشاء طبقة جنرالات تسيطر منذ ذلك الوقت على المجتمع المدني، وانتهاء باقتراف آثام تاريخية ضد العرب الفلسطينيين، سواء لأولئك الذين اضطروا للعيش كلاجئين خارج وطن آبائهم، أو أولئك الذين بقوا في إطار السيادة الإسرائيلية، وأصبحوا مواطنين من الدرجة الثانية أو حتى أقل منها.

الصهيونية الجديدة هي الصهيونية المتجددة، صهيونية سنوات الألفين، صهيونية نفاثة، تلك التي تدفعنا للأمام ولا تدهورنا للوراء، وهو ما يبدو أن الصهيونية التقليدية والمتجمدة تفعله الآن، ولا يجري الحديث عن إدارة الظهر للماضي أو عن ركل القاعدة التي انطلق منها وتبلور من خلالها الحلم الشرعي للشعب اليهودي ببيت قومي في فلسطين. الموجود هنا

محاولة لتنقيح الفكرة وملاءمتها، وفي الأساس تطبيقها الناجح، مع الواقع المتشكل على مدار أكثر من خمسين سنة من الدولة المستقلة: الدولة التي لا تخدم فقط فكرة الصهيونية، وإنما يتعين عليها أيضا أن تغير مركز ثقلها والبدء، قبل أي شئ، بخدمة مواطنيها وسكانها من خلال إقامة مساواة تامة في الحقوق الاجتماعية والسياسية لجميع مواطنيها، بغض النظر عن الدين والعنصر والجنس، وتأمين حرية الدين واللغة والتعليم والثقافة، حسبما قررت وثيقة الاستقلال.

يجب على الصهيونية الجديدة أن تحدد لذاتها غايات جديدة وأن تترجمها إلى شبكة مضامين ورموز جديدة. أحد هذه المضامين، على سبيل المثال، يتمثل في تعريف الدولة ليس كدولة للشعب اليهودي فقط – وهي صيغة كانت ملائمة لعهد ما قبل الحرب العالمية الثانية وما بعدها، في الوقت الذي تعرض فيه اليهود للملاحقة ولم يكن لديهم بيت قومي يلوذون إليه. واحد هذه التعريفات التي يجري فحصها الآن من طرف شخصيات من اليمين واليسار هو " دولة الشعب اليهودي ومواطنيها الإسرائيليين". ففي نهاية المطاف حوالي 20% من مواطني الدولة هم عرب، وهناك أيضاً عشرات الآلاف أو أكثر من المسيحيين الذين هاجروا في إطار قانون العودة وهو بدوره في حاجة إلى نفق وإنعاش بعد خمسين سنة على إقراره.

الصهيونية الجديدة ملزمة بإصاخة السمع للتغييرات. وإتاحة ديناميكيات في تعريف الأهداف الواسعة للمجتمع الإسرائيلي. هذه التغييرات يجب أن تتيح الإمكانية أمام العرب. مواطني الدولة، لأن يشعرا بأنهم شركاء متساوون في الحقوق والواجبات، ويتم دمجهم عبر تغيير صورة المجتمع والدولة، من غير أن تفقد طابعها الأساسي الذي جرى بناؤه في القرن الأول من حياتها.

هذه الصهيونية الجديدة في مقدورها في نهاية الأمر، الجمع ليس فقط بين اليمين واليسار، وإنما أيضا إيجاد قاسم مشترك بين المتدينين – القوميين وأفراد " غوش امونيم" وبين إخوانهم العلمانيين، الذين بدأوا دون أن يكونوا واعين لذلك بالتطبيق العملي للفصل الصهيوني الجديد في المجتمع الإسرائيلي.

باتت النواة العلمانية في إسرائيل تفكر وتعمل بمفاهيم متجددة، بينما بقيت النواة المتدينة – القومية بحاجة إلى تحد جديد، يحل محل فصل الاستيطان الذي يوشك أن ينتهي من العالم الصهيوني. هذا التحدي يمكن أن يشمل استبدال القيم الدينية – القوموية والجغرافية بقيم دينية، اجتماعية ومهنية، تجد تعبيرا عنها في الكفاح التربوي في وسط جماهير مستضعفة داخل إسرائيل، والاندماج في الوسط التجاري – الإنتاجي وحتى التفحص الداخلي لقيم أكثر إشكالية، مثل مكانة المرأة في المجتمع المتدين.

يكمن الخطر المشترك الذي يتهدد اليسار واليمين والمتدينين والعلمانيين في التغلغل الديني من جانب طريقة " شاس" التي تمثل كل ما حارب ضده الآباء المؤسسون للصهيونية، عندما خطا والد "س.يزهار" خطواته الأولى في فلسطين.

أ خيراً يتضح أن انتقاء تلك المقالات من المقالات الإسرائيلية والتي أوردها المؤلف في هذا الكتيب تعد محاولة لتوضيح التطورات الدقيقة التي تمر بها الصهيونية في المجتمع الإسرائيلي على الصعيد السياسي أو على الصعيد العسكري وفي عدوانيتها للفلسطينيين، كما أنها مساهمة لضبط المصطلح الصهيوني، كجزء من الدعوة إلى التعامل معه وفق منهج علمي سليم، وبأدوات المنهج العلمي الملائمة.

المرأة الصهيونية .. منتهى الإذلال والهوان !

في كتابها [المرأة بين اليهودية والإسلام] تناولت الأستاذة الدكتورة ليلى إبراهيم أبو المجد أستاذ الدراسات التلمودية بجامعة عين شمس (قسم اللغة العبرية) أوضاع المرأة اليهودية من خلال دراسة المأثور الديني اليهودي. وهي تؤكد أن حواء لم تسلم من النزعة الذكورية في المآثور الديني اليهودي.فقد أكد الحاخامات أن الرب عاقب حواء لأنها استجابت لغواية الحية. وأكلت من شجرة معرفة الخير والشر، وأعطت آدم. وحواء في المنظور الديني اليهودي. هي سبب عصيان آدم ربه، فهي التي استجابت لغواية الحية وغررت بآدم لذلك صب الرب عليها تلك اللعنات في (التكوين 3-16).

"وقال الرب للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حبلك، وبالوجع تلدين أولادا.وإلى رجلك يكون استياقك، وهو يسود عليك، وعدد اللعنات الواردة في هذه الفقرة عشرة، يشرحها الحاخام يتسحاق برأفديمي في التلمود قائلا: إن كل كلمة تعد لعنة منفصلة: أهمها أن المرأة تنزف نوعين من الدم دم الحيض، ودم غشاء البكارة. وتتعب في تربية الأطفال، وفي آلام الحمل، والوضع. وتشتاق إلى رجلها أي إلى المعاشرة والجماع، عندما يهم الرجل بالخروج من البيت، وهو يسود عليها أي أن المرأة لا تفصح عن رغبتها وشهوتها، بينما يطلب الرجل ويصرح برغبته، وتغطي رأسها كما لو كانت في حداد دائم، وتحرم على الرجال الزواج من أكثر من امرأة دون حد أقصى. وتحبس في البيت كالأسرى، وفي رواية أخرى: تطل شعرها مثل الجنية "ليليت"،وتتبول وهي جالسة مثل البهيمة، وجعلت وعاء لزوجها.

ويتضح من اللعنات السابقة أن أربعا منها تتعلق بالجانب البيولوجي الذي يتمثل في دم الحيض البكارة، وآلام الحمل، وآلام الوضع، أما اللعنات الباقية فيظهر فيها الجانب الاجتماعي مثل الشوق إلى الرجل ، وتربية الأبناء.

وتعكس هذه الأفكار والمفاهيم طبيعة التشريعات التي استقرت عليها اليهودية بالنسبة للمرأة، وخاصة مفهوم قوامة الرجل على المرأة، وترى الدكتورة ليلى أبو المجد أن تطبيق هذا المفهوم يبدأ من قوامة الأب الذي يحق له أن يبيع ابنته كجارية، وأن يزوجها من يشاء، ويحق له الاستيلاء على الغرامة التي توقع على زوجها إذا ادعى زورا أنها لم تكن عذراء والغرامة التي تفرض عل شخص إذا اغتصبها، والنذور التي تنذرها للرب، وعلى أجرها من أي عمل تقوم به، ما تعثر عليه ابنته من لقطة، وإذا مات الأب انتقل هذا الحق إلى الأخوة الذكور، وفي مقابل كل هذه الحقوق وغيره،لم يلزم التشريع اليهودي الأب بأي واجبات تجاه ابنته، فهو غير ملزم حتى بإعالتها إذا تخطت الست سنوات، وتنتقل هذه الحقوق إلى الزوج بعد أن يدخل بزوجته، وإن ألزمه التشريع اليهودي ببعض الواجبات كأن يفتديها إذا وقعت في الأسر، وأن يوفر لها مكيال من القمح أي رغيفين من الخبز يوميا. وكسوة عبارة عن غطاء للرأس، وحزام للخصر، وحذاء من العيد إلى العيد.

تعدد الزوجات

يكشف الكتاب أيضا أن إسرائيل" المعاصرة التي تجرم تعدد الزوجات.. تخالف الشريعة اليهودية التي تركت الباب مفتوحا أمام الرجل يتزوج ما يشاء من النساء، وقد تزوج يعقوب أربع نساء وفقا لما ورد في العهد القديم، وتزوج داود من نساء عديدات، وأنجب من ست نساء، أما سليمان فقد تزوج من سبعمائة، ومع ذلك فقد جاء المشرعون اليهود بعد ذلك وأصدروا تشريعات تخالف النص، وتناسب ظروف كل مكان وزمان عاشوا فيه، فالحاخام جرشوم بن يهودا" الذي عاش في ألمانيا في العصر الوسيط حرم على اليهود الزواج من أكثر من امرأة واحدة أسوة بجيرانهم المسيحيين في الدول الأوروبية، في حين نجد المشرع موسى بن ميمون الذي عاش في الأندلس وشمال أفريقيا. ومصر، وهي بلدان تابعة للحضارة الإسلامية التي تبيح للرجل أن يجمع بين أربع زوجات، فقد استند إلى التلمود وسمح لليهود الشرقيين بالزواج من أربع . وما زال يهود اليمن في (إسرائيل) يتحايلون على القانون (الإسرائيلي) ويتزوجون عددا كبيراً من النساء، رغم أن المشرعين الإشكناز حددوا الزواج في امرأة واحدة لا أكثرا !

ويبدو أن الوضع الراهن للمرأة في المجتمع الصهيوني أسوأ بكثير مما ذهبت إليه الباحثة الأكاديمية الدكتورة ليلى أبو المجد، فقد كتب روتي سيناي في صحيفة هآرتس بتاريخ 25 / 4/ 2007 تحت عنوان (النساء في إسرائيل أكثر ثقافة ولكنهن يعانين من سوء التمثيل) يقول:

تعتبر النساء في إسرائيل أكثر ثقافة من الرجال، ولكنهن أكثر فقرا، وأكثر بطالة، وأكثر تعرضا للإقالة، وأكثر تعرضا للاعتداء، وتحصلن على أجور منخفضة، كما أن تمثيلهن محدود في مؤسسات الحكم والإعلام وعالم التجارة.

وبمناسبة نشر تقرير غير مسبوق عن أوضاع النساء في إسرائيل، تقول رينا بار – طل، رئيس اللوبي النسائي الإسرائيلي: "لازال صناع القرارات لا يأخذون في الاعتبار النساء في مجالات شتى. وعلى مر السنين يتعرضن للتمييز والعزلة بصورة منهجية.ورغم إنجازاتهن ونضالهن إلا أن الطريق نحو المساواة مزال طويلا هذا ومن المقرر عرض التقرير يوم الاثنين في الكنيست على رئيس لجنة النهوض بوضع المرأة، عضو الكنيست جدوعن ساعر (حزب الليكود).

وتقول بار – طل إن "أحد المعطيات الخطيرة التي تظهر من البيانات الواردة في التقرير هو أن النمو الاقتصادي الذي تتباهي به الحكومة الإسرائيلية لا يأخذ في الاعتبار جمهور النساء، ولا يتمتع بحصانة الاقتصاد الإسرائيلي سوى الرجال المنتمين للطبقة المتوسطة فأعلى.

يشتمل التقرير على بيانات مختلفة المصادر – رغم أن معدة التقرير طل تأمير تشير إلى قلة المصادر – ويصف عوامل تؤثر على انخفاض مكانة النساء، ورغم أن إسرائيل دولة متقدمة في مجال الخصوبة وتحتل المرتبة الأولى في العالم في مجال علاج الخصوبة، إلا أن مصلحة الضرائب –

على سبيل المثال- لا تعترف بنفقات المعالجة كبند للإعفاء ، كما أن نسبة إقالة النساء الحوامل والأمهات لصغار الأبناء تفوق مثيلتها بين الرجال، ويتم ترقيتهن بوتيرة أكثر بطء.

ويظهر التقرير أن 26% فقط من النساء يحصلن على معاش مقابل 52 من الرجال ويصل رابتهن إلى ثلثي راتب الرجال فقط، ويمثلن ثلثي العاملين الذين يحصلون على الحد الأدنى من الأجور كما يمثلن أغلبية من بين الحاصلين على المخصصات المالية – 65% من الحاصلين على مخصصات تأمين الدخل و 51% و51% من الحاصلين على إعانات البطالة.

وتعمل ما يقرب من 40% من النساء في وظائف لبعض الوقت، أي ما يعادل ضعف النسبة بين الرجال، غير أن 16% فقط منهن يذكرن أن رعاية الأبناء والمنزل هي السبب الرئيسي لعملهن لبعض الوقت. ويصل متوسط نسبة البطالة بين النساء إلى 9.5% مقابل 8.5% بين الرجال، وتصل نسبة البطالة بين النساء العربيات إلى ما يزيد على15 % ويقول معدو التقرير:" يبدو أنه يتم إهمال المرأة بعد الإنجاب".

كما أن النساء في الجيش الإسرائيلي بعيدات عن نيل المساواة، فهن يمثلن ثلث حجم أفراد الخدمة الإلزامية، و18% من الخدمة الدائمة و26% من الضباط، أما نسبتهن بين الرتب الكبيرة فهي ضئيلة ،

حيث يمثلن 10% من رتب المقدمين ونسبة أقل من الرتب الأعلى - وأحد الأسباب الرئيسية لذلك هو اشتراط الخدمة في وحدات قتالية كعنصر للترقي، سواء كان ذلك موضوعيا أم لا، على حد قول معد التقرير.

في العقد الأخير لم تتغير نسبة تمثيل النساء في وسائل الإعلام:

من حيث التمثيل السياسي، فإن الوضع أكثر سوءً، بل وساء في السنوات الأخيرة، وتبلغ نسبة النساء بين أعضاء الكنيست السابع عشر 14 % فقط، وتحتل إسرائيل المرتبة السابعة والثمانين على مستوى العالم من حيث التمثيل النيابي النسائي. وبالنظر إلى التوزيع الجغرافي والاجتماعي. نجد أن نسبة التمثيل أقل، حيث ان معظم أعضاء الكنيست من السيدات يقمن في وسط إسرائيل، ومنذ قيام الدولة لم تحصل سوى سيدتين عربيتين على عضوية الكنيست ، وتصل نسبة النساء في الحكومة إلى ما يقرب من 7% أما في الحكم المحلي فتصل إلى 12% من أعضاء المجالس المحلية ، بينما لم تشغل سوى 10 سيدات منصب رئيس سلطة محلي منذ قيام الدولة.

وعند اتخاذ القرارات في القطاع التجاري، يتمثل سوء تمثيل النساء في مجالس الإدارات، فهن يمثلن ثلث المديرين في الشركات الحكومية ، وهو ما يمثل انخفاضا عن نسبة 38% التي تحققت عام 2000، كما أنهن يمثلن 15% فقط من المديرين في شركات البورصة. وفي العقد الأخير لم يتغير تمثيل النساء في وسائل الإعلام.. وكما كان الحال في عام 1995، وصلت نسبة ظهور النساء في وسائل الإعلام في عام 2005، إلى 205 فقط، وهن يمثلن 23% من معدي النشرات و23% من الضيوف في البرامج الحوارية، وحتى في التغطية الإخبارية للقضايا التعليمية، التي يمثل فيها النساء ما يقرب من 90% من العاملين ،تصل نسبة ظهور الرجال إلى 60% بصورة تفوق مثيلتها بين النساء.

وفيما يزيد على 95% من إعلانات البنوك والسيارات يكون المذيع رجلا، وكذلك الحال في 80% من إعلانات السلع الغذائية وفي 60% من إعلانات مستحضرات التجميل أيضا. ويختتم معدو التقرير كلامهم: طالما أن وسائل الإعلام تشارك في بناء واقع مشوه، يتمثل في أن النساء هن مجرد عنصر جنسي، بعيدا عن دائرة اتخاذ القرارات وأجندة العمل العام، فلن تتغير نظرة المجتمع ولن يسهم مستوى ثقافتهن وإنجازاتهن في مزيد من القوة الاقتصادية والسياسية.